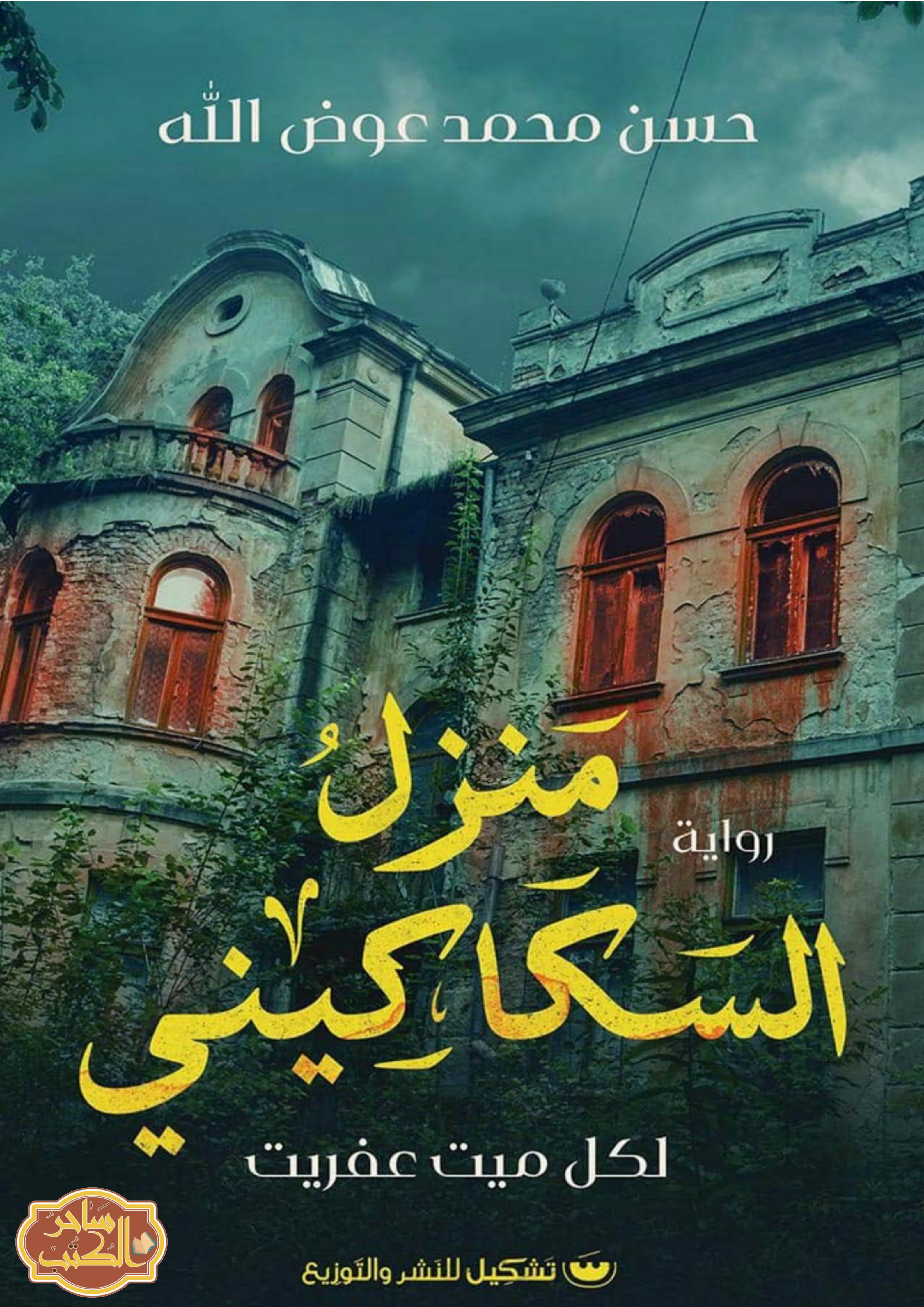

حسن محمد عوض الله
منزل السكاكيني
رواية
لكل ميت عفريت
ساحر الكتب
تشكيل للنشر والتوزيع

الفصل الأول

الحـــلم

1

يوم الاثنين، وهو اليوم الموعود من كل أسبوع عقب صلاة الفجر وسحب الظلام صامدة أمام دفقة الضياء المتوثبة.. استيقظ الوزير (سُنقر) منذ قليل من نومته، عندما جاء له مرسال يخبره أن السلطان منتظره في قصره.

نهض (سُنقر) مهرولًا من فوق الفراش وهو يهندم لحيته السوداء، ويرتدي قميصًا حريريًا طويلًا أسفله سروال، وهو يغمغم في نفسه أن هذا اليوم لا يمر مرور الكرام.. كان يخشى أن يأتي هذا اليوم.. ها وقد أتى سريعًا..

خرج من منزله، مضى في الطريق الصاعد إلى الجبل يتبعه نفر من الحراس، ويتقدمه حامل مشعل في جو مشعشع بالندى، وبرودة مستأنسة، كان القصر قابعًا فوق الجبل، تحيطه مساحة خضراء، مُطلًّا على شلالات من المياه، وفوقه تتلألأ النجوم الساهرة.. داخل القصر كانت هناك نافورة مياه تتوسطه، وحدائق يتوسطها النخيل.

صعد (سُنقر) درجتين من الرخام المرمري متجهًا داخل

القصر، فاستقبله أحد الحراس الواقفين منتصبين أمام الباب الخشبي الضخم، فانحنى له، فأشار له (سُنقر) بيده لرد التحية متجهًا للداخل.

داخل القصر كان السلطان (شهريار) جالسًا فوق أريكته الوثيرة على ضوء قنديل واحد، شاب يافع طويل القامة، غزير الشعر أسوده، تفترش على صدره لحية كثيفة، تلتمع عيناه، ومن ثم يمد يده في الصحن الرابض أمامه، ويأخذ تفاحة يقطم قطمة وينظر إلى (سُنقر) الذي كان واقفًا أمامه في خوف، انحنى الأخير له نصف انحناءة وقال له بأدب:

- صباح الخير مولاي.

صوت التفاح المهروس في فم السلطان يصدر صوتًا أنينًا مخيفًا فقال له بصورة مباشرة:

- كم تبقى من النساء؟؟

بلع سنقر ريقه بصعوبة وزاغت عينه للفراغ وقال بصوتٍ مهزوز:

- امرأة واحدة يا مولاي.

زم السلطان شفتيه ومرر يده فوق ذقنه وهو يستمتع بطعم التفاحة التي تذوب في فمه، ومن ثَم نهض واقفًا ونظر

إلى أحد الحراس الواقفين بجواره وقال له بصورة آمرة:

- فلتخبروا كل رجال الجزيرة أن اليوم يوم ذو شأن، إنه اليوم الذي سُيقتل فيه آخر امرأة بالغة على جزيرتي، ستُقتل في ساحة الإعدام، لا بد من الاحتفال.

سمع الحارس كلام السلطان (شهريار) فانحنى له وانصرف بهدوء، أما (سُنقر) فظل واقفًا مطرقًا، وهناك قطرات عرق متناهية الصغير نبتت فوق جبينه، فنظر السلطان له وقال:

- أما أنت يا (سُنقر) عليك أن تذهب إلى السجينة، وبلغها أن السلطان (شهريار) يريد مقابلتها قبل تنفيذ أمر الإعدام عليها.

سمع (سنقر) كلام السلطان وظل واقفًا مُتصلبًا دون حراك حتى نظر له السلطان بدون فهم، فبلع (سُنقر) ريقه وهز رأسه متفهمًا قوله، وذهب مهرولًا للخارج..

***

كانت نبضات قلب (سُنقر) وصلت إلى أقصاها تتسارع، كاد قلبه أن يقفز من صدره الملتهب وهو يسير في رواق القصر بقدمين خائفتين ورعشة فوق جسده الضخم، كان شاردًا لم يعر اهتمامه ما يمر من جانبه، حتى استقر به الأمر أمام باب خشبي ضخم مُغلق موضوع عليه قفل كبير، وقف مستقيمًا

وبلع ريقه بصعوبة، ومد يده في سرواله وظل يبحث حتى أخرج مفتاحًا نحاسيًا، ووضعه في القفل، فصدر صوت تكة بسيطة تشير إلى نجاحه في مهمته.

تشاجرت الأفكار في رأسه والهمهمات في أذنه، يتذكر كل امرأة ذهب إليها قبل ذبحها على يد سياف شهريار ليخبرها أن السلطان يريد مقابلتها، فتذهب إليه وتتوسل إلى السلطان أن يرحمها، ولكن السلطان كالمعتاد يبتسم في وجهها ويطلب منها مضاجعتها مقابل أن يتركها، تذهب دون أن يقتلها يفعل ما يفعله مع النساء، ومن ثَم يأمر حراسه أن يجهزوا ساحة الإعدام، يتلذذ بقتلهن، يتمتع أن يراهن يتذللن إليه في خضوع، كل هذه الأفكار تتخبط في رأس (سُنقر) قبل أن ينفتح الباب أمامه، تردد للحظات بالدخول حتى استعاذ بالله من الشيطان ودفع الباب بيده، فصدر صوت صرير مخيف، وظهر أمامه سلم من رخام المرمر ناصع البياض يؤدي إلى قبو تم بناؤه خصيصًا من أجل الأسرى.

تقدم (سُنقر) ونزل الدرج بهدوء يريد أن يتراجع ويعود إلى السلطان شهريار يمنعه من أن يقتل آخر امرأة بالغة موجودة على الجزيرة، ولكنه لم يفعل، نزل مقهورًا حتى وجد نفسه في ممر طويل، شحيحة الإضاءة بداخله إلا من بعض المصابيح المعلقة في السقف، والتي تتراقص فوقه،

تصدر ضوءًا أصفر باهت، على الجانبين كل غرف الحبس فارغة، كل من فيهن قُتلن، ورائحة الموت تنتشر فيها، عدا غرفة واحدة، غرفة قابعة في آخر الممر.

كانت هناك تجلس (شهرزاد) على الأرض تنظر بعيونها الذابلة نحو الشراعة التي يتسلل منها أشعة الشمس وتغني بصوتٍ عذب يقشعر له الأبدان، انتبهت لخطوات شخص يقترب من زنزانتها فلا تعيره اهتمامًا، وظلت تغني كما هي..

كانت جميلة، عيونها زرقاء، ذات وجه أبيض دائري، أنف مدببة وشعر مسترسل ذو خصلات ذهبية، ترتدي فستانًا طويلًا ممزقًا قليلًا، وبعض الكدمات في وجهها لا تؤثر كثيرًا على جمالها.. تضم ركبتيها إلى صدرها، وصوت غنائها يتردد في الممر فيصدر صدى صوت يسمعه كل من كان حيًا بداخل هذا القبو المخيف.

وقف (سُنقر) من الخارج نظر إليها من الفتحات المتواجدة في الباب، تغرغرت عيناه بالدموع، ولكن خشي أن تلاحظ (شهرزاد) ذلك، فعاد إلى رشده وهو يرسم بوجهه ملامح الجدية، ومد يد وفتح باب الزنزانة بوجه جامد، وما زالت (شهرزاد) تجلس وتغني مثل زقزقة العصافير في الخارج.

اقترب (سُنقر) منها وجثا على ركبتيه حتى يكون في مستوى عينيها الواسعة، فقال لها بدون مواربة بوجه خالٍ

من المشاعر:

- مولاي شهريار يريد مقابلتك في أمر هام.

ما زالت تنظر إلى الشراعة المتواجدة على أحد الجدران وتغني بدون أن تنظر إلى سُنقر.. فأخذ سُنقر نفسًا ملأ صدره بالهواء، وقال لها من جديد:

- أتمنى أن تأتي معي، هذا سيكون أفضل لكِ.

في هذا الوقت وقفت (شهرزاد) عن الغناء، ونظرت بعيون يتطاير الشرر منها وقالت:

- أذهب وأخبر مولاك أنني لن آتي إليه.. نهايتي محتومة سواء قام بمضاجعتي ليثبت رجولته أم لا.. أنا لا أهاب الموت، لو أراد مقابلتي فليأتِ إليّ، أو لو يحمل في قلبه الشجاعة يقوم هو بذبحي اليوم في ساحة الإعدام أمام جميع رجال الجزيرة.

ظل سُنقر ينظر إليها وإلى قوتها وقوة حديثها التي تتحدث بها، وهو يريد أن يجهش بالبكاء، كيف يقتل شهريار جميع النساء بدون أن يعارضه أحد.. فهز رأسه لها متفهمًا قولها ونهض واقفًا، وقبل أن يغادر الزنزانة سمع صوت شهرزاد من خلفه تقول له بخبث:

- هل مولاك يعلم أن شهرزاد القابعة في تلك الزنزانة والتي ستُقتل بعد قليل في ساحة الإعدام اليوم هي ابنتك يا أبي؟

وقف سنقر مُتخشبًا في مكانه يعطي لها ظهره، كان يتهرب من تلك المواجهة منذ ثلاث سنوات، منذ أن قرر شهريار أن يقتل جميع النساء بسبب زوجته الخائنة، قرر أن يقضي على جميع نساء الجزيرة التي يمتلكها، ومنذ ذلك الحين يتهرب من نظرات ابنته الوحيدة السجينة، التي ستُذبح مثل جميع نساء الجزيرة، ولكن شهريار لم يعلم أن الضحية الأخيرة هي ابنة وزيره سُنقر، بدون أن ينظر سُنقر إليها أو يجيبها على سؤالها هم بالرحيل وهو يغلق باب الزنزانة عليها مرة أخرى لتعود هي تنظر بابتسامة باهته نحو الشراعة وتبدأ بالغناء من جديد..

***

عاد سُنقر إلى السلطان مُتخبطًا، هناك مشاعر بداخله لا يستطيع أن يبوح بها، كان شهريار يقف في غرفته أمام المرآة يهندم لحيته، فوجد في انعكاس المرآه سُنقر يقف خلفه، فاستدار بنصف جسده ونظر له، فانحنى له الأخير ومن ثم قال له:

- مولاي.

- قل ما عندك.. قالها شهريار وهو يشعر أن هناك أمرًا ما، فبلع سُنقر ريقه بصعوبة وهو يقول بصوتٍ مهزوز:

- السجينة الأخيرة!!

- ما بها؟!

أبعد سُنقر عينه عن عين السلطان ونظر إلى الأرض مطرقًا وقال بتردد بصوت مرتعش:

- لا تريد مقابلتك يا مولاي.

جحظت عين شهريار والغضب بدأ يتسلل ليظهر على قسمات وجهه العريض، فاقترب من سُنقر وأمسك بتلابيبه وضغط بيده بقوة كادت أن تخنقه وقال له بحنق:

- مَن تلك الفتاة التي لا تريد مقابلة سلطان الجزيرة شهريار؟!

بأنفاس كادت أن تنقطع من قبضة يد شهريار قال سُنقر بصوت مبحوح:

- اتركني يا مولاي.

ظل شهريار يضغط بيده على القصبة الهوائية لسُنقر بغضب حتى تركه وهو يدفعه بقوة للأمام، فانبطح سُنقر على الأرض وظل يأخذ أنفاسًا متسارعة ليعيد الهواء من

جديد إلى قصبته الهوائية، وهو يتحسس رقبته.

أعطى شهريار ظهره إلى وزيره وقال:

- ما اسم تلك الفتاة؟

بصوتٍ مبحوح وبترقب شديد قال:

- شهرزاد.

عقد السلطان حاجبيه والتفت نصف التفاتة نحو سنقر الذي ما زال منبطحًا على الأرض يلهث وقال:

- أعتقد أنني سمعت ذلك الاسم من قبل، ولكن أخبر الحراس والسياف أن إعدام تلك الحثالة الآن.

جحظت عين سُنقر وهو يقول:

- ولكن يا مول...

قاطعه شهريار غاضبًا:

- نفذ ما قلته لك.. انتهى من جملته غاضبًا وترك الغرفة ذاهبًا للخارج...

***

هناك حارسان يرتديان دروعًا نحاسية، وفي المنتصف تسير (شهرزاد) مُكبلة بالحديد في يديها وقدميها، تخطو

ببطء حافية القدمين، تبتسم ابتسامة بلهاء خالية من المشاعر، حتى وجدت نفسها دخلت ساحة واسعة خالية من البشر سوى ذلك الرجل طويل القامة، عريض المنكبين، عاري الصدر، أسود اللون، تتلألأ حبيبات العرق فوق جسده الممشوق، يقف منتصبًا فوق منصة خشبية عالية، يضع يده فوق غمد سيفه، وهناك نمر عملاق مربوط بسلسلة في عنقه يجثم تحت المنصة ويتثاءب.. تسير شهرزاد وهي تشتم رائحة الدماء في كل ركن في تلك الساحة، تريد أن تتقيأ ولكن حاولت أن تستجمع نفسها ولا تظهر ضعفها أمام السلطان.

متواجد على الجهة الأخرى أبوها وزير السلطان سُنقر، كان واقفًا مستقيمًا وضربات قلبه وصلت إلى أقصاها، تلتمع الدموع في عينيه، لا يستطيع أن يوقف حكم الإعدام عليها، وخصوصًا بعدما أبت شهرزاد أن تأتي إلى السلطان شهريار وعصت أوامره.

وقفت شهرزاد فوق منصة الإعدام في كبرياء وهي تنظر على الجهة اليمنى، فرأت شهريار جالسًا فوق مقعد وثير، وعلى الجانبين حراسة يحملون الريش الطويل ليتظلل أسفله من أشعة الشمس الهادئة، ويتلذذ بمقتل تلك الفتاة..

بعد أن صعدت شهرزاد المنصة تحركت قسرًا حتى أمرها

أحد الحراس أن تجلس على ركبتيها، فجلست بكبرياء وهي تنظر في عيني السلطان الجالس أمامها، يميل الحارس الآخر رأسها قليلًا على خشبة المقصلة، بينما ينظر إليها شهريار من مجلسه وهو مندهش لأمر تلك الفتاة التي لم تصرخ مثل الأخريات، لم تتوسل إليه أن يتركها فحسب، بل أبت وقررت ألَّا تأتي إليه وعصت أمره، فنهض واقترب نحو المنصة حتى أصبح أسفلها في مستوى رأسها ينظر في عينيها الزرقاء بكل أريحية، نظر إلى السياف وهز له رأسه فأخرج السياف سيفه من غمده فلمع نصله في أشعة الشمس، وأحكم قبضة يده ليتمكن من السيف جيدًا، فهمس السلطان لها وبدأ الحديث معها وقال:

- لماذا لا تبكين؟

- ولماذا أبكي؟! قالتها ببطء وهي تنظر له بتحدٍّ، وقف مندهشًا من ردها غير المتوقع، فتابعت وهي تقول:

- على كل شخص أن يعلم أن له نهاية، ولكن هل الكل سيحافظ على كرامته حتى لو قُتل على يد سلطان الجزيرة؟

فنظر لها شهريار متعجبًا في أمرها، فقالت مرة أخرى بخبث:

- هناك سؤال مولاي أخير أريد أن تجاوبني عليه.

فقال شهريار بعجرفة وتباهٍ:

- لا يوجد نقاش بين الجواري والسلطان.. قال جملته ولكن فضوله يجعله يريد أن يعرف ما سؤالها، فنظر من جديد في عينيها فوجد ابتسامة على شفتيها وكأنها تعلم ما في نفسه، فقال بتردد:

- قولي ما عندك.

- لماذا قتلت جميع نساء الجزيرة ولماذا تضاجعهن قبل ذبحهن، هل لتثبت ذكوريتك ورجولتك عليهن أم ماذا؟

توتر شهريار قليلًا وأبعد نظره عنها، التفت فوجد الحارسين يقفان في صمت، فعاد بنظرته إليها واقترب من أذنيها وهمس كفحيح الثعبان وقال:

- أقتلهن لأني أكرههن.

- ولماذا تكرههن يا مولاي؟ قالت شهرزاد جملتها وهي تريد أن يمتد الوقت ولو قليلًا، شعرت أن الأمور تسير كما هو مخطط له، فقال شهريار:

- أكره مكرهن، وأنت أيضًا ماكرة أيتها الجارية.

فابتسمت شهرزاد بدلال وقالت:

- لست ماكرة كمكر أبناء عزيز القط لعبده السكاكيني.

القط؟!! ألتقط طعمها التي تتميز به وهو حكاية القصص، وانتظرت حتى تبلع الضحية طعمها، رمقها شهريار وعقد يديه خلف ظهره ونظر إليها بعدم فهم وقال:

- من؟! عن ماذا تتحدثين؟ من هؤلاء الذين تتحدثين عنهم؟ وفي أي بلد يعيشون؟

فقالت بمكر:

- أشخاص عاشوا في زمن غير زماننا، وبلد قريبة من هنا تُدعى القاهرة، ولكن ليس هناك متسع من الوقت لتسمع قصتهم يا مولاي.

قال بدون تردد:

- بل سأسمعها.

نظرت إليه وشعرت بفضوله حول شخصيات قصتها، فشعرت بتلذذ لم تشعر به من قبل فقالت:

- ولكن سيطول الأمر.

نظر السلطان إلى السياف نظرة آمرة فارتخت يد السياف وعاد بالسيف من جديد إلى غمده، فعاد ينظر إلى شهرزاد وقال:

- سأسمعها مهما كلفني الأمر، ولكن لو كانت قصة يعرفها العامة في قصري وفي جزيرتي سيكون مصيرك الموت على يدي شخصيًا بطريقة لم أقتل بها أحدًا من قبل.

فابتسمت له شهرزاد وظهرت أسنانها البيضاء المنمقة والتمعت عيناها وقالت بصوت أنثوي ناعم:

- (بلغني أيها الملك السعيد..).

***

2

ظل الفتى يهرول خائفًا وهو يحتضن كيسًا قماشيًا، ومن خلفه تجار السوق يهرولون خلفه، كان يسير الفتى بسلاسة من بين المارة والأزقة، وهم لا يتركونه فحسب، بل ظلوا يلاحقونه بدون استسلام يريدون أن ينالوا منه.. نيتهم كانت واضحة منذ البداية، هذا الفتى قام بعملية احتيال على بعض تجار السوق وفر منهم هاربًا..

فتى اقترب عمره من 20 عامًا، يرتدي قميصًا فضفاضًا وبنطالًا قماشيًا كلاسيكيًا، وقبعة أفرنكية فوق رأسه، يلهث وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة، وقف الفتى لثوانٍ وهو يأخذ أنفاسه المتسارعة، ثم اختلس النظرات خلفه فوجدهم على بُعد أمتار منه يهرولون نحوه، نظر من جديد أمامه ومسح بكم قميصه قطرات العرق الهاربة من فوق جبينه، ومن ثم انطلق مجددًا للهروب، حتى انحنى بجسده ودخل زقاقًا به سور متوسط الطول، في نهاية الزقاق يسد عليه الطريق من الجانب الآخر، وقف الفتى أمامه مندهشًا وتلفت يمينًا ويسارًا ليجد منفذًا آخر للهروب ولكن لم يجد سبيلًا، لقد وقع في الفخ، وسينال منه التجار بلا شك.

ظلت الأفكار تتشاجر في رأسه، ووصلت دقات قلبه إلى أقصاها يسمعها كطبول الحرب، سمع صوت ضحكات خلفه

فالتفت خائفًا في فزع وهو ما زال محتضنًا الكيس القماشي، فوجد جميع التجار الذين قام بالاحتيال عليهم يقفون خلفه، ولعابهم يسيل على فريستهم التي أصبحت أمامهم الآن، اقترب أحدهم نحو الفتى فتراجع الأخير خطوات للوراء بأقدام مهترئة، فقال الرجل بصوت أجش متغلغل برائحة التبغ:

- والله ووقعت يا ابن القط.

بلع الفتى ريقه بصعوبة وأغمض عينيه للحظات يحاول أن يستجمع قوته مرة أخرى، أخرج زفيرًا هادئًا ومن ثَم نظر من جديد نحو السور الذي يسد عليه الطريق في نهاية الزقاق، وهرول نحوه بخفة مع نظرات ذهول من التجار، وبخفة ورشاقة صعد السور بكل سهولة وهو يضحك على نظراتهم المشدوهة وهم يقفون متصلبين ينظرون إليه، رفع لهم يده وأعطى لهم إشارة بإصبعه الأوسط وهو يضحك وفر منهم هاربًا..

***

على الجهة الأخرى ظل الفتى يسير بهدوء قليلًا يتلفت خلفه لعل أحدًا يراقبه ويطيح به، أخذ ركنًا منزويًا في السوق وجلس على الأرض بملابسه كما يطلق عليها ملابس أفندية، وفتح الكيس القماشي وأخرج منه بعض الأقمشة

الحريرية مختلفة الألوان، ومن ثم أخرج كيسًا قطيفة ناعمًا صغيرًا وأخرج منه بعض النقود، قام بعدِّ النقود وهو يبتسم بشدة، ثم وضعها في جيب بنطاله القماشي، ثم أخذ القماش الحريري وتحرك نحو تاجر يعرض عليه أقمشته التي جلبها من خارج البلاد ويريد بيعها هنا.. هذا ما يقوله للتجار، ولكن الحقيقة هي غير ذلك.

بدأ البائع يعجب كثيرًا بالكلام المعسول الذي يتحدث به الفتى، فيأخذ قطعة أو قطعتين من القماش بسعر بخس، ثم يتحرك الفتى بخفة على بائع آخر ويعرض عليه باقي الأقمشة التي في حوزته، وهكذا مع الكثير من البائعين، في تلك اللحظة نظر بعينيه بالصدفة فوجد شابًا صغيرًا يقف على بعد خمسين مترًا منه، وبجواره تجار السوق الذين كانوا يلاحقونه منذ قليل، وهذا الشاب الصغير يشير بيده نحو الفتى، فجحظت عين الفتى خائفًا ولملم أشياءه مسرعًا وهرول من جديد، فظل تجار السوق يلاحقونه من جديد مع نظرات اندهاش من البائعين والزبائن..

ظل يهرول ويهدم أي شيء يعرقل مسيرته للهروب، حتى دخل حارة صغيرة لا يوجد بداخلها سوى منزل كبير منزوٍ به إضاءة شحيحة، وبابه خشبي موارب، فنظر خلفه فلم يجدهم خلفه، فتسحب ودخل المنزل خائفًا وأغلق الباب

ببطء حتى لا يشعر به أحد.

أسند ظهره على الحائط وهو يحاول أن ينظر من الفتحات المتواجدة من الباب الخشبي للمنزل، صدره يعلو ويهبط بشكل سريع، يخرج زفيرًا هادئًا لكي يهدأ قليلًا، سمع حركة في الخارج فنظر بحذر فوجد تجار السوق قد أتوا يبحثون عنه، كتم أنفاسه بيده حتى لا يشعروا به من الخارج، في تلك اللحظة اشتعلت الإضاءة فجأة بداخل المنزل، ففتح الفتى فمه ببلاهة خائفًا، وجد أحدًا ينزل بقدميه من فوق الدرج، يسمع الخطوات بحذر فنظر نحو الصوت مشدوهًا، حتى ظهرت امرأة تبلغ من العمر خمسين عامًا، تخفي شعرها أسفل منديل بني اللون، وجسدها قد أهدره الزمن ومنحنياتها أصبحت مترهلة، فنظرت أمامها وجدت ذلك الفتى واقفًا خائفًا، ففزعت وهي تفتح فم عباءتها من فوق وتبصق بداخله وهي تقول:

- بسم الله الرحمن الرحيم أنت مين يلا؟

بلع الفتى ريقه وهو ينظر خلفه نحو الباب الخشبي، وما زال صوت التجار في الخارج يعلو في تلك اللحظة، سمعوا الخبط على الباب قويًا، تحركت المرأة نحو الفتى وهي تنظر له باستغراب شديد وتقول بصوتٍ عالٍ:

- ما تنطق يلا أنت مين؟

تحرك نحوها الفتى وقال بتوسل شديد:

- الناس اللي بره دي بتلحقني وعاوزين يموتوني، هربيني منهم أبوس إيدك وأنا تحت أمرك.

نظرت له المرأة من رأسه حتى قدميه، ونظرت إلى جسد الفتى الذي كان يرتدي قميصًا فضفاضًا وبنطالًا قماشًا كلاسيكيًا، لاكت اللبانة في فمها، ومن ثم نظرت نحو الباب حيث صوت الخبط، فنظرت من جديد نحو الفتى وقالت وهي تشير بيديها:

- خش الأوضة اللي في البدروم دي واستخبه لحد ما ارجعلك.

ابتسم الفتى ولملم أشياءه وتحرك مسرعًا نحو الغرفة المقصودة وأغلق الباب خلفة بإحكام، ما زال صوت الخبط على الباب يعلو، وصوت الرجال في الخارج محتل المشهد، فتحركت المرأة نحو الباب وفتحت وهي تقول بفزع:

- إييه مالكوا في إيه؟؟؟

تنحنح أحد الرجال وهندم جلبابه أمامها وهو يقول بصوت شبه هادئ:

- متأخذيناش يا ست بس مشوفتيش عيل كده يجي 19

سنة دخل بيتك.

رفعت حاجبها ووضعت يديها فوق خصرها وهي تلوك اللبانة في فمها وقالت:

- والعيل ده يدخل عندي ليه إن شاء الله شايفني بتاعة عيال.

تحرك رجل آخر وهو يقول بأدب:

- مش القصد يا ست، بس في عيل ابن حرام بيقول إنه ابن عزيز القط الله يرحمه، ونصب علينا كلنا في السوق وهرب ابن العفاريت، ولما جرينا وراه لمحناه عدم المؤاخذة دخل الشارع ده، والشارع ده مفيهوش غير بيتك، فقلنا ممكن يكون نط من هنا ولا هنا ولا حاجة.

ضحكت ضحكة عالية جلجلت الحي بأكمله، وهي تقول بسخرية مبالغ فيها:

- عيل عنده 19 سنة يضحك على رجالة بشنبات يقف عليها الصقر، مش عيب عليكوا يا رجالة.

- طيب محستيش بيه جوه البيت.. قالها رجل آخر.

- يوه ادخل وشوف يا خويا بنفسك لو مش مصدق، قالتها وهي تفتح الباب على مصراعيه أمام الرجال، تبادلت

الرجال النظرات وهم يحدقون في المرأة الواقفة أمامهم، ثم انصرفوا واحدًا تلو الآخر من أمام المنزل.

انتظرت حتى خرجوا جميعًا من الحارة وعادت للداخل وأغلقت الباب خلفها بإحكام، ونظرت نحو الغرفة التي بداخلها الفتى وتحركت نحوها، أسندت بيديها نحو الحائط في مواجهة الباب وقالت:

- خلاص الدنيا أمان.

قالت جملتها وهي تعاود من جديد، وتخرج علبة سجائر وتسحب واحدة وتتناولها، فسمعت من خلفها صرير فتح الباب ويخرج الفتى رأسه بحذر، ثم تقدم بباقي جسده، فجلست المرأة فوق مقعد خشبي ووضعت قدمها اليمنى فوق اليسرى وقالت بعدما نفخت أنفاسها:

- إيه حكايتك؟ وإيه الكيس اللي في حضنك ده.

تلعثم الفتى وحاول أن يلملم أفكاره وقال بدون مواربة:

- ألف شكر ليكي يا ست، مش عارف أقولك إيه بصراحة على الجدعنة دي.

- تقولي إيه حكايتك وليه بتقول إنك ابن عزيز القط.

تنحنح الفتى ونظر إلى السقف قليلًا ثم نظر إلى المرأة

وقال لها:

- هو إنتي تعرفي عزيز القط؟!

- وولاده.. قالتها المرأة بثقة وهي تلقي بعقب السيجارة تحت حذائها وبثقة تدهسه كالمعتاد، فزم الشاب شفتيه وظل يفكر قليلًا فقاطعت تفكيره المرأة وقالت:

- أنا اسمي جليلة، أشهر واحدة في الحي كله، وأعرف عزيز القط الله يبشبش الطوبة اللي تحت راسه كويس من زمان، وأعرف إنه مخلف ولدين، مسعد الكبير وصقر الوسطاني، وبنت وحيدة اسمها سندس اللي يعيني اتقتل وهي لسه حتة لحمة حمرا، ولاده الرجالة زباين عندي، بس سندس عمري ما شوفتها.

قالت جملتها جليلة وظلت تنظر إلى الفتى الواقف مستقيمًا أمامها بدون حراك ينظر لها وعلامات استفهام كثيرة أمام عينيه، فتابعت جليلة بخبث وهي تنظر في عين الفتى وقالت:

- وبعرف كمان أفرق ما بين الراجل والست كويس.. قالتها وهي تنظر بتحد إلى الفتى الواقف أمامها، فبلع الفتى ريقه وبدون تردد خلع القبعة التي يرتديها فانسدل شعرًا بنيًا ناعمًا على كتفها، وخلع الشارب المزيف الذي كان يزين وجهه

وصدر صوتًا ناعمًا منه ليس مستعارًا وقالت:

- أنا سندس بنت عزيز القط.

***

تثاءب المعلم عبده السكاكيني في نومته وهو يزيح الغطاء عن جسده، رجل بلغ الستين من عمره، أصلع الرأس ذو شارب كث أبيض اللون، فرك عينيه ونهض بنصف جسده، وضع ذراعيه أمامه فوق ساقيه متقوسًا ونظر أمامه فوجد زوجته واقفة أمام المرآة وسط الحجرة تسرح شعرها الأشعث، وترتدي عباءة منزلية مطرزة، فمسح وجه بيده وقال بصوتٍ ناعس:

- حلم غريب.

نظرت إليه زوجته وهي تربط منديلًا فوق رأسها وقالت بخوف متسائلة:

- خير إن شاء لله.

نظر إليها وظل صامتًا قليلًا، زاغت عيناه نحو الدولاب الخشبي الذي يزين الغرفة، ومن ثم عاود النظر نحو زوجته التي تنتظر منه الرد فقال لها:

- حلمت بعزيز القط.

تجلت في عين المرأة نظرة غير مفهومة، فراقبها بعينيه القويتين، وتذكر جرحًا قديمًا، عقدت حاجبيها وضيقت عينيها وقالت مستفهمة:

- عزيز القط؟! هز رأسه لها وهو يتابع:

- نسيتِ العربجي اللي كان طمعان في بيتنا.

ندت عنها آه وتمتمت:

- يااااا ده فات زمن يا حاج.

- 20 سنة فاتوا..

تقدمت حتى جلست على حافة السرير بجواره بجسدها الممتلئ، ونظرت له نظرة حانيه وهي تربت على يديه الضخمتين وقالت:

- شوفت إيه في المنام يا حاج..

نظر لها نظرة طويلة بها الكثير من المعاني والذكريات وقال:

- شوفته زي آخر مرة شوفته فيها في الحارة، وهو راكع تحت رجلي وأنا بغرز السكينة في قلبه، وهو بصلي وبيضحك، وردد آخر كلمة هقتلك يا سكاكيني زي ما قتلتني.

شهقت زوجته وقالت:

- أعوذ بالله!

قالت جملتها وتجمدت ملامحها، فقال السكاكيني بقلق وخوف:

- إنتي خايفة؟

ابتسمت المرأة ابتسامة لتخفي شعورها بالخوف في وجه زوجها وقالت بهدوء:

- أبدًا أنا بحاول أفسر الحلم الغريب ده.

رفع الغطاء كاملًا من على جسده ونهض من فوق الفراش، ووضع قدميه فوق شبشب منزلي، وأعطى ظهره لزوجته وهو يتمتم:

- المهم الحلم ده فكرني بحاجات كنت خلاص نسيتها.

هرولت المرأة خلفة وهي توقفه بسؤالها:

- حاجات زي إيه يا حاج؟!

استدار بجسده الضخم ونظر في عينيها طويلًا وقال:

- فكرني باللي حصل يوم دفنة عزيز القط، لما مراته جمعت عياله الاتنين قدامها ورفعت طفلها الأخير فوق القبر، وندرت

إن هيكون موتي على إيد ولاده التلاته.

زمت الزوجة شفتيها وبدا القلق والخوف يتملكان منها، ولكن حاولت ألا يظهر عليها القلق فقالت:

- لكن مرات القط اختفت من اليوم ده.

هز السكاكيني رأسه متفهمًا قولها وقال لها:

- وزمان ولادها بقوا شباب دلوقتي.

ابتسمت ابتسامة هادئة لكي تطمئنه وقالت بلطف:

- ده مجرد حلم يا حاج، وأنت كبير حي السكاكيني كله، ومحدش يقدر يقربلك.. النهارده يوم الحفلة السنوية اللي بتعملها في البيت الكبير، ومتخليش حلم يهزك، النهارده بشوات المحروسة كلهم هيبقوا في استضافتك.

أخرج زفيرًا طويًلا من صدره، وهز لها رأسه متفهمًا مقصدها له، ثم تركها ذاهبًا نحو الحمام.

***

ما زالت جليلة تجلس فوق مقعدها الخشبي المتهالك وهي تضع قدمها اليمنى أسفل فخذها، وتنظر إلى تلك الفتاة التي كانت تتخفى على هيئة فتى، ترفع حاجبها وقالت لها مستفسرة:

- إيه حكايتك يا بت إنتي وليه عاملة في نفسك كدة؟

اقتربت سندس منها وهي ترفع خصلة من شعرها فوق أذنيها وقالت:

- جيالك مخصوص يا ست جليلة.

نهضت جليلة من مجلسها فاهتز جسدها الممتلئ وقالت:

- وماله مدام جيالي مخصوص تبقي تقوليلي عاوزة إيه من غير لف ودوران.

- شغل.

أصدرت جليلة ضحكة عالية اندهشت سندس منها، فاقتربت جليلة من سندس وأمرت يدها فوق صدرها وقالت:

- العود مشدود واللف مين يتمناه.

أنزلت سندس يد جليلة من فوق صدرها وقالت:

- فهمتيني غلط يا ست جليلة.

عقدت جليلة حاجبيها وقالت بدون فهم:

- يوه مالك يا بت القط، قوليلي إيه اللي بيدور في دماغك.

ابتسمت سندس واقتربت من جليلة وقالت لها:

- عارفه إنك إنتي عندك فرقة يا ست جليلة بتحيي بيها حفلات المحروسة كلها، وأنا لهلوبة في الرقص واعجبك أووي.

نظرت لها جليلة نظرة طويلة فيها كثير من الأسئلة وعلامات الاستفهام، ومن ثم ظهرت ابتسامة على شفتيها وهي تقول:

- رغم إن مش مرتاحة ومش مصدقة الفيلم ده كله، بس عجبتيني يا بنت القط.

- يعني هتشغليني معاكي. قالتها سندس بحماس مبالغ فيه.

استدارت جليلة وهي تتمختر بقدميها السمينتين وقالت دون أن تنظر لها:

- سبيني أدورها في نفوخي وأشوف.. ثم صمتت لبرهة وتابعت قولها:

- ولا أقولك أنا كان عندي واحدة في فرقتي جتلها حُمى ورقدت في السرير، ممكن آخدك مكانها، أنا عندي حفلة في بيت عبده السكاكيني، هتيجي معايا، ولو فلحتي هتبقي معايا في فرقتي.

ظهرت شبح ابتسامة على قسمات وجه سندس وكأنها

نجحت في مبتغاها، وهزت رأسها وهي شاردة، هذا ما كانت تتمناه، وهو دخول بيت عبده السكاكيني..

***

3

انتهت التجهيزات الخاصة بالحفلة بمنزل السكاكيني، وبدأ الزوار يأتون من كل حدب وصوب، الجميع يقف متأهبًا، يقف عبده السكاكيني ببذلة كلاسيكية فخمة وطربوش منفوخ فوق رأسه، يقف بكل هيبة حتى بدأ الزوار يأتون واحدًا تلو الآخر، بدأ يرحب بهم.

بعد أقل من نصف ساعة كان بهو المنزل ممتلئًا بالزوار من كبار أهالي المحروسة، في تلك اللحظة كانت الساعة تقترب من العاشرة مساءً، عندما تهادت سيارة كاديلاك سوداء أمام بوابة منزل السكاكيني، قفز السائق وانحنى وفتح الباب، ثم نزل نائب الملك الذي حضر الآن، كان يرتدي بذلة فرنسية فخمة، وعلى رأسه طربوش أنيق، وأمسك بين أصابعه سيجار الكوبي الفاخر مشتعلًا، راح من بين الحين والحين يأخذ منه نفسًا، يخطو ومساعده يهرول خلفه، جاء بدعوة من عبده السكاكيني كما هو معتاد كل عام، بدأ يتقدم عبده السكاكيني نحوه وهو يقول له بود وبأدب:

- حي السكاكيني كله نور بوجودك يا باشا.

ضحك نائب الملك وهو يربت بيده على يد عبده السكاكيني المنحني أمامه وقال بعدما وضع السيجار في

فمه فاختلطت رائحة الدخان بعطره الفرنسي وقال:

- منورة بأهلها يا عبده. قال جملته وهو يسحب عبده السكاكيني من كتفه وانزوى كلاهما في ركن لمشاهدة مراسم الحفل السنوي.

في هذا الوقت اشتعلت الموسيقى وبدأ الزوار يأخذون أماكنهم، يمر النادل بزيه المعتاد، القميص الأبيض والبنطال الأسود والبيبيون الأسود الفاحم، وبيده صينية فخمة فوقها أكواب من الكونياك مرصوصة بشكل مساو، يمر على جميع الحضور هو وأصدقاؤه، فيشرب الجميع، وتبدأ الصيحات ونوبات الضحك.

في هذا الوقت كانت تقف في الدور العلوي للمنزل فتاة صغيرة تجلس، تختلس النظرات للحفلة، وبيدها ورقة وقلم، وقد قامت برسم الحفلة بشكل طفولي وهي تضحك ضحكة ملائكية..

يقف عبده السكاكيني مع نائب الملك يتحدث معه عن ظروف العمل وأحوال البلاد، حتى لفت نظره في الخارج شيء، وقفت كاريته ودلفت منها جليلة ومعها فرقتها التي سوف تحيي بها الحفلة، رآها تتجه نحو الباب الخلفي للمنزل، فنهض السكاكيني من مجلسه بعدما استأذن من نائب الملك فسمح له الأخير بإشارة من يده، ثم تحرك نحو الباب

فوجد جليلة تصعد السلم وجسدها المتهدل يهتز ومعها أربع فتيات، وقف يتأملها حتى صعدت الدرج مسرعة ووقفت في مواجهته تأخذ أنفاسها فقال لها:

- كل ده تأخير يا جليلة الناس قربت تزهق.

- متأخذنيش يا سي عبده لحد ما جهزت أنا والبنات.

اعتدل السكاكيني في وقفته ظل واقفًا منتصبًا ونظر بعيونه نحو الفتيات، كانت سندس من بينهن تنظر له نظرة قوية بها الكثير من الحقد، فنتبه لذلك وبادلها نفس النظرة الطويلة بلا معنى، فوجه كلماته إلى جليلة وهو ما زال ينظر في عيون سندس القوية:

- أنا شايف وجوه جديدة معاكي يا جليلة.

ضحكت جليلة ضحكة عالية لتلفت انتباه الحضور، ونظرت حيث قال فوجدته ينظر إلى سندس فقالت بدون مواربة:

- وحياتك دي لسه بالسوليفانه والله يا سي عبده، جيباها النهارده مخصوص علشان خاطر عيونك وعيون البشاوات.

عاد السكاكيني ينظر إلى جليلة وهز رأسه متفهمًا قولها وقال:

- لما نشوف يلا اجهزوا علشان نبسط الباشا نائب الخديوي،

أنهى جملته وعاد من جديد لاستقبال ضيوفه.

***

في هذا الوقت بدت منطقة السوق وكأنها مكان مهجور منذ زمن بعيد، لا تشع بالضجيج كعادتها، دكاكينها مغلقة، وتجارها متقوقعين بداخلها.. ترجرجت سيارة نصف نقل محملة بالصناديق والمعلبات على طريق مفروش بالأحجار الصغيرة، تعلو وتهبط بشكل ملحوظ، خلف عجلة القيادة يجلس (طه البنا)، وهو شاب في بداية عقده الثالث يرتدي قميصًا ناصع البياض ذا لون الأبيض، وبنطالًا قماشيًا كلاسيكيًا، وحمالات تربطهما ببعضهما وكأنهما متزوجان عن قصة حب طويلة، وقبعة فوق رأسه، يظهر من الجوانب بعض الشعيرات اللامعة، مشمر أكمامه إلى منتصف ذراعيه، متمثلًا بالموضة الجديدة، مهندم متباهٍ بجسده الممشوق..

بالكرسي المجاور له جلس كلبه (ريكس) ينظر من النافذة مستمتعًا كثيرًا بالهواء الذي يصطدم في وجهه، فرمل سيارته لترسم عجلاتها خطين متعرجين خلفها بالقرب من (كازينو ألماظة)، وأطلق نفيرًا من سيارته، فظهر من داخل الكازينو رجل في أواخر عقده الخامس، أبيض الوجه ذو شعر أصفر وعيون زرقاء خلف عدسات زجاجية، يرتدي سترة باهظة الثمن، خرج من الكازينو عاقدًا يديه خلف

ظهره، ونظر إلى السيارة، فرفع (طه) جسده وخرج بنصفه العلوي من السيارة وأشار بيده نحو ذلك الرجل وهو مبتسم وقال له:

- ويلكم يا خواجة!

رمقه ذلك الرجل بنظرة حادة ولم يتحدث، فقرأ طه ذلك في عينيه، فخرج من السيارة واقترب منه وهو يقول وكأنه يتقن اللغة الإنجليزية:

- محسوبك طه إيجيبشن جود مان يا خواجه.. نظر له ذلك الرجل نظرة حادة ولم يتحدث إليه، فقال طه من جديد:

- شكلك لسه جديد هِنا وهتقرفني معاك.

اقترب ذلك الرجل من السيارة ونظر إلى صندوق السيارة، فوجدها محملة بالصناديق، فنظر نحو طه وقال بلغة عربية سليمة:

- جبت النبيذ اللي اطّلب منك؟

فتح طه فاه مندهشًا، إنه يتحدث اللغة العربية المصرية بكل سهولة، وظهرت ابتسامة عريضة على وجهه وهو يقول:

- حمدًا لله على السلامة يا خواجة، مش تقول إنك بتتكلم مصري.

في هذا الوقت سمعوا صوت الموسيقى العالية آتية من المنزل المجاور للكازينو منزل السكاكيني، فضحك طه وهو يقول:

- هي الحفلة بدأت.

- من شوية. قالها ذلك الرجل بصوت رخيم به بعض الرزانة.

ظل الكلب ريكس ينظر من السيارة نحو المنزل خائفًا، يقوم بالنباح بصورة مفزعة، فنظر طه إليه من النافذة وقال متحدثًا له:

- ريكس مالك فيك إيه إهدى شوية.. كأن ريكس يفهمه، كان ريكس بالنسبة لطه كل شيء، وكأنه وجد صديقه الوفي الوحيد في هذه الحياة، ولكن عندما تحدث له طه هذه المرة كأنه لم يسمعه واستمر في النباح، اعتدل طه في وقفته وقال موجهًا كلامه إلى ذلك الرجل:

- عدم المؤاخذة يا خواجه معرفش ماله.

نظر له ذلك الرجل دون أن يتحدث وهز رأسه وقال له بنبرة آمرة:

- جيب الصناديق دي وتعالى ورايا.. قالها وتحرك نحو الكازينو، فهرول طه إلى صندوق السيارة، وحمل صندوقين

دفعة واحدة مُستعرضًا عضلاته المرسومة بكل حرفية وجسده الممشوق، وذهب خلفه داخل الكازينو..

وضع طه الصندوقين في المقدمة وعاد من جديد نحو السيارة ليأخذ الباقي من البضاعة، في تلك اللحظة وجد كلبه ريكس يقفز من نافذة السيارة ويهرول نحو منزل السكاكيني، اندهش من هذا طه، وقال بصوت مرتفع:

- ريكس ريكس.

وجده يقفز من البوابة الحديدية ويدخل المنزل، فهرول خلفه طه ودخل المنزل هو الآخر، وقف في الحديقة الخارجية للمنزل وتلفت فلم يجد لريكس أثرًا، فقام ودخل المنزل، وجد الزوار يرقصون بمرح، وأصوات ضحكاتهم تعلوا أكثر فأكثر، لم يهتم به أحد، ظل ينظر لعله يجد كلبه فلم يجده، حتى أغلقت الأنوار فجأة، فصاح الجميع مع صوت الضحكات المبالغ فيه من الحضور.. ارتعشت الإضاءة قليلًا، فبدأ صياح الحضور والضحكات تعلو أكثر.. انطفأت الإضاءة ومن بعدها ارتعشت الإضاءة للمرة الثالثة، فظهر شبح أشخاص، ثم أغلقت مرة أخرى ومن ثم سمعوا صوت عيار ناري قد انطلق من مسدس ليعلن عن وجود ضحية.. في تلك اللحظة ارتعش جسد طه قليلًا وسمع صوت صياح الحضور الخائف، ارتعشت الإضاءة من جديد فظهر عبده السكاكيني

مُستلقيًا فوق بطنه ينزف دمًا، فبدأ الحضور تعلو أصواتهم أكثر فأكثر حتى أغلقت الأنوار من جديد، وبدأ جميع الزوار في الفرار من ذلك المنزل..

***

- وماذا بعد.. قالها السلطان شهريار وهو جالس فوق أريكته الوثيرة، وأمامه تجلس شهرزاد، فضحكت بخبث وهي تسمع صوتَ صياح الديك في الخارج، وتقول بدلال بعدما تثاءبت:

- مولاي لقد صاح الديك، والشمس اقتربت على البزوغ، للحديث بقية غدًا.

فنظر لها نظرة طويلة وقال بتوجس:

- يبدو عليكِ أنك ماكرة حقًا، ولكن سأنتظرك غدًا في نفس الموعد.

وقفت وانحنت بنصف جسدها وهي تقول:

- على الرحب والسعة يا مولاي.

- سُنقر.. قالها شهريار بصوتٍ عالٍ، فدخل سنقر في الحال وهو يعطي له التحية، فقال له السلطان بصورة آمرة:

- خذ تلك الجارية وأعطِ لها غرفة تكون بجوار غرفتي، واجعل الحراس لا يغفلون عنها.

- أوامرك مولاي. قالها سُنقر وهو يبتسم، فنهضت ابنته شهرزاد وظلت تسير بجواره بدون أن تتفوه بكلمة، حتى أوصلها إلى غرفتها، فهمست في أذنه قبل أن ترحل وقالت:

- مولاك لو يعلم أنني ابنتك ستكون أنت الضحية في ساحة الإعدام أمام الجميع، فاحذر يا أبي. قالتها وتركته في حيرة ودخلت غرفتها.

***

الفصل الثاني

الزيـــارة

1

حارة اليهود، الجمعة الأولى من شهر يناير عام 2010م.

فرض الليل سطوته، واستقر الظلام في الأحياء، كان الظلام حالكًا لا يخفف سواده سوى شعاع النجوم الساهرة، أعمدة الإضاءة تصدر ضوءًا أصفر باهتًا في شوارع العاصمة.. وفي رعاية الصمت الشامل امتد ظل سيارة تويوتا صغيرة على الأرض تتأرجح ببطء في الحواري، كانت السيارة تعلو وتهبط بشكل عشوائي، وصوت ضحكات عالية مسموعة صادرة من داخلها.. خلف عجلة القيادة يجلس شخص متوسط الطول ذو وجه عميق وشارب رفيع يعلو شفتيه الغليظتين غير مناسب تمامًا مع وجهه العميق وشقوق يديه الضخمة، يرتدي جلبابًا فلاحيًا فضفاضًا، يجلس خلفه شخصان على نفس هيئته، وأمامهما مُعدات للبناء، يتسامر ثلاثتهم ويضحكون بشكل هيستيري على حكاياتهم القديمة العشوائية والطفولية، وهم ينفثون دخان سجائرهم في استمتاع شديد لتتكون مجموعة من الأدخنة الزرقاء مُعبئة بداخل السيارة..

الساعة الآن اقتربت من العاشرة مساءً، وعلى الرغم من أن شوارع القاهرة في هذا الوقت تشع بالضجيج، إلا أن في هذا اليوم كانت حارة اليهود هادئة كعادتها، السكون هو المسيطر عليها، شد انتباههم الظلام الدامس أمامهم، تباطأت سرعة السيارة فلاحظوا أن هُناك لجنة من رجال الشرطة تقف في مواجهتهم في المقدمة..

تقدمت السيارة ببطء حتى استقرت أمام الحاجز الحديدي، تحرك بثقة رجل الشرطة نحو السيارة بزيه الميري العسكري متباهٍ بالنجوم المستقرة فوق كتفيه، تتجلى الصرامة في ملامحه، عقد حاجبيه الكثين وخفض رأسه ونظر إلى السائق ثم وجَّه نظرته الصارمة إلى الشخصين الجالسين خلفه وقال بتحدٍّ:

- رُخصك.

توتر السائق قليلًا وبحث بعشوائية في أغراضه، لم يمر الكثير حتى وجد تلك الورقة الصغيرة أمامه، مد يده بها نحو الشرطي وقال بلهجته الفلاحي:

- اتفضل يا باشا.

- رايح فين منك له؟ قالها الشرطي وهو يتمعن النظر إلى تلك الرخصة التي أصبحت بين يديه.

قال السائق بعدما تصنع ابتسامة على قسمات وجهه لكي يهدأ:

- حارة اليهود يا باشا.

رفع الشرطي نظره من على الرخصة ونظر بشك إلى السائق، وارتسم الاهتمام على وجهه وبعينين متسائلتين قال:

- ورايح لمين هناك يا حيلتها؟

حك السائق أنفه مداريًا إهانته وهو ينظر إلى الشرطي وقد شعر بالتوتر قليلًا:

- رايحين في مصلحة يا باشا في شغل هنعمله.. ثم أشار بيده خلفه وتابع أنا والرجالة صنيعية وفي شغلانة لينا هناك.

نظر الشرطي من جديد بشك إليه، ثم وجَّه نظراته إلى الشخصين الجالسين خلفه واستنشق دخان سجائرهم التي كانت تملأ السيارة وقال لهم بصرامة:

- أنت مبلبلع إيه يا بني حشيش ولا إيه؟

- حد الله يا باشا إلا الحرام، ده دخان عادي والله.

نظر إليهم الشرطي طويلًا متفرسًا في وجوه الثلاثة، ثم

مد يده للسائق بالرخصة فالتقطها الأخير مسرعًا، فاستقام الشرطي في وقفته واستدار بجسده ووجَّه كلمته إلى العسكري الواقف خلفه وهو يشير بيده قائلًا:

- افتح يا بني الطريق.

تسمَّر العسكري بجسده الهزيل وهو ينظر إلى الشرطي مشدوهًا بعدم فهم، فنهره الشرطي وهو يقول بصوت أجش:

- أنت أطرش يا بني بقولك افتح الطريق.

هرول العسكري لتنفيذ الأمر وقام بتحريك الحاجز الحديدي بيده لينفتح طريق مُظلم أمام السيارة، بعد ثوان تحركت السيارة من أمام الشرطي لتعدو في الطريق مع نظرات شك كبيرة من الشرطي والعسكري.

مرت السيارة ببطء، ظلت تسير فوق أرض متعرجة غير مُمهدة بداخل شارع مُظلم، كانت جميع المنازل بلا أنوار، هدوء مبالغ فيه في ذلك الشارع الغامض، ترجرجت السيارة حتى استقرت أمام منزل كبير الحجم مكون من أربعة طوابق، شبابيكه طويلة كئيبة، وضلف الشبابيك طويلة مليئة بالأتربة، مُزينة بخيوط العنكبوت، تحمل خلفها الكثير من الأسرار الغامضة، الظلام يحيطه بالكامل، يقبع بجوار المنزل لوحة نحاسية صدئة منقوش فوقها "منزل السكاكيني". قال

السائق موجهًا كلماته إلى أصدقائه:

- يلا يا رجالة إحنا وصلنا خلاص مش عاوزين حد يحس بينا، وزي ما اتفقنا هندخل من الباب الخلفي للبيت، هنخلص المصلحة وهنهبأ على طول أستبينا.

- أستبينا. قالوها بحماس شديد في آن واحد..

خرجوا من السيارة وهم يأخذون تلك المُعدات التي في حوزتهم بكل حِرص، وتحركوا بها نحو الباب الخلفي للسيارة، وأخرجوا حقيبة متوسطة الحجم منها، ومن ثم اتجهوا نحو الباب الخلفي للمنزل، وقف فجأة ذلك الشخص الذي كان يقود السيارة وأشار بيده لأصدقائه أن يقفوا خلفه، ووضع يده في جلبابه لحظة من الترقب والانتظار حتى أخرج مفتاحًا صغيرًا ووضعه في الباب الخشبي الضخم، وأدار المفتاح فسمعوا صوت تكة تدل على فتح الباب بكل سهولة، نظر السائق إلى أصدقائه وابتسم لهما، فبادلوه نفس الابتسامة، فتح الباب وتقدم للأمام، ومن خلفه صديقاه يتبعان خطواته، حتى استقر بهم الحال في حديقة صغيرة تحيط المنزل، مزينة بشجر الجميز المنطفئ، تلفتوا حولهم قليلًا يتفقدون المنزل، ولا يعلمون أن هناك عيونًا تراقبهم بصمت.

تحركوا بحرص حتى صعدوا فوق سلم رخامي، ومن بعدها

تسلقوا جدارًا صغيرًا، ثم مروا من نافذة معبأة بالأتربة، حتى وجدوا أنفسهم داخل غرفة صغيرة مُظلمة رائحتها كريهة عطنة. قال أحدهما للسائق متسائلًا بعدما سد فتحات أنفه بيده:

- هو ده المكان؟

هز السائق رأسه إيجابًا..

بحركة سريعة خلعوا جلابيبهم الفلاحي وأخرجوا معداتهم من الحقيبة، ثم أخرج واحد منهم كشافًا لينير لهما ما يقومان بفعله، وقبل أن يستعدوا للعمل سمعوا صوت يسيرًا وكأن هناك شخصًا آخر غيرهم متواجدًا معهم بداخل المنزل في الخارج، نظروا إلى بعضهم البعض وقال أحدهم:

- حد سمع حاجة؟

نظر السائق حوله بدون أن يتفوه بكلمة، لحظة من الصمت مرت عليهم، فلم يسمعوا فيها صوتًا آخر سوى صوت أنفاسهم المتحشرجة، ثم نظر السائق مجددًا لمحدثه وقال:

- متوهمش نفسك، الصوت شكله جي من الشارع تقريبًا، يلا عاوزين نخلص المصلحة، خلي الليلة دي تعدي على خير.. قالها السائق لصديقيه لكي يطمئنهم، أما هو فدلف الشك بداخله، ونظر مرتابًا خائفًا نحو مصدر الصوت بصمت..

ظل كل واحد منهم يأخذ إحدى المعدات وبدأوا في التنقيب بداخل الغرفة، في تلك اللحظة اشتعلت الإضاءة فجأة في المنزل بأكمله، مما جعلهم يرتعبون وتسير قشعريرة في أجسادهم النحيلة، ولم ينتظروا كثيرًا حتى اشتعلت موسيقى عالية صاخبة تدب وجدان جدران المنزل، نظر أحد الأشخاص إلى السائق وقال متوترًا:

- الله.. إيه العبارة دي بقى، مش المفروض البيت ده مهجور ومحدش ساكنه.

توتر السائق وبلع ريقه ببطء، ودلك جبهته كأنه يستخرج عفريتًا وقال بصوت منخفض متوجسًا:

- ده مكنش الاتفاق إن يكون في حد غيرنا هِنا، وغير كده مين العاقل اللي يسكن الخرابة دي.

انتهى من جملته وتقدم نحو باب الغرفة، خطى فوق أصابعه لكيلا يشعر به أحدًا، ثم نظر بنصف عينه إلى بهو المنزل، فوجد شيئًا غريبًا، كان المكان نظيفًا للغاية، وكأنهم في منزل آخر، وهناك إضاءات كثيرة مختلفة الألوان، ويوجد الكثير من النساء الجميلات يرتدين فساتين سهرة في غاية الأناقة بصحبة رجال أصحاب بذل سوداء أنيقة، وهُناك بيانو يبدو أنه قديم نوعًا ما، يجلس خلفه شخص طويل

القامة وسيم يعزف بأصابعه معزوفات يتراقص عليها جميع الحضور..

عاد السائق من جديد إلى أصدقائه وقال بصوت خافت مرتعش:

- أنا مبقتش فاهم حاجة، دي شكلها حفلة، في ناس ياما برة.

- طيب والعمل؟ قالها أحد الأشخاص.

ضم السائق شفتيه وأطرق مليًا كأنه يفكر في الجواب وقال:

- مفيش حل غير إننا لازم نمشي من هِنا دلوقتي قبل ما حد يحس بينا ونروح في حديد.

انتهى من جملته فسمعوا جميعًا صوت الحضور يغنون بصوت متحشرج متقطع، وكأن هناك شيئًا يطبق فوق أنفاسهم، يقولون بصوت يصم الآذان " بيت العز..يا بتنا..على بابك عنبتنا".

نظروا إلى بعضهم البعض بعدم فهم، ومن بعدها توقفت الموسيقى فجأة وتراقصت المصابيح من فوقهم، ومن ثم انطفأت الأنوار بأكملها ليعود الظلام من جديد ليكون هو

السائد على المنزل، شعروا وكأنهم سقطوا في شلال الموت، ووصلت دقات قلوبهم إلى أقصاها، ثم سمعوا صوت صياح الحضور في الخارج، توقف الصياح فجأة، فقال أحدهم وهو يتشبث بملابس صديقه:

- أنا بَدأت جتتي تتلبش يلا بينا يا جدعان من هنـــــــــ..

قطع حديثه صوت غليظ، صوت لشخص أجش بث الرعب في وجدانهم وشعروا وقتها أنها حتمًا النهاية، قال هذا الشخص بصوت مُخيف:

- ضيوفي الأحياء .. متـــخـــافوش.

***

(قبل يومين)

لم يكن على (طه البنا) سوى العزلة في مكانٍ بعيد ينعزل فيه عن كل البشر؛ لذلك قرر الذهاب إلى مزرعته النائية في ضواحي الجيزة التي لم يأتِ إليها أحد سواه، كان يريد أن يستعيد روحه من جديد، روحه التي يبحث عنها منذ زمنٍ بعيد..

كان طه واقفًا أمام الشراعة المُطلة على مساحة خضراء واسعة في استقبال الشمس المشرقة الغائبة في ذلك اليوم الجو، يبدو أنه شديد البرودة؛ لذلك كان مرتديًا معطفًا من

الصوف الثقيل فوق جسده المفتول، طه في نهاية عقده الثالث، جسده مشدود مفتول العضلات عريض المنكبين ذو لحية تخللت منها بعض الشعيرات البيضاء على استحياء، أنفه مدبب وعيناه تجري من تحتهما عروق سوداء، لم يزره بشر منذ عامين، منذ أن قرر الذهاب إلى مزرعته ولم يطلب من أحد أن يأتي إليه.

كان واقفًا وبيده فنجان من القهوة، أخذ رشفة فأغمض عينيه مستمتعًا بمذاقها في حلقه، وهو يعود من جديد إلى منتصف غرفة المعيشة ليجلس فوق مقعدًا جلديًا، وأمامه فوق المنضدة يوجد الكتاب الذي ظل يقرأه ليلة أمس حتى غفل، كتاب "ألف ليلة وليلة"، هل يعقل أن شخصًا بجبروت شهريار يقع في مكر شهرزاد، أم هو يعلم أنها ماكرة، ولذلك قرر أن يلاعبها بنفس طريقتها، هذا ما كان يدور في ذهن طه قبل أن ينظر إلى ساعة يده ليجدها دقت الثامنة صباحًا، هذا موعد وصول الجريدة من "عثمان الغفير" تيك تيك صوت خبط الباب، ومن بعدها صوت غليظ يقول بنبرة شبه عالية:

- الجرايد يا أستاذ طه .. قالها الغفير وهو يضعها أسفل عقب الباب ليراها طه وهو ما زال جالسًا في الداخل، نهض من مجلسه وتقدم ببطء حتى انحنى نصف انحناءة ومد يده وأخذ الجرائد، استقام في وقفته ومسح بعينيه العناوين

كالمعتاد وهو يعود إلى حيث قام.

ظل يقرأ الجرائد لمدة نصف ساعة تقريبًا، حيث قام ليعد لنفسه من جديد فنجانًا آخر من القهوة، ما إن دخل إلى المطبخ وقام بعمل فنجان القهوة حتى سمع صوتًا.. صوت طرق على الباب، عقد حاجبيه، لماذا يأتي عثمان الغفير إليه مرة أخرى هل يوجد مشكلة معه؟!

تحرك نحو الباب فسمع صوت طرقتين آخرتين، فوضع فنجان القهوة فوق الطاولة واقترب من الباب، نظر من العين السحرية فوجد شخصًا واقفًا مستقيمًا لم يعرفه، انتظر لدقائق وعلامات استفهام كثيرة تدور أمام عينيه حتى فتح الباب ببطء وقال بدون مواربة:

- أنت مين؟

قال الرجل بصوتٍ رخيم:

- أنا جيت في موعد غير مناسب يا سيد طه.

راح طه يتطلع إلى الرجل وطريقته، وكأنه متحدث رئاسي يتحدث مثل الإنسان الآلي، حتى لاحظ هيئته، رجل تعدى الستين من عمره، يرتدي بذلة فخمة ولكنها موديل قديم نوعًا ما، فوق رأسه طربوش وبيده عصا سوداء يتكئ عليها، فاندهش طه من هذا الشخص، فبادره الشخص قائلًا:

- هتسيبني واقف كتير على الباب يا طه.

بلع طه ريقه ببطء وقال:

- أنا معرفكش علشان أدخلك، أكيد أنت بتسأل عن شخص تاني.

مرر الرجل يده فوق شاربه الكث الأبيض وهو يقول بنفس طريقته الرخيمة:

- أنت تعرفني كويس يا طه.

ازداد الأمر غموضًا، فنظر الرجل في عين طه نظرة طويلة وهو يقول مجددًا:

- أنت متأكد إنك مشفتنيش قبل كده يا طه.

في تلك اللحظة شعر طه بالخوف والاضطراب، شعر أنه عاش ذلك الموقف من قبل، بدأ بالفعل ذلك الرجل مألوفًا بالنسبة لطه وكأنه يعرفه منذ زمنٍ بعيد، فقال طه بصوت عال بعض الشيء:

- يا ريت تقول أنت مين وجي عاوز إيه.

قال الرجل بطريقة مستفزة:

- الأول دخلني، الموضوع مش هياخد من وقتك أكتر من

خمس دقايق.

بعد لحظات من الترقب والانتظار أنساق طه وانحنى عن الباب فدخل ذلك الرجل وهو ينظر إلى الغرفة التي يعيش بداخلها طه منذ أكثر من عامين متواصلين، بعد أن أقالوه من منصبه في الجريدة التي كان يعمل بها، فتحرك الرجل نحو صورة لفتاة صغيرة موضوعة فوق الجدار ووقف أمامها لفترة، فاندهش طه من ذلك الرجل الذي يتحرك في الغرفة وكأنها غرفته، فأغلق الباب خلفه فنظر له الرجل مبتسمًا ابتسامة أظهرت تجاعيد وجه، وقال وهو يشير بيده نحو الصورة متسائلًا:

- بنتك؟!

صمت طه للحظات وقال بصورة مباشرة وهو يريد أن ينهي هذا اللقاء:

- الخمس دقايق فات منهم دقيقة.

استدار الرجل صاحب الهيبة وهو يتقدم ويجلس فوق الأريكة الموضوعة في جانب الغرفة، فملامحه أصبحت أكثر وضوحًا إلى طه، أخرج من جيبه الداخلي علبة سجائر قديمة كما هو قديم، ومد يده نحو طه فقال الأخير بطريقة خالية من المشاعر:

- مبدخنش.

بدون أن يتفوه الرجل بكلمة أمسك السيجارة بإصبعين وخبطها على ظهر يده ووضعها في فمه وأشعلها بولاعة قديمة، سحب نفسًا عميقًا فشعر طه أن ذلك الرجل خارجًا من فيلم قديم أو يعيش في زمن غير زماننا، نفخ الرجل دخانه وهو ينظر إلى طه وقال:

- أنا عبده السكاكيني.

نظر له طه ولم يفهم شيئًا، نظر إليه طويلًا منتظرًا منه أن يستكمل ما بدأه، فقال الرجل مرة أخرى:

- كنا نعرف بعض زمان يا طه، أكيد لو ركزت شوية هتفتكرني.

كان هناك شيء بداخل طه يشعر أنه بالفعل يعرف ذلك الرجل وتحدث معه من قبل، فقال بصوتٍ مبحوح بعض الشيء:

- مظنش إننا إتقابلنا قبل كده، ويا ريت ندخل في الموضوع على طول علشان معنديش وقت أفك الألغاز دي.

تبادلا النظرات بينهما لثوان حتى نفخ عبده السكاكيني دخانه في وجه طه وقال:

- عارف إنك بتحب المغامرات، وعارف إنك كاتب صحفي شاطر معزول من منصبك، وعاوز أي خبر ترجع بيه للصحافة من جديد، سبق صحفي كبير مثلًا يرجعك لشغلك ويرجع مراتك وبنتك من جديد لبيتك.

كيف يعلم هذا الرجل بكل التفاصيل التي مر بها منذ عامين، هذا ما قاله طه في نفسه وهو جالس أمام عبده السكاكيني مشدوهًا، ذلك الرجل الغامض الذي ظهر أمامه فجأة ليخبره عن فشله في عمله وفي حياته مع زوجته، فالتزم طه الصمت ولم يتفوه بشيء، فتابع عبده السكاكيني قائلًا:

- وعلشان كده جتلك النهاردة.

نظر طه إلى عبده السكاكيني بتشكك ولطريقته التي يتحدث بها وعقد حاجبيه وقال:

- وأنا مطلبتش مساعدة من حد..

ضحك عبده السكاكيني حتى ظهرت أسنانه البيضاء، وأكمل حديثه كما لو لم يسمع شيئًا من طه:

- أنا عامل حفلة صغيرة في بيتي.. بيت السكاكيني مشهور جدًا في وسط البلد يوم الجمعة بعد بكرة، وجي أدعوك للحفلة، هتنبسط أوي، وهتلاقي هناك اللي تقدر تكتب عنه

وترجع من جديد لشغلك.

- حاجة زي إيه. قالها طه مستفسرًا.

ابتسم عبده السكاكيني ببرود وهو يضع قدمًا فوق الأخرى وقال بدون تردد:

- جريمة قتل مثلًا.

طريقته المستهترة والمستفزة جعلت طه يغضب قليلًا، يريد أن يتلاعب بذكاء طه، فنهض طه من مجلسه وتحرك نحو الطاولة وأمسك من جديد الجرائد وهو يعطي ظهره لعبده السكاكيني وقال بصورة مباشرة:

- الخمس دقايق خلصوا يا أستاذ سكاكيني، شكرًا لزيارتك. قالها طه وهو يتصنع أنه يقرأ في الجريدة فلم يسمع شيئًا منه، كظم طه غيظه وحاول أن يهدأ ولو قليلًا متماسكًا، فاستدار في مواجهة عبده السكاكني من جديد ولكن لم ير أحدًا، وكأنه اختفى فجأة كما ظهر فجأة، الأريكة كما هي، كأنه كان يتحدث مع نفسه، فتح طه باب الغرفة وخرج منها فشعر بالرياح تزوم من حوله، فتحرك فوق العشب الجائع نحو عثمان الغفير فنهض عثمان فور أن رأى طه واقفًا أمامه فبادره عثمان وهو يقول:

- خير يا طه باشا محتاج حاجة.

- هو فين؟ قالها طه مباشرة تلفت عثمان الغفير حوله وقال بدون فهم:

- هو مين ده يا باشا.

- إللي كان عندي جوه.

اندهش الغفير ونظر إلى طه مشدوهًا وهو يقول:

- مين ده يا باشا اللي كان عندك جوه، مفيش حد دخل ولا خرج من المزرعة، أنا قاعد هنا من صباحية ربنا.

نظر له طه طويلًا ولم يفهم شيئًا، وقف الكلام في حلقه ولم يستوعب كيف لم يدخل أحد المزرعة، فمَن هذا الشخص الذي كان يتحدث إليه؟!

ترك طه عثمان الغفير وعاد من جديد إلى الداخل، وقبل أن يعود إلى الغرفة وقف في منتصف الحديقة ونظر يمينًا حيث المنزل الخشبي الصغير الذي صنعه لكلبه ريكس، لم يذهب إليه اليوم، فتحرك نحو الكلب الذي كان مربوطًا بسلسة طويلة، وأمامه طبق من الفخار به بعض الطعام ويأكل، جثى طه على ركبتيه وهو يمرر يده فوق ظهر كلبه ريكس وقال مداعبًا إياه:

- إزيك يا صاحبي، معقول أكون بيتهيألي كل اللي حصل

ده .. كان يتحدث مع الكلب وكأنه صديقه الوحيد في هذه الدنيا، ولكن الذي جعل طه مشدوهًا وانتصب شعيرات يده الضخمة عندما وجد بجوار ريكس عقب سجائر يبدو أنه منطفئ منذ قليل، إنه نفس النوع الذي كان يدخنه ذلك الزائر الغامض عبده السكاكيني في منزله..

***

2

ظل طه عاكفًا لمدة ثلاث ساعات في غرفته أمام الحاسوب الخاص به يبحث عن منزل السكاكيني، فلم يجد أي نتائج، بحث عن هذا المنزل، بحث باسم عبده السكاكيني فاكتشف أن هناك شخصًا يحمل هذا الاسم كان يعيش في عصر الملك فاروق، شرد للحظات وهو لا يفهم شيئًا، فعاد من جديد في مستطيل البحث وكتب "منزل السكاكيني"، ظل منتبهًا بشده فرأى إجابة من شخص في إحدى المنتديات كان كاتبًا:

- بيت السكاكيني أو زي ما بيقولوا بيت الأموات.. اسمحولي أكتب هنا في المنتدى عن أغرب بيت سمعت عنه، عمر البيت ده أكتر من 100 سنة، وهو بيت السكاكيني، في أقاويل بتقول إن البيت ده كان في نزاعات عليه كتير أوي أيام الملك فاروق، ما بين عزيز القط وعبده السكاكيني، لحد ما قتلوا بعض بسبب البيت ده، وفضل مهجور سنين كتيير لحد يوم 10 يناير عام 2000م، حصلت أول حالة اختفاء لشاب صحفي حاول يدخل بيت السكاكيني في وسط البلد لما عرف إن جوه البيت ده بيحصل حاجات غامضة وغريبة، اللي هي إن في حفلة بتحصل جوه البيت ده كل جمعة من أول كل شهر، الغريب في الموضوع إن محدش إتكلم عن الشخص اللي اختفى ده غير مراته وأبوه إللي أكدوا إنه كان

مبلغهم إنه داخل بيت الأموات علشان يكتب سبق صحفي عن البيت..

وعام 2005م حصلت تاني عملية اختفاء في نفس المنطقة مع أول جمعة في شهر مارس لبنت في كلية إعلام لما قررت هي كمان تدخل البيت ده، وده كان بشهادة زميلتها في الكلية، ولكن المدهش إن حالتين الاختفاء دول مظهروش لحد يومنا هذا، ولا حتى ظهرت جثث نقدر نقول عليها جثث الضحايا دول.

كان يقرأ طه هذا الكلام بعينه وقلبه كاد أن يقفز من صدره، نظر نحو الجريدة التي أمامه وجد تاريخ اليوم هو يوم الأربعاء من شهر يناير، وبعد غد ستكون أول جمعة في الشهر، بدأ التوتر يتملكه، وبرغم ذلك كان الفضول له دور بداخله، نهض من مجلسه وفتح الدولاب الصغير الذي كان أمامه، وأخرج بذلة بنية رفعها أمام عينيه ونظر نحو صورة الفتاة الصغيرة المعلقة على الجدار أمامه، وهمس إلى نفسه: "هخليكي فخورة بيا".

***

في يوم الجمعة مالت الشمس عن كبد السماء قليلًا، ولاح قرصها من بعيد ليتعمد من فوق الأبنية العتيقة التي تزين وسط القاهرة، والطريق الكبير الذي يشق الحدائق، امتصت

برودة يناير لسعة من الهواء الباردة ليرتعش أوصال الجسد، كانت السماء مليئة بالسحاب المطرز الذي يعلن عن هطول الأمطار بعد قليل، والهواء البارد يتخبط بين الأشجار.. ليعطي سيمفونية عظيمة من الموسيقى الكلاسيكية.

ترجرجت سيارة قديمة تبدو متهالكة، يجلس خلف عجلة القيادة الصحفي (طه البنا)، ذلك الرجل الذي يعرفه الكثيرون من أبناء جيله، وكذلك الشباب الصغير أيضًا، ها هو الآن يجلس متقوقعًا خلف نظارته المقعرة يقوم بقيادة سيارته العتيقة، حتى وقف بسيارته أمام منزل مهيب تكسوه الرياح من الخارج، بجواره لوحة نحاسية زرقاء منقوش فوقها "منزل السكاكيني"، يقف أمام البوابة خادم عجوز يقف مستقيمًا وصوت موسيقى أفرنكية منبعثة من الداخل..

عرف طه الخادم بنفسه، فنظر الأخير إلى دفتر متهالك بين يديه ومرر أصابعه فوق الأسامي بملل شديد حتى توقف أمام اسم طه وابتسم ابتسامة غامضة ورحب به، أشار بيده إلى الداخل أخذ طه نفسًا عميقًا قبل أن يخطو بداخل المنزل.. ترجل ببطء وهو ينظر حوله، كانت هناك حديقة كبيرة يملأها أشجار الجميز، كانت كئيبة منطفئة، لم يهتم بالأمر، ثم تحرك حتى صعد الدرج الرخامي المرمري الناصع البياض، وخطى حتى وصل أمام باب خشبي كبير مفتوح

على مصراعيه، ووقف فاستقبله خادم آخر وهو ينحني نصف انحناءة بجسده، ثم أخذ سُترته وعلقها على الحائط، وحين لمست قدم طه داخل المنزل توقفت الموسيقى فجأة التي كان يعزفها عازف بيانو صغير الجحم، ونظر جميع الحضور إليه وهم يهمسون إلى بعضهم البعض، أمر جعله يخطو من أمامهم متوترًا، نظر فوجد امرأة ذات جسد بض مشدود، تضع الكثير من مستحضرات التجميل على وجهها الصغير، أمر جعله لم يفهم هل هذا وجهها الحقيقي أم لا.. ترتدي فستانًا زهريًّا وبين يديها كأس من الخمر، رفعته في وجه طه وحيته، هز الأخير رأسه لها بود فبادلته نفس الإشارة، في تلك اللحظة سمع صوتًا صادرًا من الطابق الثاني من المنزل، كان كما توقع صوت صاحب تلك الوليمة "عبده السكاكيني".

قال بصوت جهوري وهو يرتدي بذلة سوداء في غاية الأناقة وقميصًا ناصع البياض محكومًا بفيونكة سوداء، يقف فوق الدرج الداخلي للمنزل واستطرد وهو يحرك يديه كحركة مسرحية قائلًا:

- ضيوفي الأعزاء رحبوا معايا بالكاتب الصحفي (طه البنا).

قالها وهو ينظر إلى ضيوفه، فصفق الجميع وهم ينظرون نحو طه، فشعر الأخير بتوتر أكثر، فرحب بهم جميعًا بهزة

متواضعة من رأسه، ثم عادت الموسيقى مرة أخرى تدب وجدان جدران المنزل من جديد، ظل هكذا لبضع دقائق، وطه واقف ينظر إلى النساء والرجال وهم يرقصون على ألحان الموسيقى، مرت عدة دقائق من الملل، قد لعن طه نفسه فيها مئة مرة على قبوله لتلك الدعوى، حتى لاحظ تلك المرأة صاحبة الفستان الزهري تقترب منه، فنظر إلى الفراغ متصنعًا التركيز إلى اللا شيء، اقتربت أكثر حتى وقفت صوب عينيه وابتسمت ابتسامة أظهرت من خلالها أسنانها المنسقة الصغيرة وقالت:

- إزيك يا أستاذ طه، أنا جاية النهاردة مخصوص علشانك.

شعر طه أن تلك المرأة موسم التزاوج هائج عندها في هذه الآونة وتريد أي رجل أبله تعاشره، ويعتقد أنها تراه ذلك الأبلة.. فنظر إليها وابتسم وقال بود:

- متشكر جدًّا لحضرتك.

اشتعلت موسيقى أخرى فنظرت نحو الصوت ثم نظرت إليه مرة أخرى وقالت:

- تحب ترقص؟

لحظة من الصمت مرت دون أن يتفوه طه بكلمة، شد انتباهه ذلك الخاتم الذي ترتديه تلك المرأة، كان يأخذ شكل

رأس الملك توت عنخ أمون، قطع شروده رجل أصلع الرأس قصير القامة اقترب منهما متصنعًا ابتسامة ودودة وهو يقول لها:

- تقبلي ترقصي معايا يا هانم.

نظرت تلك المرأة إلى طه لكي يتفوه بكلمة، ولكنه ابتسم في وجهها بأن تقبل عرض ذلك الأصلع، فمدت يدها له ممتعضة حتى سحبها الأخير إلى قاعة الرقص.

وقف طه يشاهد هذا العبث، لاحظ فتاة لا تتعدى العاشرة من عمرها تقف في الطابق الثاني تنظر خِلسة من بين الأعمدة الخشبية إلى الحفلة وتبتسم، وجهها الملائكي جعله يهدأ قليلًا، كانت فتاة رقيقة ذات بشرة بيضاء وعينين زرقاوين ووجنتين حمراوين تشبه الملائكة حقًّا، عندما رآها تذكر ابنته، ظل ينظر إليها حتى توجهت عيناها نحوه، فرأته ينظر لها مبتسمًا فابتسمت له هي الأخرى، فتحمس أكثر وأشار بيده إليها، فقابلت إشارته بإشارة مثلها بيديها الصغيرتين، فمر من بين إحدى الضيوف وصعد الدرج حتى وصل لها فجثى على ركبتيه حتى أصبح في مستوى طولها، فوجد بين يديها ورقة كبيرة وقلم، وقد رسمت رسمة طفولية مُصغرة للحفل، فابتسم لها وأبدى إعجابه الشديد بتلك اللوحة، مد يديه ليصافحها، بعد لحظات استجابت له

ومدت هي الأخرى يديها الناعمة الصغيرة، ابتسم وبادرها بسؤال وقال:

- إسمك إيه؟

فقالت ببراءة:

- جنة.

راق له اسمها فقال مبتسمًا:

- وعندك كام سنة يا جنة؟

فقالت بنفس الطريقة الملائكية:

- تميت عشر سنين من أسبوع.

فابتسم طه ثم لاحظ وحمة فوق يديها تأخذ شكل قلب فأعجبته كثيرًا وقال لها بلطف:

- شكلها حلو أوي الوحمة دي.

فأطرقت رأسها بخجل فأخذ منها القلم ووضع لمسة فنية للوحتها وكتب اسمه واسمها أسفل اللوحة فأشارت إليه بيدها الصغيرة أن يقترب منها، فاستجاب لندائها فـدنت من أذنه وهمست ببحة وقالت:

- متصدقش أي حاجة تشوفها هنا.

نظر إليها متعجبًا وقبل أن يتفوه بكلمة لاحظ دخول كلب يشبه كلبه ريكس من باب المنزل، وبعد لحظات دخل شاب مفتول العضلات يشبه طه كثيرًا، ولكنه يرتدي ملابس قديمة نوعًا ما مثله كمثل الضيوف، اندهش طه وشعر أن هناك شيئًا ما غير مفهوم، علامات استفهام كثيرة أمام عينيه لم يفهم منها شيئًا قط، في تلك اللحظة انطفأت الأضواء، فصاح جميع الضيوف، مرت ثوان ومن ثم ارتعشت المصابيح فظهر شيء جعل طه واقفًا في الدور العلوي ودقات قلبه وصلت إلى أقصاها، عندما رأى جسد عبده السكاكيني ملقى على الأرض غارقًا في دمائه، ارتعشت أوصاله ومن ثم أغلقت الأضواء من جديد وسمع صوتًا أجش ولكنه يعرفه جيدًا يقول:

"ضيوفي الأحياء.. متخافوش".

برغم أن واقع تلك الجملة جعلت طه تنتصب شعيرات يده، ولكنه اندهش لأن هذا الصوت يعرفه جيدًا، كان هذا الصوت هو صوته، صوت طه البنا نفسه، شعر هذا الشعور ومن بعدها أتت ضربة فوق رأسه جعلته يسقط أرضًا مغشيًا عليه.

***

3

بعد حشرجة عنيفة استيقظ طه، سعل بوهن صرخ ألمًا وهو يقاوم ضغط خلخل كيانه، لم يعلم كم مر من الوقت وهو في هذا الوضع، أصبح غير مدرك ما يدور حوله.. هُناك مشاهد مُتداخلة تدور في خلده بدون معنى.. حاول أن يقاوم الألم الذي شعر به يسري في جميع أنحاء جسده، ولكن بدون جدوى، في النهاية انتزع العصاب الذي غطى عينيه، شعاع الشمس يداعبه من بين أغصان متشابكة، قام بفتح عينيه رويدًا رويدًا كأنه يقاوم الصلبين عند دخولهم القدس، ولكنه فشل مجددًا بعد عدة محاولات باءت بالفشل، تمنى فيها طه الموت..

عزم فقاوم فنجح في النهاية فتح عينيه ببطء شديد، كانت الرؤية ضبابية، وشعر بصداع شديد يحتل رأسه لم يعلم من أين جاء ذلك الألم الشديد.. بعد عدة لحظات أصبحت الرؤية واضحة تمامًا أمامه، فوجد نفسه فوق سرير من الخوص بداخل كوخ صغير مستطيل الشكل أساسه من الخشب والخوص والطوب اللبن.

- أنا فين؟

سأل طه نفسه ذلك السؤال وهو لا يعلم كيف جاء إلى ذلك

الكوخ، وكم مر عليه من الوقت وهو في تلك الحالة المزرية، مشط عينيه يمينًا ويسارًا وهو في حالة من الذهول.. سمع صوت نقنقة الدجاج في الخارج ونهيق البهائم تعطي موسيقى تصويرية لحالته، وهي عدم الفهم، اعتدل في جلسته بعد جُهد ومحاولات عدة في ذلك، كان الألم يشتد عليه أكثر فأكثر، نظر إلى ذلك المكان فتوقع أنه بداخل مزرعة في مكان ما لا يعرفه حتى الآن، ثم نظر إلى هيئته فوجد نفسه يرتدي ملابس غريبة لا تليق بمكانته، كان مرتديًا جلبابًا كحليًّا فضفاضًا به العديد من الرُقع، وضمادة ملفوفة بإحكام حول رأسه، وهُناك جرح غائر في يديه اليسرى لم يعلم كيف أصيب به..

في ذلك الوقت سمع صوتًا من الخارج ومن ثم وجد مقبض باب الكوخ يدور، فعلم أن هُناك زائرًا جاء ليفهمه ما لم يستطع فهمه، لحظة من الترقب حتى فُتح الباب على مصراعيه لتدخل امرأة في بداية عقدها الثالث، ترتدي ملابس الكاو بوي قميصًا بنيًّا فضفاضًا لتخفي أنوثتها تضعه بداخل بنطال كاكي، وقبعة فوق رأسها حتى تكتمل اللوحة، نظرت نحوه فظهر على وجهها السعادة المبالغ فيها والفرحة حينما وجدته مستيقظًا، هرولت نحوه وهي تضحك وتقول بصوت حماسي ناعم:

- أنت فوقت من الغيبوبة؟

قالت جملتها وأصبحت تدور في منتصف الكوخ مبتهجة.

- الغيبوبة؟! قالها طه في نفسه وهو لا يفهم شيئًا، اقتربت تلك الفتاة منه ثم انحنت بجسدها ووضعت يديها فوق عنقه تتحسس شيئًا ما، فقال طه بصوت متحجر وكأنه لم يتذوق المياه منذ قرون:

- أنا حصلي إيه؟ وإنتي مين؟ إزاي جيت لحد هنا؟

اعتدلت الفتاة في وقفتها وهي تعطي ظهرها لطه لم يعرها ما قاله لها، تقدمت لآخر الكوخ وهو ما زال جالسًا مستسلمًا بدون أن يفهم شيئًا يترقب بصمت ما تفعله.. قامت بتحضير خلطة من الأعشاب وتقدمت نحوه من جديد ومدت يدها وهي تقول:

- في الأول لازم تاخد الدوا ده ضروري، وبعد كده هشرحلك أنا مين وإنت إزاي جيت لحد هنا.

نظر طه نحو يديها الممدودة في اتجاهه بالأعشاب، والاضطراب ازداد بداخله فقال بطريقة صارمة:

- مبخدش حاجة معرفهاش.

ابتسمت الفتاة ووضعت الأعشاب فوق منضدة بجواره ثم

سحبت مقعدًا وجلست أمامه وهي تقول بطريقة بها بعض الثقة:

- الأعشاب دي هي اللي مخلياك عايش لحد دلوقتي وقاعد قدامي، يا ريت تاخدها، أنا مش هضرك ده هيكون أفضل ليك.

جملتها الأخيرة جعلت طه خائفًا، هل بالفعل كان قد اقترب من الموت وتلك الفتاة هي من أنقذت حياته، ظل ينظر إلى عينيها بدون أن يتفوه بكلمة واحدة، وهناك تساؤلات كثيرة تدور في باله لم يجد طه لها جوابًا، هزت تلك الفتاة رأسها نحوه لكي يأخذ الدواء، نظر نحو المنضدة الموضوع فوقها الدواء واستسلم ورضي بالأمر الواقع، لا يوجد أمامه حل آخر، مد يده بصعوبة وأخذ الأعشاب بمساعدة تلك الفتاة الغامضة، وتناولها دفعة واحدة، فربت تلك الفتاة على يده وهي تقول بود:

- بالشفاء إن شاء الله.

قالت جملتها ولم تمهل طه فرصة للسؤال، ثم قالت وابتسامتها مشرقة على وجنتيها:

- أنا عرفاك كويس يا أستاذ طه، أنا من أشد المعجبين بمقالاتك المثيرة.

بلع طه ريقه بصعوبة بعدما شعر بألم في حلقه، فتوقع أنا هناك جرح آخر في حلقه قامت تلك الفتاة بدوائه هز رأسه لها وقال:

- شكرًا ليكي.

اقتربت منه مرة أخرى وتحولت قسمات وجهها للخوف وهي تقول متسائلة:

- مين اللي عمل فيك كده يا أستاذ طه؟

أغمض طه عينيه وهو يحاول أن يستعيد ذاكرته، ولكن آخر شيء يتذكره تلك الحفلة الغامضة في منزل السكاكيني، وتلك الفتاة الصغيرة التي رآها.

- أنا جيت هنا إزاي ياريت تجوبيني.

رجعت بظهرها للوراء وهزت رأسها وهي تقول:

- من ثلاثة أيام سمعت صوت كلب المزرعة عاليًا جدًّا، كانت الساعة وقتها عدت نص الليل، خرجت بسرعة أشوف في إيه، وأخدت سلاحي معايا علشان توقعت أن في حرامية جايين يسرقوا مزرعتي، بس لما خرجت ملقتش حاجة من اللي توقعتها بصيت للكلب لقيته بينبح للفراغ، وبعدها لقيته رجع لبيته بهدوء، وأنا راجعه من جديد أنا كمان للبيت

سمعت صوت استغاثة من شخص، بدأت أمشي ورا الصوت لحد ما لقيتك مرمي سايح في دمك، وقتها من الخوف معرفتش أعمل إيه، قربت منك وبدأت أشوفك أنت ميت ولا لسه فيك الروح، بصيتلي وغمضت عينك وفقدت الوعي، بدأت أفتش في هدومك لحد ما لقيت إثبات الشخصية، فعرفت وقتها إنك الصحفي (طه البنا).

بكل صعوبة شيلتك وجيت بيك لحد هنا، كانت حالتك مطمنش ولا تبشر بالخير، كان في جرح في إيدك الشمال، وجرح تاني في رقبتك، وجرح كبير في راسك، حاولت على قد ما أقدر أن أسعفك، وقمت بخياطة كل الجروح، وبدأت أحضر ليك خلطة من الأعشاب اتعلمتها من أبويا الله يرحمه، والحمد الله إنك فوقت من تاني وبقيت كويس..

انتهت من جملتها وهي تنظر نحو طه بامتنان شديد بادلها نفس النظرة.. نظرة كافية لشكرها عما فعلته معه.. شبكت أصابعها وهي تستطرد:

- ودلوقتي الدور عليك يا ريت تعرفني مين اللي عمل فيك كده؟ مين هو الشخص اللي حاول يقتلك.

أخذ طه نفسًا ملأ صدره بالهواء وهو يتذكر يوم الحفل عند دخوله لمنزل المدعو عبده السكاكيني، تذكر الفتاة الصغيرة وهي ترسم لوحتها وتهمس في أذنه "متصدقش أي حاجة

تشوفها هنا" تذكر ما حدث من المعتوه عبده السكاكيني عندما جاء له إلى مزرعته ليخبره أن هناك جريمة ستحدث.. والشخص الذي رآه يشبهه كثيرًا يدخل المنزل.

- جريمة.

خرجت من طه تلك الكلمة بصوت متحشرج مليء بالخوف، قالها ونظر في وجه الفتاة الجالسة أمامه ليرى وقوع كلمته عليها، فوجدها عقدت حاجبيها وهي تقول بعدم فهم:

- تقصد إيه يا أستاذ طه؟

أراح طه رأسه للوراء وهو يقول:

- مش مهم، أنا لازم أمشي من هنا، قال طه جملته وهو ينهض بصعوبة مبالغ فيها من فوق الفراش ثم توجه بنظره نحو الفتاة مجددًا وتابع بلطف:

- شكرًا على مساعدتك وعلى كل حاجة عملتيها.

نهضت الفتاة وهي توقفه بيديها تقول بخوف ملأ صوتها:

- الحركة خطر عليك دلوقتي يا أستاذ طه.. مش هينفع أسيبك تمشي في حالتك دي. قالت جملتها وهي تعترض طريقه.. تنهد طه واستجاب لحديثها بعدما شعر بالفعل بألم

شديد احتل رأسه، فجأة أراح ظهره من جديد فوق الوسادة ثم جلست هي الأخرى فوق مقعدها من جديد، ثم خلعت القبعة التي كانت ترتديها فانسدل شعرها فوق كتفيها، رجعت خصلها خلف أذنيها وربتت فوق يده برفق وقالت بود:

- متقلقش يا أستاذ طه ارتاح دلوقتي وبعدين نقعد وتحكيلي السبب اللي خلاك في الحالة دي.

نظر طه إلى عينيها وأخرج زفيرًا هادئًا وقال بصوت متعب:

- في راجل اسمه عبده السكاكيني اتقتل في بيته.

احمر وجه الفتاة وشعرت بالاضطراب، وعقدت حاجبيها ونظرت نحوه باهتمام شديد وقالت:

- لو عاوزني أساعدك لازم تحيكلي كل حاجة من البداية.

هز طه رأسه ووافقها، كان عليه أن يتحدث مع أي شخص يشاركه تلك المصيبة التي وقع بها، مع العلم إنه غير متذكر هل هناك جريمة حدثت بالفعل أم لا، هدأ من أعصابه قليلًا وهو يقول:

- بقالي فترة عايش لوحدي منعزل عن أي شخص في

مزرعتي في الجيزة، وفي يوم جالي شخص غريب شكله غريب ولبسه قديم، كأنه خرجلي من فيلم أبيض وأسود، واداني دعوى لحفلة هتتعمل في بيته، بيت السكاكيني، ولعب على فضولي إن لو جيت هتحصل جريمة قتل هقدر أكتب عنها في الجريدة وارجع من تاني للشغل.

قال طه كلماته وسكت يتحسس عنقه الذي شعر فيه بألم، فقالت الفتاة مُنبهة:

- ها وروحت الحفلة دي.

هز طه رأسه إيجابًا.

- ومين اللي اتقتل؟

قالتها تلك الفتاة بحماس شديد، فنظر لها وأخذ شهيقًا ثم زفر بهدوء وهو يكمل ما بدأه قائلًا:

- عبده السكاكيني بنفسه كان هو الضحية.

جحظت عيناها وهي تقول غير مصدقة:

- نعم!!

- مش قادر أفهم إزاي ده حصل، لكن الغريب إن أول ما شوفته قدامي ميت النور قطع، وسمعت صوت صوت شبه صوتي أووي بيقول "ضيوفي الأحياء متخافوش".

اندهشت تلك الفتاة وعادت قسمات وجهها للهدوء مجددًا، وابتسمت وهي تقول مستفهمة:

- أستاذ طه أنا أسفة بس أنت بتتكلم بجد؟

اندهش طه من طريقتها التي تغيرت فجأة وقال:

- أكيد مش ههزر معاكي.

- بس يا أستاذ طه اللي أنت بتقوله ده مش منطقي خالص، شبه القصص اللي انت كنت بتكتبها زمان في الجرنال اللي كنت بتشتغل فيه.

- أنا نفسي مش قادر أفهم حاجة خالص.

حاولت الفتاة أن تُخفي ابتسامتها ونهضت من مجلسها وهي تضع من جديد تلك القبعة فوق رأسها وتقول:

- أستاذ طه جايز يكون عندك أسبابك اللي تحتفظ بيها علشان متقوليش الحقيقة اللي كانت هتخليك على مشارف تابوتك، ولولا القدر كان زمانك ميت دلوقتي، بس ياريت متستخفش بعقلي وتشك في ذكائي.. أو ممكن يكون تأثير الضربة على راسك خليتك تعيش بداخل رواية من الروايات اللي بتقرأها.

- أقسملك إن مش بكدب عليكي وإن دي الحقيقة.

استدارت ولم تمهله فرصة لكي يؤكد لها حقيقة قوله، فتحت باب الكوخ وقبل أن تغادر نظرت له مجددًا وهي تقول:

- هعدي عليك بعد ساعتين علشان الجرعة التانية من الدوا، يا ريت دلوقتي تهدى شوية وتنام كويس لحد ما ارجعلك، ويا ريت لما ارجع تقولي الحقيقة، واتأكد إن أنا هنا علشان أساعدك مش علشان أكون ضدك.. قالت جملتها وتركته وذهبت..

***

مر من الوقت ساعتان لم يسعف الألم طه لكي ينام قليلًا، كان الألم يشتد عليه طوال الوقت، وكذلك الحيرة التي بداخله، هل بالفعل يوجد جريمة قتل من الأساس؟ هل بالفعل يوجد حفلة في منزل السكاكيني أم كله مجرد خيال لا أساس له من الصحة؟ حاول النهوض من مجلسه، كان يريد أن يذهب من ذلك الكوخ ويعود من جديد إلى منزل السكاكيني، أخذ نفسًا ملأ صدره بالهواء واعتدل في جلسته وقاوم الألم لكي ينجح في النهوض، في تلك اللحظة دخلت عليه من جديد تلك الفتاة هرولت نحوه بفزع شديد وهي تقول:

- إيه اللي أنت بتعمله ده يا أستاذ طه.

لم ينظر إليها وهو ما زال يحاول النهوض، فقال دون أن ينظر لها:

- أنا عاوز أمشي دلوقتي، لازم أروح من تاني لبيت السكاكيني، لازم أفهم إيه اللي حصل وإيه اللي حصلي.. نهرته تلك الفتاة وهي تقول:

- هترجع من تاني تقول الكلام ده يا أستاذ طه.

نظر إليها بغضب وقال بحدة:

- لو مش مصدقاني اتحركي معايا دلوقتي وأنا هثبت ليكي حقيقته.

- إهدى يا أستاذ طه لو سمحت، الأول لازم تاخد الدوا دلوقتي علشان متتصبش بحُمى ونقوم بتغيير كل الضمادات.

نظر طه لها ولم يعرها اهتمامًا لقولها، وأشاح بنظره بعيدًا عنها، وقاوم النهوض، أمكست بيديه وهي تحاول أن تهدئه، استجاب لقولها فعاود من جديد النوم فوق الفراش واستسلم لها من جديد، أخذ الأعشاب التي قامت تلك الفتاة بتحضيرها ومن ثم رآها تقوم بتغيير الضمادة التي حول

رقبته وانتهت أخيرًا من عملها ثم نظرت إليه وقالت:

- زمان المدام قلقانة عليك دلوقتي.

بدأت تأخذ أطراف الحديث وتضرب من جديد، انتهت من جملتها فأغمض طه عينيه وشعر بالحنين نحو زوجته وابنته اللتين ذهبا منذ عامين ولم يعرف مكانهما قط، يريد أن يهرب من ذكرياته اللعينة، فتح عينيه ونظر إليها وهو يعلم أنها لا تشعر بكل ما يحدث بداخله وقال متصنعًا ابتسامة باهتة:

- أنا مش متجوز.

ابتسمت وهي تنظر إلى عينيه وقالت مازحة:

- طه البنا مش متجوز لحد دلوقتي شكلك كده بتكره الجنس اللطيف.

لم ترق له مزحتها، فبلع ريقه وتجمعت الدموع في مقلتي عينيه وهو يقول متمسكًا:

- مراتي وبنتي معرفش عنهم حاجة من سنتين.

شعرت بالحرج وهي تلملم أشياءها وقالت بصوت رخيم:

- أنا آسفة.

هز رأسه لها وقال بود:

- ولا يهمك.

فنهضت من جديد لكي تذهب فأوقفها بكلمه مباشرة وقال:

- لسه مش مصدقاني.

وقفت وهي تعطيه ظهرها للحظات ثم استدارت ونظرت نحوه ولم تزل صامته تنظر إليه والحيرة بداخلها، قال وهو ينظر إليها ليقطع ذلك الشك:

- مش هتخسري حاجة لو سمعتي كلامي وجيتي معايا لمنزل السكاكيني لنقطع الشك باليقين.

زمت شفتيها حيرة وظلت تفكر قليلًا، ثم هزت رأسها موافقة، ففرح طه واشتعل الحماس بداخله ولكنها قالت:

- الأول لازم تستريح، وبكرة إن شاء الله نروح مع بعض لبيت السكاكيني علشان نفهم إيه اللي حصلك بالظبط.

وافقها بهزة من رأسه، فابتسمت في وجهه وقبل أن تذهب بادرها بسؤال وهو يقول:

- هو إنتي إسمك إيه؟

ابتسمت من جديد وقالت:

- صحرا.

راق له اسمها جدًّا، فنظر إليها بامتنان فبادلته نفس النظرة، ومن ثم فتحت باب الكوخ من جديد وذهبت..

***

في اليوم التالي استيقظ طه مبكرًا من نومه، كان يشعر بحماسٍ شديد.. لم يشعر بالألم الذي كان يشعر به من قبل، وصلت دقات قلبه إلى أقصاها، اليوم سيكتشف هل بالفعل تم جريمة قتل ذلك المعتوه عبده السكاكيني أم لم يُقتل من الأساس؟ اللعنة عليك أيها السكاكيني!! في تلك اللحظة وجد طه تلك الفتاة التي تُدعى صحراء تفتح باب الكوخ وبين حوزتها حقيبة صغيرة، نظرت نحوه وقالت مبتسمة:

- يا رب تكون النهاردة بخير يا أستاذ طه؟

هز طه رأسه وبادلها الابتسامة وقال:

- بخير الحمد الله.

وقفت بجوار تلك المنضدة ووضعت الحقيبة فوقها، ثم قامت بفتحها وأخرجت منها ملابس تشبه ملابسها ملابس الكاو بوي وقالت:

- ملقتش أفضل من اللبس ده يكون مناسب ليك.

نظر طه نحو الجلباب الذي يرتديه، ثم نظر نحو تلك الملابس التي أخرجتها صحراء من تلك الحقيبة، فصدَّق على قولها، نهض بمساعدة صحراء بصعوبة ثم تركته بمفرده لكي يقوم بارتداء تلك الملابس، ربع ساعة كانت كافية للانتهاء، اقتربت صحراء نحو طه ومدت يديها بجهاز صغير وقامت بقياس درجة حرارة طه في البداية قبل أن يرحلوا وقالت:

- النهاردة حالتك أحسن بكتيير.

فبادرها طه بسؤال:

- هنتحرك إمتى؟

فقالت وهي تنظر في عينيه:

- هنتحرك دلوقتي.

انتهت من جملتها وتحركت خارج الكوخ، فتحرك طه خلفها إلى الخارج، رأى سيارة قديمة تشبه سيارته التي لم يعرف أين هي الآن، جلست صحراء خلف عجلة القيادة، فتح طه الباب ودلف لكي يجلس بجوارها، ظلت صحراء تقود السيارة وتسير وفقًا لمواصفات طه للطريق حتى وقفا بالقرب من المنزل، نظر طه نحو المنزل وضربات قلبه وصلت إلى أقصاها، نظرت صحراء إليه وقالت:

- هو ده بقى بيت السكاكيني؟

هز طه رأسه بالإيجاب، فقالت من جديد:

- أنت جاهز للمقابلة دي، متأكد من القصة اللي حكيتها لي.

هز طه رأسه بالإيجاب، فنظرت صحراء من جديد نحو المنزل وأردفت:

- ندعي ربنا إن يكون عبده السكاكيني ده لسه عايش ومتقتلش فعلًا.

نظر طه إليها بعدما قالت صحراء جملتها ودعا الله بداخله أن يستجاب منها، خرجا من السيارة وترجلا نحو المنزل، كانت البوابة صدئة، ولم يجد ذلك الخادم العجوز الذي رآه من قبل، كان لا يوجد أي شخص يقف أمام البوابة، دفع طه البوابة بيديه وكأنه يتذكر مشهدًا قديمًا له، أغمض عينه وحاول أن يطرد تلك المشاهد التي ألحت عليه الآن، فصدر صوت صرير مخيف من البوابة، تقدم للأمام وما زالت صحراء تخطو خلفه، نظر نحو شجر الجميز المنطفئ فوجده ما زال على حاله، صعد الدرج الرخامي المرمري وتقدم نحو الباب الخشبي الضخم، وقام بالضغط على الكابس ليصدر صوت (جرس) رنان، ضغط ضغطة واحدة وانتظر وما زالت صحراء تقف بجواره منتظرة حقيقة قوله.. ولكن لم يجد طه

أي استجابة، فحاول وكرر الرنين مرة أخرى والقلق بدأ يظهر عليه، فلم يجد أي استجابة أيضًا، فهمست صحراء وقالت:

- أستاذ طه كفايا أكيد مفيش حد ساكن في البيت المهجور ده.

فنظر طه إليها ولم يتفوه بكلمة، وعلامات الغضب احتلت وجهه، ثم نظر من جديد نحو الباب وقام بالضغط كثيرًا فوق الرنين فلم تأت استجابة، فمدت صحراء يديها نحو يده وأوقفته وقالت بعطف:

- أستاذ طه أرجوك لازم نمشي دلوقتي، واضح أوي إن مفيش حد جوه.

نظر طه إليها طويلًا وبدأ يقتنع بقولها، تقدما خطوتين للأمام وعزما على الرحيل والبأس ظهر على قسمات وجه طه، ولم تمر سوى لحظات حتى وجد الباب الخشبي يفتح وتظهر من خلفه فتاة جميلة في بداية عقدها الثالث، نظر طه وصحراء في آن واحد نحو الباب وتقدما نحو الفتاة فقالت الفتاة بطريقة ملائكية:

- أنتوا مين؟ بتسألوا عن مين؟

تصنعت صحراء ابتسامة على وجهها وهي تقول بلطف:

- إحنا أسفين جينا فجأة من غير ميعاد.

- ولا يهمكوا ممكن أعرف أنتوا مين؟

نظر طه إلى تلك الفتاة وقال بصورة مباشرة:

- ممكن نقابل الأستاذ عبده السكاكيني؟

- جدو؟!

قالتها تلك الفتاة مندهشة، فنظر طه وصحراء إلى بعضهما البعض، ثم عاد طه ونظر إلى تلك الفتاة وقال:

- أيوه.

فتحولت قسمات وجه الفتاة للاندهاش وقالت بعدم فهم؟

- جدو متوفي من زمان جدًّا إنتوا مين؟

جحظت عين طه ولم يستوعب ما تقوله تلك الفتاة، نظرت نحوه صحراء شعرت بالخجل الشديد ولم تفهم شيئًا، فوضعت يدها في يد طه وهمست في أذنه وقالت:

- معقول تقابل واحد ميت بقاله سنين، أستاذ طه كفايا لحد كده، لازم نمشي. قالت جملتها ثم نظرت نحو الفتاة وقالت معتذرة:

- إحنا أسفين جدًّا يا أستاذة على الإزعاج.

انتهت صحراء من جملتها، وظلت تحرك في طه وهو ما زال واقفًا متصلبًا أمام تلك الفتاة، كان يشعر بعدم فهم، نظر ببلاهة لتلك الفتاة التي كانت واقفة أمامه الآن وتحدث إلى نفسه.. إنها هي نفس الفتاة التي رأيتها من قبل، تلك الفتاة الصغيرة "جنة" صاحبة اللوحة، نفس العينين الزرقاوين، نفس الوجنة الحمراء الخجولة، نادته أعصابه عليه فلم يستجب عندما رأى تلك الوحمة التي تأخذ شكل قلب فوق يديها، علامات الاستفهام تدور حوله، وأصبحت الأفكار تتشاجر في رأسه، موسيقى غامضة ألحت عليه بدون استئذان، كيف كبرت تلك الفتاة، كم مر من العمر، ولكن الذي جعله مُندهشًا وهو ينظر إليها مثل الأبله وأعصابه قد فلتت منه عندما رأى بروازًا كبيرًا معلقًا على الحائط خلف الفتاة تشبه كثيرًا عبده السكاكيني، ذلك الرجل الذي اقتحم عليه حياته وأتى إليه في مزرعته، ثم استفاق من شروده عندما أتت امرأة معاقة تجلس فوق كرسي متحرك تتقدم نحوه وهي تقول مستفهمة:

- مين على الباب يا جنة؟

***

الفصل الثالث

اشتباه

1

انتهى المقدم (جمال منصور) من الشطيرة التي التهمها منذ قليل، وارتشف ما تبقى من الشاي المغلي الموضوع أمامه في كوب زجاجي.. نهض من موضعه بداخل منزله المتواضع وتحرك ليقف أمام المرآة وهو ينظر إلى هيئته، فتح فمه على مصراعيه وهو يمصمص شفتيه وأسنانه.. أخرج مشطًا صغيرًا من جيب بنطاله الخلفي وهندم شاربه ونتف بعض الشعيرات الخفيفة المتبعثرة على وجنتيه، ومن ثم مد يده وهو يأخذ سلاحه الميري ويضعه في حزامه الجلدي الملفوف حول خصره، مد رأسه للخلف ونظر من غرفة المعيشة إلى غرفة النوم ليرى زوجته نائمة على بطنها في ثبات عميق، أخرج ورقة صغيرة ونقش فوقها:

"حبيبتي أنا نزلت تاني للشغل، متزعليش بحبك".

ثم اقترب من المطبخ ووضعها فوق باب الثلاجة، ثم تحرك نحو الباب ودلف في هدوء..

ساعة تقريبًا كانت كافية لوصول (جمال) إلى قسم

الأزبكية الذي يعمل بداخله، من جديد توجه مباشرة نحو غرفة اللواء (شريف الشربيني) الذي اتصل به ليخبر جمال بأمر هام، رفع أمين الشرطة المتقوقع فوق مقعد متهالك أمام باب الغرفة يده له كتحية عسكرية، فبلغه جمال إنه يريد فنجان من القهوة السادة، ثم طرق الباب طرقتين خفيفتين ودخل فورًا على (اللواء شريف الشربيني)، رغم إنه اقترب من عقده السادس إلا إنه يريد أن يظهر للآخرين بشكل الشاب الوسيم، صبغة رديئة لشعره تجعله كذلك حين رآه الأخير يقف على الباب، أنهى مكالمة تليفونية كانت بيده، دخل جمال وصافحه، جلس على الكرسي المقابل له وأخرج سيجارة من علبته واستأذن لإشعالها، فهز اللواء شريف رأسه بالموافقة، دفعها جمال في فمه وقال بعدما نفث دخانه:

- خير يا فندم، حضرتك طلبتني وكنت لسه راجع بيتي.

- تشرب إيه؟ قالها اللواء شريف مباشرةً.

- مالهوش لزوم أنا قولت للعسكري يعملي قهوة سادة.

شبك (اللواء شريف) يده ببعضهما وهو ينظر إلى هيئة (جمال) قائلًا:

- أظن بعد الفترة اللي فاتت اللي فشلت فيها إنك تحل الكام قضية اللي كنت متوليها إنك عاوز تثبت نفسك من

جديد إنك ظابط كفء.

كانت البداية لا تبشر بالخير، بلع جمال ريقه بصعوبة وظهرت رعشة بيده فارتعش معها دخان سيجارته المبعثر في الهواء قال:

- يا فندم.. قاطعه اللواء شريف وهو يشير بيده نحوه:

- مش عاوز أسمع أعذار، بس الكلام كتر عليك يا سيادة المقدم، والشغلانه بتعتنا دي محدش بيسمي على التاني، ممكن في أي وقت تلبس البيجامة وتقعد في البيت.

أخرج جمال زفيرًا لكي يهدأ قليلًا ويلعن نفسه مائة مرة على دخوله لكلية الشرطة، فدفن سيجارته في المطفأة التي أمامه وقال:

- حضرتك فاهم كويس يا فنندم إني.. قاطعه اللواء ثانية وهو يقول:

- فاهم كويس الظروف اللي بتمر بيها، وإن ابنك توفي أول ما اتولد، بس ده مش معناه إننا نقعد في بيوتنا ونحط إيدينا على خدنا، يا جمال إنت زي ابني وبخاف عليك، وعلشان كده أنا براهن عليك في اللي جي.

هز جمال رأسه متفهمًا قوله، يريد من اللواء أن يدخل في

صميم الموضوع مباشرةً، قاطع حديثهما دخول العسكري وبيده صينيه فوقها فنجان من القهوة وضعه أمام جمال وذهب للخارج من جديد، فنهض اللواء شريف وهو يعقد يديه خلف ظهره ويقول بصوتٍ رخيم:

- جريمة قتل جديدة.

عقد المقدم جمال حاجبيه وهو يرتشف رشفة من فنجان قهوته، فاستدار اللواء وهو يرمق جمال ويتابع ما بدأه:

- بيت قديم في حارة اليهود اسمه بيت السكاكيني، لقوا قربه واحدة مقتولة ومرمية في صندوق الزبالة.

- يا ساتر يا رب.

تحرك شريف وجلس على الكرسي المقابل لجمال حتى أصبح في مواجهته وأردف:

- الغريب إن من يومين قسم الدرب الأحمر مسك واحد شكله من الأرياف ماسك سكينة غرقانة دم ومش بينطق بحرف، والشهود اللي شافوه قالوا إنه كان قريب من بيت السكاكيني هو كمان، وكان معاه إتنين أصحابه تقريبًا كانوا عمال بُنا، والظاهر إن الراجل ده قتل صحابه فغريبة إن في خلال يومين يحصل جريمتين قتل قريبين من بيت السكاكيني.

وضع جمال فنجان القهوة فارغًا أمامه وهو يستمع للواء شريف وقال من بين أسنانه:

- والبيت ده محدش ساكنه.

- لحد من أسبوعين يا جمال كان مهجور، لحد ما جت بنت وجدتها وقالت: إن ده بيت جدها الكبير، بس في حاجة غريبة يا جمال.

عقد جمال حاجبيه ومال بجسده للأمام وقال باهتمام:

- إيه هي يا باشا؟

عقد اللواء شريف يديه أمام صدره وقال وعلامات استفهام أمام عينيه:

- رغم إن البيت ده مهجور بس في ناس بتقول إن كل يوم جمعة من أول كل شهر بيسمعوا جواه صوت عزف، كأن في حفلة جواه، رغم إن محدش بيشوف حد بيدخل أو بيخرج من البيت ده، وفي ناس حاولت تدخل تشوف، في منهم اللي خاف وفي فعلًا إللي دخل بس لقوه فعلًا بيت مهجور محدش ساكنه. أنهى جملته ورمق جمال بعيون ثاقبة وقال باهتمام شديد:

- القضية مش سهلة يا جمال، في علامات استفهام كتيير

لازم تحلها، والقضية دي إللي هترجع اسمك من جديد يرن في الداخلية كلها، ومتنساش في حركة ترقيات الفترة اللي جاية أظن إنت فاهم أنا أقصد إيه.

هز جمال رأسه متفهمًا قول مديره وظهرت ابتسامة هادئة على قسمات وجه، وقلبه بدأ ينبض بالقلق..

***

صوت الهاتف المحمول يرن بدون توقف بداخل غرفة بسيطة فوق سطح بناية في حي من أحياء القاهرة الشعبية، كان (آدم الحسيني) نائمًا خلف مكتب نحاسي، وضع رأسه فوق الكثير من الأوراق المبعثرة فوق مكتبه، لم يشعر بشيء من كثرة الإرهاق، ما زال صوت الهاتف المستفز يعلو، رفع (آدم) يده وهو ما زال نائمًا، وبدأ يبحث عن الهاتف المتواري خلف بعض الأوراق بعشوائية، في الأخير نجح في إيجاده بدون أن ينظر من هو المتصل قام بالرد بصوت ناعس:

- ممم.

جاء له رد صديقه (هيثم سليمان) من على الجهة الأخرى:

- فينك يا آدم؟

- خير.. قالها آدم ومازال النعاس يسيطر عليه.

- (فاروق السكري).

- إشمعنا. بدأ آدم يستفيق ولو قليلًا.

جاء له الرد من جديد قائلًا:

- مش هينفع في التليفون لازم تيجي حالًا.. قال صديقه جملته الأخيرة وأغلق الهاتف على الفور. آدم الحسيني شاب وسيم على مشارف عقده الثالث، ذو وجه دائري، صاحب بشرة بيضاء ولحية شبابية مناسبة لعمره.

بعيون ناعسة نظر آدم إلى منامته المعلقة على شماعة صغيرة في غرفته، فرك عينيه وهو يلقي هاتفه بلا مبالاة أمامه من جديد دائمًا ما كان يضع لكل شيء اسمه الخاص به، وضع قدمه فوق شبشب وتحرك نحو الصنبور المتواري في جانب الغرفة ووضع رأسه أسفل المياه ليشعر بتدفقها يغمره، عاد وهو ينظر إلى نفسه في المرآة لحظات حتى فرد يده ليرتدي قميصًا أنيقًا مقلما بالطول بداخل بنطال قماشي منتعلًا حذاءً لامعًا، مد يده وهو يأخذ حقيبة متوسطة الحجم ووضعها خلف ظهره وذهب.

***

لوحة خشبية موضوعة فوق دكان يبدو عليه أنه تم تجديده مؤخرًا منقوش فوقها بخط منمق بعض الشيء

(الساعاتي إسحاق)، من الداخل كان الدكان مستطيلًا يأخذ طابعًا قديمًا، متوسط الحجم خاويًا، موضوع بعض الساعات اليدوية القديمة بداخل فترينة زجاجية موضوعة فوق الحائط، وفي نهاية الدكان يوجد مكتب نحاسي صغير يجلس خلفه رجل في نهاية عقده الخامس صاحب جسد ممتلئ وشيب كسا الرأس حتى منتصفها، ذو وجه دائري ولغد ممتلئ يملأ فراغ الرقبة بين الجسد والرأس، وعيون قابعة خلف عدسات زجاجية، يرتدي بذلة بالية يبدو أنها مر عليها الكثير من الزمن حتى أصبحت تشكو له لكي يتركها ولكن بدون جدوى.

بين أصابعه ساعة قديمة مثل كل شيء يمتلكه يحاول أن يقوم بإصلاحها، وصوت الراديو النحاسي من خلفه يصدر أغنية قديمة لعبد الوهاب تدوي المكان وتعطي له دفئًا.. يدندن معها بصوت غليظ وهو يقوم بإصلاح تلك الساعة التي بين يديه بتركيز شديد، في تلك اللحظة اقتحم عليه آدم الدكان وهو يبتسم ابتسامة ملأت قسمات وجه ويقول مداعبًا وهو يشير بيده إلى (إسحاق):

- إزيك يا راجل يا عجوز.

رفع (إسحاق) رأسه المطأطأة فوق الساعة ورمق الشخص الذي يقف أمامه، ثم ظهرت ابتسامه ملأت وجهه بالكامل

وهو يقول مُرحِّبًا به:

- أهلًا اهلًا يا أستاذ (آدم)، أخيرًا افتكرت عمك (إسحاق) يا واد.

اقترب (آدم) من المكتب النحاسي وجر مقعدًا بلاستيكيًا وجلس فوقه ونظر إلى يد (إسحاق) ومال بفمه مبتسمًا وهو يقول:

- إنت بتعمل إيه يا عم (إسحاق)، ما قولتلك اقفل الدكان ده بقى وبلاها سيرة، ونعمل مشروع سوا أنا وأنت ناكل من وراه الشهد.

ضحك (إسحاق) بهدوء وخلع النضاره الطبية التي كان يرتديها ونظر إليه بصمت لبرهة وقال:

- المكان ده لو بعته يا (آدم) أموت بعدها، إنت متعرفش المكان ده بالنسبالي إيه.. هنا يا (آدم) في تاريخ مصر كلها طيب تعرف.. قال كلمته الأخيرة ونظر إلى (آدم) منتظرًا منه الرد فابتسم (آدم) بسخرية وقال:

- لا معرفش يا عم (إسحاق) عرفني لو سمحت.

رفع (إسحاق) يده بالساعة التي كانت بيده ونظر إليها للحظات ثم نظر إلى (آدم) الجالس أمامه وقال:

- تعرف الساعة دي كان مين اللي لابسها؟

هز آدم رأسه نافيًا، فابتسم إسحاق وهو يقول بثقة مبالغ فيها:

- الساعة دي كانت بتاعة الخديوي إسماعيل يا آدم.

ضحك (آدم) بسخرية وقال غير مصدق:

- الخديوي إسماعيل مرة واحدة.. واسعة منك دي شوية يا إسحاق.

تغيرت طريقة إسحاق الهادئة وهو يقول بانفعال:

- مش مصدقني ليبه؟؟ طبعًا مهو إنت من العيال بتوع اليومين دول، بتوع الفيس بوك، أقولك إيه مهو أنت جاهل.

ضحك آدم على عصبية إسحاق المفتعلة وقال:

- الله يسامحك يا عم (إسحاق)، خلاص مصدقك يا عم إن الساعة دي كانت بتاعة الخديوي إسماعيل بذات نفسه بس، معنى كده إنها غالية أوي.. دي ممكن تتباع في مزاد، قولي بقى لو هتبيعها عاوز تبيعها بكام؟

زفر إسحاق مصطنعًا وقال:

- ولا فلوس الدنيا، ولا مزادات العالم تخليني أفرط فيها.

رمقه آدم وهو غير مصدق ما يقوله إسحاق، فمد يده تجاهه وهو يقول بصوت هامس:

- يا راجل يا عجوز الحركات دي مش على آدم حبيبك قولي تخلص فيها بكام؟

تنهد إسحاق تنهيدة طويلة ورفع يده بالساعة أمامه، ومن ثم نظر إلى الفراغ بعدما فرك عينيه بدون أن ينظر إلى آدم وقال:

- لو معاك خمسين جنيه هاتها وخدها.. لحظة من الصمت مرت عليهما حتى انفجرا الاثنان من الضحك.

كانت تلك هي علاقة (إسحاق) بـ(آدم) برغم اختلاف الديانة وبرغم فرق السن الذي تجاوز الثلاثين عامًا، إلا أنه كانت علاقتهما نقية، علاقة أصدقاء لا يشوبها شائبة، قد رأى (آدم) في إسحاق الأب الذي حُرم منه منذ الصغر، ووجد (إسحاق) في (آدم) الابن الذي لم ينجبه طيلة حياته قد وجدا نفسيهما برغم كل شيء، وبرغم كل الظروف.

نهض (إسحاق) من مجلسه وتقدم وهو يمسك بمرفق (آدم) وهما يخرجان خارج الدكان حيث المقهى المتواجدة بجوار الدكان بكراسيها الخشبية المرصوصة بجوار بعضها البعض، رفع (إسحاق) يده وهو يقول بصوت شبه مرتفع إلى

الصبي الذي يلف ويدور بكل سهولة حول الزبائن.

- واد يا صابر تعالى.

هرول صبي المقهى نحوهما وهو يقول بابتسامة:

- خدامك يا عم (إسحاق) إنت والأستاذ (آدم).

نظر إسحاق إلى (آدم) وقال متسائلًا:

- تشرب إيه؟

- عناب ساقع.

رفع (إسحاق) رأسه ونظر إلى صابر القهوجي وقال:

- واحد عناب ساقع وواحد شاي خمسينة.

هرول صابر بخفة من جديد نحو المقهى وهو يقول بصوت مرتفع:

- معاك واحد شاااي خمسينة، وواحد عناب مشبر لأستاذ آدم.

نظر إسحاق إلى وجه آدم وقال له بدون مواربة:

- متشيك كده ورايح على فين.

وضع آدم قدمًا فوق الأخرى وقال:

- المكتب.. هيثم وأسامة ومروان مستنيني هناك.

هز إسحاق رأسه متفهمًا قوله، ثم نظر إلى الفراغ قليلًا ومن ثم عاود لنظراته إليه وقال:

- مفيش شغلانة أحسن من اللي انت وأصحابك بتعملوه ده، أنا مش مطمن.

- مش مطمن ليه بس يا عم إسحاق، أنا واحد خريج إعلام، وعملت شركة صغيرة بتطلع بث مباشر على قنوات اليوتيوب على الأنترنت، وبكشف فيها أسرار وحقايق قواضي أتقفلت أو قواضي رأي عام، والموضوع ده بيدخل فلوس كويسة علشان المشاهدات بتبقى عالية، والناس عاوزة تعرف تفاصيل اكتر.

أتى صابر القهوجي وهو يضع أمامهما الشاي والعناب، ويداعب بكلمات معسولة إسحاق، ثم انصرف فتوجه إسحاق بنظراته نحو آدم وهو يقول:

- مقصدش الفلوس، أنا أقصد خطورة إللي بتعمله عمومًا ربنا يوفقك يا آدم.

مد آدم يده وأخذ كوب العناب الساقع ودفعه في فمه دفعة واحدة مستمتعًا بطعمه في حلقه، ثم نهض من مجلسه وهو يقول بعدما وضع يده على كتف إسحاق:

- متخفش على ابنك يا عم إسحاق.. المهم أنا لازم أمشي دلوقتي. أنهى جملته وتحرك للأمام خطوتين ثم توقف واستدار وهو ينظر من جديد إلى إسحاق وقال مداعبًا إياه:

- وآه صحيح ابقى سلملي على الخديوي إسماعيل يا راجل يا عجوز. قال جملته وهو يضحك بسخرية ذاهبًا، بادله إسحاق الضحكة ممزوجة بالخوف، وهو يقول في نفسه:

- ربنا يسترها عليك يا بني...

***

2

خرج المقدم جمال من مكتب اللواء شريف متجهًا نحو غرفة مكتبه، دلف داخل المكتب وهو يخلع سترته الصوف ويضعها خلف مقعده الجلدي، ومن ثم أخرج هاتفه من جيبه وعلبة سجائره وألقاهما فوق المكتب الخشبي، شمر ساعديه وجلس فوق مقعده، لم ينتظر كثيرًا حتى دخل عليه العسكري وهو يضع أمامه فنجانًا آخر من القهوة، دعك في عينيه قليلًا حتى اقتحم عليه صديقه (عامر الدسوقي) وهو يقول مداعبًا إياه:

- إيه جابوك على ملى وشك كالعادة.

ابتسم في وجهه جمال وهو يشير بيده نحوه قائلًا:

- نعمل إيه حُكم القوي.. قضية جديدة يا سيدي.

تقدم عامر للأمام وبيده مجموعة من الأوراق حتى جلس على الكرسي المقابل لجمال وقال:

- حياة الظباط دول يا أخي حياة صعبة جدًا، عاوز أقولك أنا مشفتش أهلي بقالي أكتر من أسبوع مطبق في مكتبي.

هز جمال رأسه موافقه في حديثة وهو يقول:

- ومين سمعك، أنا مراتي مشفتهاش بقالي يومين ولسه

راجع من الشغل لقيت اللواء شريف بيكلمني رجعني تاني، بس نعمل إيه المفروض هما عارفين طبيعة شغلنا كويس.

زم عامر شفتيه ثم عم الصمت قليلًا حتى بدأ يجذب أطراف الحديث من جديد قائلًا:

- عرفت تفاصيل القضية؟

هز جمال رأسه بالإيجاب وأخرج سيجارة من علبته النحاسية ووضعها في فمه وأشعلها في هدوء، نفخ دخان سيجارته وقال:

- عرفت بس محتاج أعرف أكتر، عاوز أشوف فريق البحث وصل لإيه، وطبعًا هعرف منك أنت يا عامر.

أخرج عامر بعض الورق الذي كان في حوزته ووضعه أمام جمال ثم بدأ من جديد وهو يقول:

- عامل نضافة بلغنا إنه لقى جثة مرمية في صندوق الزبالة في حارة مفيهاش غير بيت واحد.

وضع جمال يده فوق ذقنه وهو يقول:

- والبيت ده مين اللي ساكنه؟

- قاعد فيه بنت وجدتها، جم عاشوا فيه قبل الحادثة بأسبوعين بالظبط.

عقد جمال حاجبيه وهو يقول مستفسرًا:

- وقبل الأسبوعين؟

رمقه عامر وهو يتابع ما بدأه:

- وقبل كده كان مهجور يا جمال، بيت عادي صحابه سيبينه بقالهم سنين، كان مأوى للكلاب الضالة وللشباب إللي بتضرب.

زم جمال شفتيه وهو يتساءل:

- طيب وإيه اللي جاب البنت وجدتها من جديد للبيت رغم إنه كان مهجور؟

رفع عامر يديه بلا مبالاة وهو يقول:

- لسه مش عارفين، بس طبعًا البنت والجدة تحت الملاحظة ومراقبين كل خطواتهم.

طرق جمال بأنامله فوق المكتب ونفخ دخانه وقال:

- مفيش أي حاجة فريقك قدر يكتشفها توصلنا للجاني غير موضوع البنت دي وجدتها؟

مد عامر يده وهو يشير للأوراق وتابع قوله:

- إحنا دخلنا البيت ورفعنا البصمات، وفعلًا لقينا بصمات

البنت والجدة بس لقينة بصمه تالته ومش عارفين تبع مين.

دفن جمال سيجارته وهو يخرج سحابة من الدخان ويقول بأنفاس يتغلغلها التبغ:

- ممم طيب وبالنسبة للجثة نفسها الطب الشرعي قال إيه؟

- لسه الطب الشرعي مبلغناش وصلوا لإيه، بس في حاجة غريبة يا جمال.

نظر له جمال باهتمام وأشار له بيده أن يكمل حديثه، فقال له عامر بعدما نظر له بجدية:

- لقينا الجثة ماسكة في إيديها ورقة مرسوم فيها رسمة الورقة دي، موجودة في الورق اللي قدامك يا جمال.

مد جمال يده وأمسك الأوراق التي أمامه، فر الورق بأنامله حتى أخرج ورقة رسم مرسوم بداخلها صورة طفولية لحفلة، رمقها جمال بتركيز شديد وظل ينظر إلى تفاصيل الرسمة، ثم خفض يده ونظر إلى عامر وهو يقول:

- أظن إن اللي رسم الرسمة دي طفلة صغيرة.

هز عامر رأسه وهو يوافقه، ثم ظهرت ابتسامة على قسمات وجه وهو يقول:

- بالظبط يا جمال، بس الغريب إنك لو بصيت تحت الرسمة

هتلاقي إمضاء بص كده.

نظر جمال وهو يقرأ:

- طه البنا.. يا ترى مين طه البنا ده؟

ابتسم عامر وهو ينظر إلى جمال ويقول بدون مواربة:

- أنا شاكك إنه يكون طه البنا الصحفي، أظن إن ده نفس توقيعه اللي كان بيبقى تحت كل مقال بيكتبه في الجريدة اللي كان شغال فيها.

- مين الصحفي ده؟ قالها جمال مستفهمًا.

- ده واحد صحفي غاوي قضايا صعبة يكتب عنها.. بيقول إن مراته من سنتين اختفت هي وبنته، بس الحقيقة إن مراته ماتت وهو دخل في نوبة اكتئاب، وبعد عن الصحافة خالص، ودخل مصحة نفسية، وفضل يتعالج فيها اكتر من سنة، وخرج محدش كان يعرف عنه حاجة لحد ما ظهرت الجثة دي ومعاها الرسمة اللي هو ماضي عليها من تحت.

أراح جمال ظهره للوراء ومسح بيده وجه وهو يقول بيأس:

- اه أصلها كانت ناقصة مجانين في الموضوع.

ضحك عامر على طريقة جمال، ومن ثم قال له وهو ينهض

من مجلسه ويرتب ورقه:

- فكر برة الصندوق يا جمال، إيه اللي وصل إمضاء طه البنا لرسمة لطفلة، وإيه اللي وصل الرسمة دي لأيدين المجني عليها، فكر هتلاقي الحل.

هز جمال رأسه وهو يضع أصابعه بين عينيه مرهقًا وهو يقول لصديقه عامر:

- يبقى أول حاجة لازم نبدأ بيها هو إننا نشوف طه البنا ده عايش في أنهي مصيبة ونعرفه بالجثة وناخد بصماته، ممكن تكون دي البصمة اللي لقتوها جوه في بيت السكاكيني.

ابتسم في وجه عامر وهو يقول:

- بالتوفيق في القضية دي يا صديقي.. انتهى من جملته وتركه بمفرده داخل مكتبه وذهب.

***

شركة الأصدقاء

غرفة مهملة في إحدى العقارات البسيطة في منطقة بولاق بجوار الغرفة، من الخارج توجد لوحة خشبية منقوش فوقها "شركة الأصدقاء"، كانت الغرفة مستطيلة الشكل، يوجد بالداخل ثلاث من المكاتب الخشبية الصغيرة، موضوع فوق

كل مكتب جهاز حاسب آلي صغير، ولوح خشبي أبيض موضوع فوق إحدى الحوائط، منقوش عليه بعض الكلمات غير المفهومة، ودولاب أوراق صغير منزو في نهاية الغرفة.

بدأت الشركة منذ عام فقط عندما قرر (آدم الحسيني) وصديقة (مروان الصياد) بعد تخرجهما من كلية الإعلام تأجير شقة تكون مقرًّا لهما من خلالها يتم البحث حول القضايا غير المفهومة وبثها على قناتهما على اليوتيوب، هذا ما يجني ثمارًا اليوم القنوات الرسمية عبر الإنترنت، وبالفعل تم إنشاء القناة وتأجير تلك الغرفة البسيطة، ثم تشارك معهما صديقهما (أسامة شعراوي) ذلك الشخص المهمل السمين، ولكنه متميز في التصوير وكادرات عالمية، وأيضَا صديقهم (هيثم سليمان)، وهذا هو مسئول العلاقات العامة للشركة، كل ما هنالك إنه يقوم بالعلاقات مع بعض الظباط لتسهيل دخول باقي الفريق مسرح الجريمة للتصوير وكتابة التفاصيل وبثها عبر قناتهما، ومن هنا تأتي المشاهدات والتركيز حول القضايا المنسية أو القضايا غير المفهومة فحسب.

في هذا الوقت داخل الغرفة هناك بعض أعقاب السجائر مبعثرة فوق أرض الغرفة، يجلس (أسامة شعراوي) فوق مقعد خشبي مسندًا رأسه للوراء مغمضًا عينيه ويصدر

صوتًا من منخاره يدل على نومه العميق، فاتحًا فمه على مصراعيه، ولعابه بدأ يسيل على فكيه، شاب سمين يعشق الأكل عشقًا، ولكنه مصور بدرجة امتياز.

على الجانب الأخر كان جالسًا صديقه (مروان الصياد) صاحب الجسد الرياضي، وهو أول من أسس تلك الشركة مع صديقه (آدم الحسيني)، يجلس هو الأخر فوق مقعد خشبي مادًا قدميه فوق مقعد آخر أمامه ينظر إلى سقف الغرفة بملل، وهو يستمع لصوت شخير صديقه النائم، بين أصبعيه لفافة من التبغ ينفث دخانه على هيئة أشكال ودوائر بملل شديد، اقتحم عليهما الغرفة آدم، فنظر له مروان باكترات ولم يتفوه بكلمه، فتحرك آدم وهو يضع حقيبته فوق المكتب الخشبي الخاص به وهو يقول مستفهمًا:

- هو فين هيثم؟

رفع مروان حاجبيه وهو يعتدل في جلسته ويقول بصوتٍ متحشرج:

- اتصل بيا زي ما اتصل بيك وجبني على ملى وشي زي ما أنت شايف بس، هو لسه مشرفش.

نظر آدم نحو شعراوي بعدما صدر منه صوت عالٍ بعض الشيء، ومن ثم وجَّه نظرته إلى مروان ضاحكًا فعاد مروان

إلى جلسته مرة أخرى وهو يقول:

- زي ما أنت شايف هو كده من ساعة ما جينا صدع أبويا.

في تلك اللحظة فتح باب الغرفة ودخل عليهم صديقهم هيثم سليمان ففزع شعراوي من فوق مقعده ونهض ببلاهة وقال بعيون ناعسة وهو يتلفت حوله وصدره يعلو ويهبط:

- إيه في إيه بوليس..

لم يعره أي اهتمام فضحك هيثم وهو يتقدم وينظر له ويقول:

- قوم يا تخين واغسل وشك علشان طاقة القدر خلاص أتفتحتلنا..

- وإيه هي بقى؟ قالها مروان بعدما ألقى سيجارته أسفل حذائه وما زال جالسًا فوق مقعده.

تحرك هيثم وما زالت الابتسامة على قسمات وجهه العريض، جذب مقعدًا وجلس فوقه ووضع بتباه قدمًا فوق الأخرى وهو يقول:

- مش هتصدقوا أنا جايبلكم النهاردة إيه.

بنفاذ صبر قال آدم:

- أخلص مش وقتك.

تحرك شعراوي بعدما استطاع أن يستفيق قليلًا ووقف خلف هيثم، دعك في عينه منتظرًا منه أن يخبرهم لماذا أتى بهم اليوم في هذا الوقت.. وقف هيثم مستقيمًا وهو ينظر إلى أصدقائه ويقول:

- فاروق السكري صاحب أكبر قناة فضائية، كلمني امبارح بعدما سبتكوا وعاوز يقابلنا النهاردة، حسيت من كلامه إنه عاوزنا نقدم البرنامج بتاعنا إللي بنعرضه على اليوتيوب في قناته، وطبعًا ده هيعود علينا بشهرة وفلوس مكناش نحلم بيها.

اعتدل مروان في جلسته وبدأت علامات الاندهاش تحتل قسمات وجهه وهو يقول غير مصدق:

- أنت بتقول إيه يا هيثم، أنت بتتكلم بجد، فاروق السكري فاروق السكري المعروف.

هز هيثم رأسه بالإيجاب وهو يضحك بشدة حتى ظهرت أسنانه، فضحك شعرواوي والخبر جعله يستفيق وهو يقول مهللًا:

- شكلنا كده هنبقى مشهورين وعلينا العين، بالمناسبة دي أنا هعزمكو عند صبحي كابر.

نظر له هيثم ومروان وهما يضحكان بشدة على أسلوبه وتفكيره فقط في الأكل، حتى توجه هيثم بنظراته نحو آدم الذي ما زال واقفًا مكانه عاقدًا يديه فوق صدره ولم يفرح بالخبر مثل أصدقائه، فتغيرت تعبيرات وجه هيثم وقال لآدم متوجسًا:

- مالك يا آدم أنت مش فرحان ليه !!

انتبه له باقي الفريق وتبادلوا النظرات فيما بينهم حتى مسح آدم بيده على وجه وقال:

- عارفين لو فعلًا كلام هيثم صح وفاروق السكري عاوزنا نشتغل معاه ده هيبقى اسمه إيه؟

- هيكون اسمه إيه يعني اسمه إننا اتشهرنا وفلوس هتجيلنا وهنبقى مطلوبين في السوق. قالها شعراوي بصوت عالٍ.

هز آدم رأسه بلا مبالاة وهو يقول:

- لا طبعًا يا شعراوي.

وقف مروان وهو يشعل سيجارة أخرى ويقول وما زالت السيجارة في فمه:

- أنا فهمت آدم يقصد إيه، إحنا لو اشتغلنا مع فاروق السكري مش هنقدم نفس المحتوى إللي بنقدمه في قناتنا.

تبادلت نظرات هيثم بين مروان وآدم وقال بغضب:

- وفيها إيه يعني لو قدمنا البرنامج بشكل تاني.

اقترب آدم وجلس في مواجهة هيثم وقال وهو ينظر في عينيه:

- لو فعلًا اشتغلنا معاه الكلمة الأولى والأخيرة هتبقى لصالح فاروق السكري، مش هنشتغل براحتنا، هنشتغل وهنعرض اللي فاروق السكري عاوزنا نعرضه ونشتغله، فهمني يا هيثم.

- طيب أنا معاك في كدة، بس برضو نقعد مع الراجل النهاردة ونشوف هيقولنا إيه وانتوا أتكلموا معاه مش هنخسر حاجة. قالها هيثم بتوسل.

نهض آدم من مجلسه وهز رأسه له إيجابًا، ومن ثم أخرج هاتفه من جيبه وفتح صفحة القناة على اليوتيوب، وبدأ هيثم يتحدث مع شعراوي ومروان على العوائد التي ستأتي لهم لو تم التعاقد مع قناة فاروق السكري، حتى سمعوا صوت آدم يقول:

- مستحيل.

انتبه له أصدقاؤه فقال مروان بخوف:

- في إيه يا بني ما لك؟

نظر آدم لهم بعيون جاحظة ووجه شاحب قال بصوت متحشرج:

- لقوا جثة مرمية في صندوق الزبالة جنب بيت السكاكيني.

عقد مروان حاجبيه وهو يقول:

- طيب إيه السبب إللي يخضك بالشكل ده؟

لحظة من الصمت احتلت المشهد وموسيقى تصويرية ألحت عليهم بدون استئذان حتى قال آدم:

- حاطين صورة المجني عليها لو حد يعرفها.

قال آدم جملته وهو يمد يده بالهاتف إلى أصدقائه، هرول هيثم وأمسك الهاتف، ومن خلفه ينظر شعراوي ومروان حتى جحظت عيونهم جميعًا عندما رأوا صورة المجني عليها، وهم ينظرون إلى بعضهم البعض بدون أن يتفوه أحد منهم بكلمة واحدة...

***

فيلا فاروق السكري لم تكن كبيرة بالمعنى المعروف، ولم تصل لمرحلة الصغر، فهي تشبه العديد من الفيلات في المربع

السكني بالشيخ زايد، لا تمتاز ولا تقل عن البقية حتى في ديكوراتها الداخلية، وقف (فاروق السكري) في حجرة مكتبه أمام أحد الدواليب يبحث عن كتاب قديم نوعًا ما، دخلت عليه امرأة في نهاية عقدها الرابع ذات شعر ناعم عقصته من الخلف وترتدي تييرًا طويلًا قالت بهدوء وبأدب:

- الأمن بلغني إن في أربع شباب واقفين قدام باب الفيلا وعاوزين يقابلوا حضرتك.

أغلق فاروق الدولاب وتحرك نحو النافذة، أزاح الستار بيده ونظر فوجد الأصدقاء الأربعة يقفون يتحدثون مع الأمن، فقال لتلك المرأة وهو يعطي لها ظهره ولم ينظر إليها:

- خلي أي بنت من اللي شغالين معاكي تدخلهم، وسبيهم في الصالون لحد ما أجلهم.

قالت بأدب:

- أوامرك يا فندم

***

بدأ يسير الشباب الأربعة أمام فتاة صغيرة لا يتعدى عمرها الثلاثين عامًا، تسير أمامهم، لا يخفي شعراوي انبهاره بالحديقة رغم إنها تبدو حديقة عادية بالنسبة للبعض، نظر

نحو بعض الشجر وفتح فاه وهو يقول:

- إحنا مش عايشين يا جماعة والله.

فضحك مروان وهو يجذب شعراوي من يده ويهمس في أذنه:

- اسكت بقى هتفضحنا.

تحركوا جميعًا حتى انتهوا من الحديقة فصعدوا درجات من الرخام، وتحركت البنت نحو باب خشبي ضخم وطرقته، ففتحت تلك المرأة ونظرت لهم ثم صوبت عينها على آدم الذي كان في المقدمة، وقالت له بصوتٍ رخيم:

- أهلًا يا شباب دكتور فاروق في انتظاركم.

تخطوا الباب الخشبي وبدأوا يسيروا خلف تلك المرأة ينظرون إلى محتويات الفيلا، ونظرات اندهاش تأتي من شعراوي الذي جزم أنه لم ير مثل ذلك المنزل من قبل، أوصلتهم تلك المرأة إلى غرفة كبيرة بداخلها صالون أرستقراطي وثير وقالت لهم:

- اتفضلوا هبلغ دكتور فاروق بوصولكم. قالت جملتها وتركتهم، فتحرك آدم بداخل الغرفة بتوجس وجلس فوق مقعد مريح، ومن بعده دخل أصدقاؤه الثلاثة، بدأ شعراوي

ينظر إلى اللوحات الموضوعة فوق الحوائط منبهرًا مع ضحكات من هيثم ومروان له، أما آدم فكان ما يشغله تلك الحادثة التي قرأ عنها قبل أن يأتي إلى فيلا فاروق السكري، نهض شعراوي من مجلسه وتحرك نحو الطاولة ذات الأرجل الذهبية الموضوعة في المنتصف، ومد يده وأخذ علبة نحاسية وفتحها، وأخرج منها شوكولاتة صغيرة فتحها مسرعًا وتناولها في استمتاع شديد، وهو يقول وما زالت طعمها في حلقه:

- الله أنا أول مرة آكل شوكولاتة بالطعامة دي.

نهض مروان وتحرك نحوه وهو يجذب منه العلبة ويضعها مكانها ويقول له بحدة:

- أنت عبيط يا شعراوي، الراجل يقول علينا إيه بطل فضايح.

في تلك اللحظة سمعوا صوت فاروق السكري خلفهم وهو يقول:

- سيبه ياكل، البيت بيتكوا يا شباب متعملوش فرق.

ما زال مروان يمسك العلبة وما زالت الشوكولاتة في حلق شعراوي، يقفان كالصنم فنظرا إلى بعضهما البعض بإحراج شديد، فبلع شعراوي ريقه ومسح فمه بكفه ووضع مروان

العلبة فوق الطاولة، فضحك فاروق الذي كان يرتدي قميصًا أبيض أنيقًا وعطره ملأ الغرفة بأكملها، وتحرك نحوهم وهو يقول:

- نورتوا فيلتي المتواضعة يا شباب.

قال جملته وجلس فوق مقعد وما زال الأصدقاء الأربعة واقفين أمامه فتابع فاروق قائلًا:

- اتفضلوا اقعدوا..

فجلسوا وتبادلت نظراتهم إلى بعضهم البعض، فنظر لهم فاروق وابتسم ابتسامة مجاملة باهتة وهو يقول:

- ممكن أتشرف بأسمائكم.

قال شعراوي بعدما رفع يده اليسرى:

- أنا أسامة شعراوي، مصور ومخرج في نفس الوقت، كان شعراوي هو مَن بدأ بالتعريف عن نفسه بهذه، الطريقة أما الباقية فعرفوا أنفسهم بطريقة عادية، فابتسم لهم فاروق وهز رأسه وهو يقول:

- طبعًا أنا فاروق السكري لو مش عرفني بكون صاحب مجموعة قنوات فضائية.. هدخل في الموضوع على طول أنا بيزنيس مان، وبما إني انا رجل أعمال، فأول حاجة بسعى

ليها هي المكسب إزاي أكسب، وبصراحة أنا متابع القناة بتاعتكم على اليوتيوب، وحسيت إن هكسب من وراكوا لو أشتغلتوا معايا وأنتوا كمان هتكسبوا.. هتكسبوا كتير أوي لو اشتغلتوا معايا، وأكيد هيكون أحسن من اليوتيوب..

نظر هيثم إلى أصدقائه وخصوصًا إلى آدم ثم نظر إلى فاروق وقال:

- طبعًا يا دكتور إحنا لينا الشرف إننا نشتغل مع حضرتك.

في تلك اللحظة دخلت عليهم تلك المرأة من جديد فنظر فاروق إليهم وقال:

- تحبوا تشربوا إيه.

فقال شعراوي بعفوية:

- إيه ده هو مفيش غدا.

فنغزه مروان الجالس بجواره ونهره آدم بنظرة صارمة فتلعثم شعراوي وقال:

- شـــ.. شاي.

وطلب الباقي قهوة، فخرجت المرأة فنظر لهم فاروق وقال:

- رأيكم إيه يا شباب في كلامي؟

فهز مروان رأسه وهو يقول:

- أولاً يا دكتور لينا الشرف إننا نشتغل مع حضرتك، بس يا ترى حضرتك عاوزنا نشتغل بدماغنا زي ماحنا ولا في حد هيتدخل في شغلنا وهيقول إيه اللي ينفع وإيه اللي مينفعش.

شبك فاروق يديه ببعضهما وأخرج سيجارًا فخمًا من جيبه وأشعله بهدوء، نفخ دخان سيجارته وقال:

- سؤال محترم يا مروان، بس أنا عاوزك تتأكد إن هسيبلكوا الشغل يتنفذ زي ما أنتوا عاوزين، والميزانية هتبقى مفتوحة لأي فلوس أو معدات تطلبوها، المهم آخد منكم شغل احترافي، أنا عجبني فكرة البرنامج بتاعكم، وعجبني القضايا اللي بتبحثوا عنها وطريقة عرضها، أكيد مش هغير عليكوا حاجة.

تنحنح شعراوي وهو يقول:

- كلامك زي العسل والله يا دكتور، بس ممكن طلب صغير.

فابتسم فاروق من طريقة شعراوي وقال:

- أتفضل يا شعراوي عاوز تطلب إيه؟

فنظر شعراوي إلى أصدقائه وشعر مروان إنه سيطلب طلبًا

سخيفًا، فقال شعراوي بأدب:

- ممكن سيجارة من اللي حضرتك بتشربها دي.

فخبط مروان على وجه مصدومًا وشعر هيثم وآدم بالحرج فضحك فاروق وقال:

- بس كده خد يا سيدي العلبة كلها أهي. قال كلمته وهو يعطي له علبة السجائر بأكملها.

فدخلت عليهم المرأة ومعها فتاة صغيرة تحمل بين يديها صينية فوقها المشروبات متراصة بجوار بعضها البعض، ووضعتها وتحركت للخارج، فنظر مروان وهيثم إلى آدم الذي كان جالسًا لم يتفوه بكلمة واحدة حتى الآن، ثم قال هيثم إلى فاروق:

- طيب وحضرتك تحب أمتى نكتب العقود ونبدأ شغل.

فهز فاروق رأسه وقال:

- في أي وقت تحبوه لو حابين ممكن من بكرة.

- لأ.. قالها آدم فتوجهت النظرات كلها نحو آدم، فتنحنح الأخير في جلسته وهو يقول:

- سيبنا نفكر شوية يا دكتور وهنرد عليك إن شاء الله في خلال يومين، وربنا يقدم اللي فيه الخير.

فرمقه هيثم بغضب ونهره مروان بنظرة قوية فقال فاروق:

- من حقكوا تفكروا.. وهستنى ردكم إن شاء الله.

فهز آدم رأسه ونهض فنهض معه باقي أصدقائه وهو يقول:

- ودلوقتي نقدر نستأذن يا دكتور. قال جملته وتحرك للأمام فتحرك خلفه أصدقاؤه وهم يلعنونه في أنفسهم عما بدر منه، فسمعوا من خلفهم صوت فاروق وهو يقول:

- آدم.. فتوقفوا الأربعة ونظروا نحو فاروق، فنهض الأخير وهو يضع يده في جيب بنطاله وقال:

- شوفت الجريمة اللي حصلت من كام يوم.

فنظر آدم نحو أصدقائه الذين تبادلت نظراتهم إليه، فقال بتوجس:

- أنهي جريمة؟

فابتسم فاروق وهو يقول:

- البنت اللي لقوا جثتها في صندوق الزبالة.

شعروا الأربعة في هذا الوقت بالاضطراب، ووصلت دقات قلوبهم إلى أقصاها، فقال آدم بصوت مرتعش:

- أيوه قرأت عنها من شوية.

فهز فاروق رأسه وهو يقول:

- لو وافقتوا تشتغلوا معايا دي أول قضية هنعمل عليها أول حلقات البرنامج.

فنظر آدم إلى أصدقائه ثم نظر نحو فاروق وقال:

- تمام يا دكتور نستأذن حضرتك دلوقتي.

أنهى جملته وتحرك بخوف خارج الغرفة ومن خلفه أصدقاؤه..

***

3

قسم شرطة الدرب الأحمر الساعة الثالثة بعد منتصف الليل

اقتربت سيارة الشرطة العتيقة من المبنى ووقفت مستقرة أمام البوابة الحديدية الضخمة، أطلق السائق نفيرًا قويًا يتبعه صدى صوت يرج المنطقة بأكملها، يظهر من الغرفة الصغيرة المتواجدة بجوار البوابة رجل أمن كان يقاوم النوم بعيون حمراء أنهكها التعب، وضع بندقيته فوق ظهره وهرول فوجد المقدم (عماد النجار)، وهو شاب في عقده الثالث، جسده رياضي متناسق، يجلس بجوار السائق ويشير بيده له لكي يفتح البوابة، أسرع الشرطي بخطواته وقام بفتح البوابة الحديدية للقسم على مصراعيها، تحركت السيارة بداخل المبنى، دلف المقدم عماد من السيارة متعجرفًا، هذه كانت طريقته أحيانًا، وذلك نتيجة لأصول عائلته الأرستقراطية أبًا عن جد.. حيث إنه دخل كلية الشرطة ليس حبًا في تلك المهنة، ولكن كان حبًّا في النفوذ والسلطة.

تقدم للأمام داخل المبنى ثم نزل من بوكس السيارة الخلفي شخص جسده هزيل ضعيف، يرتدي جلبابًا فلاحيًا وقبعة فوق رأسه، مقيدًا بالأصفاد، يبدو على ملامحه الفزع،

يتحرك ببلاهة مُجرجرًا بيد فرد الأمن، بعد لحظات كان ذلك الشخص واقفًا ببلاهة في غرفة العقيد (كمال الغمراوي) ذلك الرجل الذي أصبح على مشارف عقده الخامس، يجلس متقوقعًا خلف مكتبه الوثير، وفوق مقعد جلدي مريح مشمرًا أكمام قميصه البيضاء، وأمامه يضع فنجان قهوة قد أفرغه منذ قليل، يجلس أمامه المقدم عماد ينظران كلاهما إلى ذلك الرجل الواقف أمامهما مطأطئ رأسه مجردًا من كل شيء.

- ها بقالك أسبوع على الوضع ده ولسه برضو مش عاوز تتكلم.. قالها العقيد كمال وهو ينظر إلى ذلك الشخص.. وما زال ذلك الشخص واقفًا بقدمين مرتعشين غير عابئ بكل هذه الأجواء، قلبه ينبض بالخوف، وعيناه بدت وكأنها لا تنظر إلى شيء، كل ما كان بخاطره ذلك اليوم الملعون منذ أسبوع، عندما قرر أن يدخل ذلك المنزل منزل السكاكيني برفقه أصدقائه.

نظر المقدم عماد إلى العقيد كمال، وقال له بأدب شديد:

- تسمحلي يا فندم.

أشار كمال بيده تصريحًا للمقدم عماد أن يأخذ هو دفة الحديث، نهض عماد بثقة وهو ينظر إلى ذلك الرجل نظرة يقشعر لها الأبدان، وتقدم نحوه وظل يلف حول ذلك الرجل فقال له بدون مواربة:

- اسمك علي الدمرداش.. عندك 40 سنة، أصولك من قرية من جنوب الجيزة.. صنايعي بنا على باب الله، عندك ولد عنده 15 سنة وبنت عندها 10 سنين.. كلامي صح؟

لم يعره اهتمامًا بما قاله ذلك الظابط المغرور المتعجرف، وظل ينظر إلى اللا شيء بدون أن ينظر له، فزم المقدم عماد شفتيه ثم تابع قائلًا:

- آخر مكان رحته يا علي والناس شافتك فيه كنت طالع شغلانه مع إتنين عمال أسمهم شوقي وعلاء من أهل قريتك، وبعد 24 ساعة اختفى شوقي وعلاء ملهمش وجود، وقبضنا عليك بسلاح الجريمة بسكينة مليانة دم، وأنت دلوقتي المتهم الوحيد قدامنا، يا تساعد نفسك وتقولنا بصراحة قتلتهم إزاي، ووقتها أوعدك العقوبة هتكون مخففة، يا تفضل ساكت زي ما أنت كده ووقتها وحياة أمي لأجبلك إعدام وتحصل صحابك..

بلع علي ريقه وصدر منه أنينًا كالبكاء، ورفع رأسه ونظر للمقدم عماد للمرة الأولى وقال بصوت مرتعش:

- ح..حف..بي

عقد المقدم عماد حاجبيه بعدم فهم، ونظر إلى العقيد كمال فبادله كمال نفس النظرة، فاقترب عماد من علي ذلك الرجل

وقال له:

- بتقول إيه يا علي.. متخفش أتكلم.

مسح علي المخاط الذي تسرب من أنفه بكم جلبابه وقال بصوت خائف مهزوز:

- حفلة.

- حفلة؟! أنهي حفلة؟ قالها عماد بحنق له مستفسرًا منه عما كان يقصده.

فتغيرت نظرات علي ونظر بقوه في عين عماد وقال له بنبرة جادة:

- حفلة غريبة يا باشا.

بلهفة شديدة قال عماد له:

- حفلة إيه يا بني آدم أنت ما تفهمني.

أرتعش جسد علي وهو يقول بصوت مهزوز:

- بيت السكاكيني.

بنفاذ صبر قال عماد:

- ماله البيت ده

- شوقي وعلاء اختفوا جواه.

***

الفصل الرابع

الحــكايــة

1

الزمن يدق دقة خاصة في قلبه الذي ما زال يرتجف فيوقظه.. مد بصره نحو نافذة قريبة من الفراش فرأى من خلال خصاصها الجزيرة مسربلة في الظلام.. النوم سلبها الحركة والصوت فاستكنت في صمت مفعم بهدوء كوني.. نهض (سُنقر) بعدما ذهب النوم من عينه، وسيطر القلق والخوف على ابنته شهرزاد مما تفعله على تفكيره، رفع جسده هابطًا إلى الأرض، انغرزت قدماه في زغب سجادة فارسية، مد يده ملتمسًا موقع الشمعدان وبدأ يسير في غرفته بقلق وحذر.. استعبده الخوف.. لم يعرف من قبل المآزق الخطيرة..

صلى الفجر بجسده أما عقله فاستأثرت به الوساوس.. حتى مضى الوقت وتسللت أشعة الشمس رويدًا رويدًا فارتدى ملابسه.. ملابس وزير الجزيرة، ودلف من منزله متجهًا نحو القصر يتقدم بقدم ويؤخر الأخرى، دخل القصر وقلبه ينتفض، صعد الطابق الذي تنام فيه ابنته فقابل رئيسة الخدم (قهرمانة) تلك المرأة عابسة الوجه، تعقص شعرها

الذي تخلله خصلات بيضاء، وتتحرك في القصر وكأنها تمتلكه، هي مَن ربَّت شهريار منذ صغره، وقف سُنقر أمامها واستأذن في مقابلة شهرزاد، نظرت له الأخيرة نظرة طويلة بلا معنى، حتى قادته إلى حجرتها..

حجرة الورد ذات السجادة والستائر الموردة ذات الدواوين والوسائد المشربة بالحمرة، كانت شهرزاد قد استيقظت منذ قليل جالسة فوق أريكة وثيرة في منتصف الغرفة، ضامة ركبتيها إلى صدرها، تنظر نحو النافذة حيث شعاع الشمس الذي تسلل إليها فانعكست إضاءته إلى عينيها الواسعة، سمعت طرقتين خفيفتين على الباب فانتبهت ووجهت عينيها نحو الباب، فانفتح لتدخل قهرمانة عليها، والتي نظرت إلى شهرزاد بعيون تملأها الحقد وقالت بتعالٍ:

- وزير الجزيرة يريد مقابلتك أيتها الجارية.

لم تنبس شهرزاد بكلمة، نظرت إليها نظرة طويلة باهتة خالية من المشاعر حتى رأت أباها سُنقر من خلفها، فتحركت قهرمانة وجرجرت قدميها للخارج، أغلق سُنقر الباب خلفه واقترب من ابنته فابتعدت بعينيها نحو النافذة من جديد، فتنهد سُنقر وأخرج زفيرًا لكي يهدأ، تقدم نحوها ونظر إليها ومن ثم جلس على حافة الأريكة وقال لها بهدوء:

- كيف حالك يا ابنتي؟

ظلت صامتة لم تتفوه بكلمة واحدة، فمد يده نحو فكها وسحب وجهها نحوه وهو يقول بعيون تملأها الدموع:

- لقد اشتقت إليك يا ابنتي الحبيبة.

منعت نفسها من البكاء وتحولت قسمات وجهها للغضب، ونهضت وهي تقول بعجرفة:

- أنا لست ابنتك يا سيدي، واحذر أن تتفوه بتلك الكلمات أمام العامة في القصر حتى لا تقع في الفخ وينتهي بك الأمر على يد سياف مولاك شهريار.

بلع سُنقر ريقه بصعوبة، وعادت قسمات وجهه للجدية وهو يقول:

- لا تلعبي بذكاء شهريار يا شهرزاد، إنه ليس بالسهل كما تتوقعين.

ظهرت شبح ابتسامة فوق شفتيها الحمراء وقالت بثقة مبالغ فيها:

- إنني لست بالغباء أن آمن لشهريار، ولكن أحاول أن أراوده ولو قليلًا ليعلم أنه سفاح للنساء.

استمع سُنقر لها فجفل ثم قال:

- ولكن ماذا لو كشف لعبتكِ وتم الحتف بكِ كمثل النساء الأخريات.

علت ضحكتها فرجت الغرفة فاندهش سُنقر من رد فعلها فقالت وهي تجلس فوق الفراش أمام المرآة وتنظر إلى وجهها المنطفئ وتعطي لسُنقر ظهرها وقالت:

- يجب على مولاك هو الآخر ألا يأمن لمكر شهرزاد يا سيد سُنقر.

هز سُنقر رأسه غير مقتنع بما تفعله شهرزاد، ولكنه سحب نفسه بهدوء وخرج من الغرفة وترك شهرزاد بمفردها تنظر إلى المرآة وإلى وجهها ثم.. ثم انهارت بالبكاء..

***

ما بين يوم وليلة تغيرت الحكايات في جميع أنحاء الجزيرة، وأصبح اسم شهرزاد يردده العامة بداخل القصر وخارجه.. تلك الفتاة التي فلتت من الموت مقابل قصة وحكاية ترويها للسلطان شهريار.

هرولت (قطر الندى) تلك الفتاة صاحبة الاثني عشر عامًا ابنة (الشيخ محسوب) شيخ الجزيرة الكفيف، هرولت ابنته بخفة من بين الأغصان مثل الفراشات وهي تضحك في سعادة مبالغ فيها، فقد سمعت للتو بأن شهرزاد قد فلتت

من العقاب المحتوم، ظلت تهرول حتى وصلت إلى منزل من الطوب اللبن تحيطه رقعة زراعية بها العديد من الغنم يأكلون الحشائش، دفعت الباب الخشبي فوجدت أباها الشيخ محسوب يجلس في ركن منزويًا في منزله يرتدي سروالًا منزليًا أبيض وبيده مسبحة يذكر بها الله، وجَّه وجهه ناحية الصوت فلم يسمع سوى صوت أنفاس ابنته المتسارعة المختلطة بدقات قلبها المتوازنة، فقال بصوت عجوز به الهدوء والطمأنينة:

- هل جئتِ يا قطر الندى؟

فاتجهت نحو أبيها مبتسمة ودنت منه وهي تلمس بشفتيها يديه تقبلهما وقالت بصوت تملأه الفرحة:

- لقد نَجت يا أبي.

عقد الشيخ محسوب حاجبيه ومد يده إلى ابنته لكي تساعده على النهوض وهو يقول:

- عن ماذا تتحدثين يا ابنتي؟؟

تحركت بجواره وهي تمسك يده وتقول:

- شهرزاد يا أبي آخر امرأة بالغة على الجزيرة، لقد نجت من بطش السلطان شهريار، لقد نجحت في وقف شلال الدماء

الذي بدأه السلطان منذ عامين وأكثر.

تحرك الشيخ محسوب بمساعدة ابنته حتى جلس مرة أخرى فوق أريكة من البوص، وقال مستفهمًا:

- كيف فعلت ذلك؟

جلست قطر الندى عند قدمي أبيها وهي تقول له بفرحة:

- نجت لكي تروي له قصة.

- قصة؟!

ابتسمت قطر الندى وقالت بحماس:

- نعم يا أبي قصة.. قبل ذبحها على يد السياف عرضت على السلطان شهريار أن تروي له قصة لا يعرفها أحد على الجزيرة، وقد كان.

- وهل تعتقدين يا ابنتي أن شهريار بهذه السذاجة، لا أحد يعرف مكر شهريار على الجزيرة بأكملها.

قال جملته الأخيرة وهو يتحسس شيئًا بجواره حتى اصطدمت يده بكيس قماشي ظل يبحث بداخله حتى أخرج سواكًا خشبيًا فأخذه وهو يقوم بتنظيفه، فنهضت قطر الندى وقالت بثقة:

- لو كان مكر السلطان قيراطًا فيبدو على شهرزاد أن مكرها أربعة وعشرون، يجب علينا أن نشاهد من بعيد وننتظر يا أبي.

- هل تعرفين ما معنى ذلك يا قطر الندى؟

فنظرت قطر الندى نحو أبيها وعقدت حاجبيها وقالت مستفهمة:

- ما هو يا أبي؟

ابتسم الشيخ محسوب وهو يضع السواك في فمه وقال:

- معنى ذلك أن نهاية شهريار على يد تلك الجارية التي تدعى شهرزاد.

***

مضى الوقت وما زالت شهرزاد في غرفتها لم تتحرك تبكي فترة وتصمت فترة حتى حل الليل، فسمعت من الخارج الطبل والزمر، فهرولت بجسدها البض نحو النافذة، فرأت في باحة القصر مربع الأركان واسع الساحة تقوم في جوانبه الأرائك للسادة من تجار الجزيرة، وتستقر في دائرة من وسطه الشلت للعامة.. يتبادلون الضحكات، يقدم الخدم في القصر مشروبات شتى ساخنة وباردة.

عادت شهرزاد من جديد مستقرة في منتصف غرفتها حتى فُتح الباب فجأة لتظهر رئيسة الخدم (قهرمانة) أمامها مشبكة ذراعيها أمام صدرها ثم قالت لها:

- عليكِ أيتها الجارية أن ترتدي ملابس مناسبة على وجه السرعة وتتزينين، مولاي شهريار يريدك معه في الأسفل.

هزت شهرزاد رأسها بفتور فانسحبت قهرمانة للخارج فنظرت شهرزاد نحو الدولاب الخشبي الموضوع في أحد الجوانب وفتحته، وأخرجت منه فستانًا به الكثير من الورود مكشوف الصدر، وابتسمت ابتسامة ماكرة وقامت بارتدائه..

***

في ساحة القصر كان شهريار جالسًا فوق الأريكة الوثيرة على الجانبين حاملا الريش يقومان بتهوية السلطان أمامه صحن كبير به العديد من الفاكهة الطازجة، على قسمات وجهه ابتسامة عريضة يظهر من خلالها أسنانه المنمقة، يجلس على أرائك بجواره السادة في الجزيرة ووزراؤه، وعلى رأسهم سُنقر، وعند أسفل قدمه يجلس العامة من الجزيرة يتناولون المشروبات الساخنة الملتهبة، ظهرت من بعيد قهرمانة تشبك أصابعها ببعضهما، ومن خلفها ظهرت شهرزاد ترتدي ذلك الفستان المطرز بالورود عاري الصدر، شعرها الذهبي مموج كموج البحر، خصلاته لامعة كشعاع

الشمس الهادئ، وجنتيها الحمراوان يزيدان من جمالها جمالًا آخر، عيناها الزرقاوان تلمعان فتلتهب قلوب الحاضرين.. انتبه الجميع نحوها وهي تسير على استحياء ينظر إليها أبوها وقلبه يدق بطبول الحرب، ينظر إليها شهريار وهي تسير فوق ممر أسفله تجري المياه حتى اقتربت من الأريكة الجالس فوقها شهريار وانحنت بنصف جسدها وقالت:

- السمع والطاعة مولاي.

نظر لها كثيرًا نظرات بلا معنى، هل دق قلبه إليها؟ لم يعرف حتى الآن، فهز رأسه لها وقال مباشرةً:

- عليكِ أن تجالسيني في تلك الحفلة.

قالت وهي على نفس الوضع المنحني:

- أوامرك مولاي.

ثم تقدمت بقدميها فظهر أمام عين شهريار ساقاها الملفوفان الأبيضان، ثم جلست بجواره فداعبت أنفه رائحتها الجذابة..

مضى الوقت وهما ينظران إلى مراسم الحفل، يجلس شهريار فوق أريكته، بينما سُنقر يختلس النظرات إلى ابنته شهرزاد بصمت مبالغ فيه، لاحظت تلك النظرات قهرمانة

وهي واقفة مستقيمة على مرمى البصر، فشكَّت في أمرهما..

دخلت مجموعة من الراقصات الرشيقات ورحن يؤدين فقرات بهلوانية، ومن ثم ظهر سحرة من بلاد الشمال يأكلون النار وبدأوا في عروضهم التي جذبت عيون الحاضرين.

انتهت الحفلة عند ذلك الحد، اليوم اقترب من منتصفه، فذهب الجميع وظل شهريار جالسًا مع وزرائه حتى ذهبوا هم الآخرين، ظل يسير شهريار في قصره حتى صعد الطابق الثاني حيث توجد غرفته ففتحها وهم أن يدخل فوجد شهرزاد جالسة فوق الفراش ممددة قدميها البيضاء أمامه مبتسمة ابتسامة هادئة يرتعش لها وجدان الرجال، فابتسم شهريار واقترب منها وهو يقول:

- ماذا أتى بكِ إلى هنا؟

اعتدلت في جلستها فاهتز جسدها البض أمام عينيه وقالت ببحة مذيبة للأعصاب:

- أنت يا مولاي.

اقترب منها شهريار فاختلطت أنفاسه بأنفاسها وقال:

- هل تشتاقين لشهريار؟

فابتسمت بخجل وهي تقول ببطء:

- ومن على الجزيرة لا يشتاقه يا مولاي.

ارتعشت أوصال شهريار ودقات قلبه وصلت إلى أقصاها، وحرارة جسده أصبحت ملتهبة حتى أوقفته قبل أن يقترب منها أكثر وهي تقول:

- ولكن يا مولاي الوقت ليس كافيًا ولابد من تكملة القصة.

هدأ شهريار قليلًا وهو يقول:

- القصة؟! وماذا يحدث بعد القصة.

- يحدث الذي تريده يا مولاي.

هز رأسه نتيجة على فهم قولها، وجلس بجوارها وهو يقول:

- هل تم القبض على سندس بعدما قتلت عبده السكاكيني.

ابتسمت شهرزاد وهي تقول:

- هذا لو قامت سندس بالفعل بقتله.

عقد شهريار حاجبيه وهو يقول:

- هل يوجد شخص آخر قتله؟

- من الممكن.

فقال بدون مواربة:

- عليكِ أن تبدئي القصة.

فابتسمت له وهي تمسك بخصلة من شعرها تلفها حول أصبعها وقالت:

- بلغني أيها الملك السعيد...

***

2

الصمت.. الخوف.. دقات القلب المسموعة.. الأنفاس المتحشرجة.. موسيقى تصويرية ألحت في هذا الوقت بدون استئذان أو موعد مسبق.. ارتعشت الإضاءة مرة أخرى ومعها صراخ من جميع الحضور.. حالة من الفوضى العارمة حدثت بدأ الحضور المتواجدون بداخل منزل السكاكيني فارين للهروب من ذلك المنزل، حالة من الهرج والمرج حدثت في هذا الوقت، وما زال (طه البنا) واقفًا مُتصلبًا أمام الجثة فاتحًا فمه ببلاهة غير قادر على استيعاب ما يراه، هل هذا بالفعل قتيل أم مزحة يمزحها معه الآخرون ولكن كيف.. كيف قُتل؟!

انتبه للحظة وهو ينظر حوله، فوجد نفسه بمفرده داخل المنزل أمامه جثة عبده السكاكيني وهي ملقاة على الأرض يسبح في بركة من الدماء، تلفت حولة بتوتر شديد حتى وجد كلبه ريكس يئن أسفل إحدى المقاعد المذهبة بداخل المنزل.. حاول أن يسيطر على أعصابه التي اقتربت على التلف، ونظر إلى الباب متجهًا نحوه وهو يجذب ريكس ويحمله، ولكن قبل خروجه سمع صوتًا.. صوت استغاثة صادرًا من الجثة الملقاة أسفل قدمه، وقف لبرهة ونظر من جديد نحو الجثة، ظل يفكر قليلًا وهو يسمع صوت الصياح

في الخارج ثم.. ثم قرر مثله مثل الباقية أن يفر من هذا المنزل هاربًا..

***

في هذا الوقت خرجت سندس من المنزل بمفردها مثل الباقين وهي متخفية أسفل عباءة لف سوداء تخفي أسفلها سلاحًا ناريًا بدائي الصنع، ظلت تسير بخطوات وأقدام مهترئة تتلفت حولها، تنظر من حين لآخر للوراء، لم تر جليلة وفرقتها.. تحبس الدموع في مقلتيها خائفة ضعيفة حتى رأت من بعيد شويش الدرك يسير بتباهٍ تلمع شرائط كتفه بكل فخر، فتحركت سندس بخفة وبسرعة للأمام وبدون قصد اصطدمت في ذلك الرجل صاحب العيون الزرقاء الذي يعمل بداخل كازينو ألماظة، فسقط منها السلاح الناري على الأرض، فشهقت ونظرت نحو السلاح بخوف، ثم رفعت رأسها ببطء لتنظر في وجه ذلك الرجل، فوجدته ينظر ببلاهة إلى السلاح، ومن ثم ينظر إليها والغضب يتطاير من بين مقلتيه وقال مستفهمًا:

- إنتي مييين؟

نظرت له وهي تضع يدها فوق فمها خوفًا والدموع الحبيسة أصبحت تنهمر فوق وجنتيها وهي تقول بتلعثم:

- أن.. أنا.. أنا..

لم تكمل كلمتها حتى دفعته بيديها بقوه فابتعد عنها وهو يحاول أن يلملم أعضاءه من السقوط فنظرت على وضعه وفرت من أمامه هاربة.

خرج طه البنا من المنزل وهو يتلفت حوله منذ قليل كان هذا المنزل يشع بالضجيج، والآن أصبح خاويًا تمامًا، رائحة الموت تلتف حوله، وهناك جثة بداخله، قد تقلب الأحداث رأسًا على عقب، هرول نحو سيارته وقفز فيها هو وكلبه ريكس، وقبل أن يدور المحرك وجد سندس تقتحم سيارته وتفتح الباب بقوة وتدلف داخل السيارة وهي تقول:

- اطلع بسرعة.

عقد طه حاجبيه بلا معنى وقال بتوتر:

- هي ليلة مش معدية شكلها إنتي مين يا بت إنتي.

نظرت له وهي تقول بتوسل:

- أبوس أيدك أطلع قبل منا وانت نروح الكراكون ومش هنخرج منه.

ظل ينظر إليها لثوان حتى رأى أن ذلك الرجل الذي كان يحمل له صناديق الكونياك يأتي نحو السيارة يلوح بيده

ومعه شاويش الدرك فنظر طه من جديد إلى سندس وقال:

- إنتي عملتي إيه يا بت إنتي؟؟

بلعت ريقها ببطء وهي تقول:

- أبوس إيدك مش وقت شرح الشاويش قرب يمسكنا.

نظر لها طه بغضب ثم دور المحرك وانطلق للأمام..

***

ظل طه البنا يسير بسيارته والدم قد هرب من عروقه، لم يعرف ما حدث له في هذه الليلة ومَن تلك الفتاة التي تجلس بجواره التي اقتحمت سيارته بدون إذن ومن دون معرفة، وقف بسيارته في منطقة هادئة خالية من البشر وهو يقول بجدية بعدما نظر لها:

- إنزلي أنا مش ناقص بلاوي.

نظرت له وهي تقول بصورة مباشرة:

- أنت كمان كنت في الحفلة.

نظر لها طويلًا بدون فهم حتى نطق ببطء وهو يقول:

- هو إنتي..

قاطعته بهزة من رأسها وهي تنظر أمامها وتقول:

- أيوة كنت موجودة في الحفلة.

- وشوفتي اللي قتله؟؟ قالها طه منتظر منها أن تجاوب عليه.

نظرت له وإلى عينيه ولم تتفوه بكلمة، مدت يدها وفتحت الباب وخرجت من السيارة لم يستطع طه إيقافها في تلك اللحظة، فانحنت بجسدها ونظرت له من جديد من خلال النافذة وهي تقول له:

- على العموم متشكرين يا ذوق، لو اتقابلنا تاني أنا وانت مشوفناش بعض قبل كده فهمني طبعًا.

في تلك اللحظة سمعا صوت صافره آتية من بعيد جحظت عيناها مرة أخرى ونظرت فوجدت من بين الإضاءة الصفراء الآتية من عمود الإنارة عسكري الدرك يصفر وبجواره ذلك الرجل يشير بيده نحو سندس، فاضطربت ووصلت ضربات قلبها إلى أقصاها وهي تدلف من جديد بداخل السيارة وهي تقول:

- جايين ورانا، لازم نهرب دلوقتي.

نظر طه لها وهو يلعن نفسه أنه تواجد في ذلك المنزل في هذا الوقت.

***

توقفت السيارة بجوار شارع كلوت بك في مدينة رمسيس، دلف من السيارة طه وهو يستدعي سندس للخروج من السيارة هي الأخرى خرجت وهي تتلفت حولها، أخرج ملاءة بالية مرقعة الألوان ووضعها ليخفي بها سيارته ثم أمسك بيد سندس وتحرك بها فوقفت وهي تجذب يديها وتقول:

- أنا مش همشي خطوة كمان غير لما تقولي موديني على فين.

نظر طه طويلًا إليها ثم عدل من وضع قبعة رأسه وهو يقول لها:

- لو متحركتيش معايا دلوقتي أظن إنك هتنامي في التخشيبة.. بلاش عند وتعالي معايا لحد صبحية ربنا.

انتهى من جملته وتحرك للأمام واضعًا يديه في جيب بنطاله، فضمت شفتيها وظلت تفكر قليلًا ثم ذهبت خلفه بخطوات سريعة وهي تقول:

- أستناني يااا

قال وهو ما زال يعطي لها ظهره ويسير بخطى ثابتة:

- اسمي طه.

ظلا يسيران بداخل شارع كلوت بك حتى وقفا أمام مكان صادر من داخله صوت المغني والموسيقى، يوجد لوحة نحاسية كبيرة مكتوب فوقها: (خمارة المتعة)، تقدم طه وهو يدفع بيده بابًا خشبيًا مواربًا، فأوقفته سندس بيدها وهي تقول:

- إحنا هندخل خمارة؟؟

نظر لها ثم وقف في مقدمة الخمارة وهو يضع يده فوق خصره، يرى بعض الفتيات الواقفات فوق الطاولات يرقصن، وصوت بعض الجنود الإنجليز الذين يتناولون الخمور في استمتاع شديد، تحرك للأمام بدون أن يتفوه بكلمة فتابعته سندس وهي تسير خلفه لتلحق به، أوقفه جندي إنجليزي وهو في حالة من السكر يمسك بيده زجاجة خمر ويضع يده عليه وهو يقول بتثاقل نتيجة لحالة السكر التي عليها قائلًا بلغة عربية ركيكة:

- جوني عاوز دي.. قالها الجندي الانجليزي وهو يشير بيده إلى سندس، فنظر طه نحو سندس فوجدها ترفع له حاجبيها بكل كبرياء فتصنع ابتسامة وهو يقول للجندي الإنجليزي:

- سوري يا خواجة دي متنفعكش.

قال جملته وهو يسحب سندس للأمام فأوقفه الجندي من

جديد وهو يقول بنفس الطريقة:

- جوني عاوز دي ودلوقتي حالًا.

فزفر طه بهدوء وهو يقول له وكأنه يتقن اللغة الإنجليزية:

- يا خواجة نوو.. نوو دي ماي سيستر متنفعكش.

قال جملته وقبل أن يرحل أوقفه الجندي للمرة الثالثة فغضب طه ونظر له والشرر يتطاير في عينه قائلًا:

- يووووه ما قولنا متنفعكش يا خواجة.

قال جملته وهو يمسك برأس الجندي وينطحه برأسه فسقط الجندي على إحدى الطاولات الخشبية وهشمها، أمسك طه بيد سندس وسحبها خلفه حتى دخل غرفة صغيرة في آخر الخمارة ونزل سلمًا خشبيًا وأخذ قنديلًا ينير له الطريق حتى وجدت سندس نفسها في غرفة أخرى بها رجل آخر جالس فوق مقعد خشبي بيده لفافة من التبغ، طويل القامة عريض المنكبين لديه شارب يملأ وجهه، وشاب صغير يجلس بجواره ويتناول سيجارة هو الآخر، وهناك فتاتان تجلسان معهما يضحكون جميعهم، عندما رأوا طه يقف أمامهم وبجواره سندس نظر أحد الشباب إلى طه وإلى سندس وهو يقول بعدما نفض الرماد من سيجارته:

- ومين دي كمان إللي ساحبها وراك.

نظر طه إلى سندس وتقدم حتى وضع القنديل فوق برميل خشبي وهو يقول:

- واحدة وقعت قصادي لما خرجت من بيت السكاكيني الشاويش كان بيجري وراها.

تقدمت سندس وهي تقول:

- أنا عاوزة أعرف هو في إيه بالظبط.

نظر لها ذلك الرجل ولم يتفوه بكلمة، أطفأ سيجارته في كعب حذائه الجلدي، ثم تحركت إحدى الفتيات وهي غاضبة وهي تدفع سندس بكتفيها وهي تقول:

- لا مؤاخذة يا أختي محتاجة طه في كلمتين كده. قالت كلمتها وسحبت طه للأمام بعيدًا عن سندس وهي تقول له بصوت خافت:

- مين اللي أنت ساحبها في ديلك دي كمان؟؟

مسح طه على وجه بيده وهو يقول:

- أبوس إيدك بلاش الغيرة دي.. يا بت أنتي اللي في القلب دي يا دوب بت غلبانة لقيتها في مشكلة والشاويش بيجري وراها، قولت أجبها هنا أخبيها ساعتين كده لحد ما الجو

يهدى.

زمت شفتيها وهي تقول بصوت يملأه الغيرة:

- عالله يا طه تبصلها طول ما احنا قاعدين.. في تلك اللحظة اقترب منهما البقية الفتاة الأخرى والشابان وتركوا سندس بمفردها، نظر أحدهما وهو يقول لطه:

- سمعت إن في لبش حصل في حفلة عبده السكاكيني والناس بتقول إن في واحد ضرب عليه نار موته.

سكت طه قليلًا وهناك كلمات في حلقه متردد أن يتفوها ثم قال:

- عبده السكاكيني مامتش من رصاصة.

عقد ذلك الرجل حاجبيه وهو يقول مستفهمًا:

- يعني إيه؟؟!

مسح طه وجهه وهو يقول:

- عبده السكاكيني لقيته مقتول بس مش برصاصة بسكينة مغروزة في قلبه.

زفر ذلك الرجل بضجر وهو يقول:

- وأنت عرفت منين؟؟

بلع طه ريقه وهو يقول:

- علشان أنا كنت موجود في الحفلة وقت ما اتقتل، بس مش دي المشكلة، المشكلة إن حاسس إنه لسه ما ماتش، كان لسه فيه الروح وانا هربت مع الناس اللي هربوا، خوفت اتلط في الموضوع ده وأروح في حديد، بس ضميري بيأنبني إن مانقذتهوش.

شهقت الفتاة وهي تضرب على صدرها وتقول:

- يالهوي يالهوي، إيه اللي دخلك البيت ده يا سي طه.

- مش وقت شرح خالص هبقى هقولكوا عليه بعدين.

في تلك اللحظة سمعوا صوتًا في الخارج غير طبيعي، تحرك طه بخفة فلم يجد لسندس أثرًا، والنافذة المتواجدة في تلك الغرفة والمطلة على الشارع الرئيسي مفتوحه على مصراعيها.

***

جلست جليلة في منزلها بعدما عادت من منزل السكاكيني، هربت كما هرب الجميع، صرفت فرقتها لتعود هي إلى منزلها منكمشة خائفة، صوت العيار الناري يسور أذنيها، ولكن منظر عبده السكاكيني وهو مستلق فوق الأرض والسكين منغرز

في صدره جعلها تتشتت، هل قُتل بعيار ناري أم بسكين؟ في تلك اللحظة تذكرت منذ عشرين عامًا منظر عزيز القط وقت ما قتله عبده السكاكيني، كان مثله على هذا الوضع، في تلك اللحظة جحظت عيناها وتذكرت شيئًا، سندس ابنة عزيز القط التي كانت معها واختفت فجأة بدون مبرر، بدأت تجمع الخيوط، كيف جاءت لها وكيف عرضت عليها أن تنضم إلى صفوف فرقتها، همست جليلة وهي تقول:

- أه يا بنت الهرمة!

تيك تيك، صوت طرقات بسيطة على الباب سمعتها جليلة وهي في الطابق الثاني من المنزل، كانت جالسة جنب المشربية فتحتها ببطء لترى من الطارق، ولكن كانت العتمة هي من احتلت المشهد، أمسكت قنديلًا كان قريبًا منها ومشت بخطى سريعة نحو الدرج، فاهتز ثدياها كقربة مياه ممتلئة، نزلت الدرج وقالت من خلف الباب:

- مين؟

لحظة من السكوت خيم على المشهد حتى سمعت من الخارج صوت فتاة تقول:

- أنا سندس يا ست جليلة.

فتحت جليلة الباب فورًا وهي ترمق سندس بحنق، تنظر

لها من رأسها حتى قدميها فاختلست سندس نظرات بعينها خلفها لكي تطمئن أن ليس هناك من يلاحقها ثم قالت:

- مش هدخليني ولا إيه يا ست جليلة؟

أزاحت جليلة جسدها لتدخل سندس وأغلقت الباب خلفها وهي تقول لها بحدة:

- كُنتي فين يا بنت القط؟

بعدت سندس عينيها عن جليلة وهي تتظاهر بعدم الفهم وتقول:

- معرفش سمعت صوت صويت وعويل من البهوات إللي كانوا في بيت سي عبده السكاكيني، خوفت يا أبله وخرجت بجري معرفش رجلي ودياني لفين لحد ما جيت هنا.

هزت جليلة رأسها وأخرجت من فم عباءتها علبة سجائر كرتونية، وأخرجت منها واحدة، قالت بعدما تناولتها دون أن تشعلها:

- والمفروض أصدق الهبل اللي بتقوليه ده مش كده.

- وأنا أكدب ليه يا أبله.

جلست جليلة فوق مقعد خشبي ووضعت قدمًا فوق الأخرى وهي تقول بعصبية مفتعلة:

- قتلتيه ليه يا بت إنتي.

جحظت عين سندس من المفاجأة، تلعثمت في الحديث، لم تستطع أن تتفوه بكلمة، شعرت برعشة في جسدها في هذا الوقت فقالت جليلة من جديد:

- فكراني هبلة ولا مختومة على قفايا يا بنت القط، قوليلي ليه قتلتي عبده السكاكيني.

حاولت سندس أن تقاوم تلك الرعشة التي احتلت جسدها، ونظرت نظرة قوية في عيون جليلة وقالت:

- أنا مقتلتوش يا ست جليلة.. بس ورحمة أبويا عزيز القط في تربته أنا فعلًا كنت ناوية أقتله وافش غليلي وغليل أمي.

رقعت جليلة ضحكة قوية وهي تقول:

- رئيسة أمك هي لسه عايشة والنبي ليها وحشة.

اندهشت سندس من طريقة جليلة فعقدت حاجبيها بغضب وقبل أن تتفوه بكلمه نهضت جليلة من مجلسها وتقدمت نحوها وهي تربت على كتفها وتقول:

- لو فاكرة إن عبده السكاكيني هو اللي قتل أبوكي تبقي عبيطة ولسه عيلة صغيرة متعرفيش حاجة.

قالت سندس بغضب:

- متحاوليش تدافعي عنه، ولا هو واحد من زباينك وزعلانة إنك خسرتيه.

- توء.. قالتها جليلة وهي تغمز بعينها لسندس ثم تابعت.

- عبده السكاكيني فعلًا قتل أبوكي قدام الحي كله، بس قتله علشان كان بيدافع عن بيته ومراته.

ظلت سندس تنظر لها بغضب، عقدت حاجبيها وقسمات وجهها اقتربت من الاحمرار فتابعت جليلة وهي تقول:

- أبوكي عزيز القط كان عربجي من اللي كانوا في الحي، ملهوش متوة، كان أوقات بيجيلي يسهر سهرته عندي ويدفع اللي فيه النصيب ويتكل على الله.. صاحبه اللي كان واقف جنبه هو عبده السكاكيني، كان بيحاول يساعده لحد ما عزيز القط حب يعض الإيد اللي بتتمدله، وحب يبلطج على عبده السكاكيني وياخد بيته، فعبده السكاكيني مكنش قدامه حل غير إنه يقتله علشان يدافع عن نفسه وعن بيته.

مالت سندس بطرف فمها وابتسمت ابتسامة استهزاء وهي تقول:

- قصة مؤثرة فعلًا.. إنتي بتقولي أي كلام يا أبلة وفكراني

عيلة صغيرة هتضحكي عليا بكلمتين، بس أنا كبيرة كفايا علشان أقدر أخد بتار أبويا.. عيني مشفتهوش آه بس حلفت برحمته إن هقتل اللي قتله وشردني أنا وأمي واخواتي.. بس يا خسارة مات النهاردة وكان نفسي أنا إللي أقتله.

في تلك اللحظة سمعا صوت خبط على الباب بقوة ومتكرر، تبادلت جليلة وسندس النظرات، ثم أشارت جليلة لسندس بالدخول إلى الغرفة التي في الداخل، ومن ثم اقتربت من الباب وقامت بفتحه حتى رأت أحد صبيانها الذين يعملون معها نظرت له وهي متفاجئة من منظره:

- مالك يا ولا فيك إيه؟؟

قال من بين أنفاسه المتسارعة وصدره يعلو ويهبط:

- عبده.. عبده السكاكيني يا معلمة.

رمقته جليلة بترقب وهي تقول له:

- ماله يا واد سي عبده السكاكيني.

قال وبدأت أنفاسه تهدأ قليلًا وهو يقول:

- جثته اختفت من البيت الكبير..

نظرت له جليلة مندهشة ورددت قائلة:

- جثته اختفت؟؟!!

***

بدأت أشعة الشمس في البزوغ وصوت صياح الديك في الخارج يعلو يدوي القصر والجزيرة بما فيها، حيث نظر السلطان شهريار إلى شهرزاد وهو يقول:

- ما معنى ذلك؟ كيف اختفت جثة المدعو عبده السكاكيني؟ وكيف لم تجد الشرطة له أثرًا؟

فضحكت شهرزاد حتى ظهرت أسنانها المنمقة البيضاء وهي تتثاءب وتقول:

- مولاي الشمس بدأت في البزوغ وقد شعرت بالنوم.

نظر لها شهريار بخبث واقترب منها حتى اختلطت أنفاسه بأنفاسها وهو يقول:

- ولكن حديثنا لم ينته بعد.

ابتعدت بجسدها للوراء قليلًا وهي تقول بدلال:

- مولاي إنني مرهقة بالفعل.

- ولكن مولاكِ يشتهيكِ الآن.

ابتسمت له وهي تقول له بمكر:

- الليلة يا مولاي سننتهي من القصة، وسأكون معك تحت الأمر والطاعة يا سيدي.

ابتعد عنها وهو يهز رأسه لها، كان يعلم منذ البداية أنها ماكرة، ولكنه أحب مكرها، تركها تذهب إلى غرفتها، مرت لحظات حتى طرق الباب خادم من خدامه وهو يقول له:

- مولاي هناك رسالة جاءت إليك.

مد شهريار يده وأخذ الرسالة من يد خادمه، فك الدوبارة الملفوفة فوق الورقة الجلدية، وقرأ ما هو مكتوب، وجحظت عيناه وهو يقرأ:

"مولاي شهريار، يجب أن تحذر، نهايتك ستكون على يد جاريتك شهرزاد".

الفصل الخامس

شيء مـا

1

لا لم أشعر أنني أطير، قالها طه البنا محدثًا نفسه والظلام يحيطه من كل مكان، كان يشعر أنه يهوي بسرعة مخيفة، لم يستطع معها حتى الصراخ، كان يريد أن يلاحق فتاة قد اقترب جسدها من الأرض ليفتك بها ويتبعثر جسدها، فتاة تنظر له وهي تضحك ضحكة بلهاء، تمد يدها في اتجاهه ليلحق بها، مطعونة بسكين في صدرها، تنزف دمًا كالسيول المتدفقة، وهناك ضوء يغمرهما من كل اتجاه، ودام ذلك طويلًا ثم سقطت الفتاة ليرتطم جسدها على الأرض، لتصمت في سبات عميق، تنزف دمًا من كل جزء في جسدها، أما طه فأصبحت سرعته تتناقص.. تتناقص ثم توقف عن السقوط ومن ثم فتح عينيه مفزوعًا وجد نفسه بذلك الكوخ البسيط، ما زال يرتدي ملابس الكاو بوي، يتساقط منه العرق كالأمطار، ملابسه ملتصقه بجسده، صدره يعلو ويهبط بشكل متسارع غير منتظم تلفظ باسم فقط:

- ليلى..

نظر على الناحية اليمنى فوجد صحراء تجلس فوق مقعد خشبي وتضع قدمًا فوق الأخرى عاقدة يديها أمام صدرها تنظر له بنظرة خبث رافعة حاجبها الأيسر، ظلت تنظر له للحظات تشاهد قطرات عرقه المتساقطة من جبينه حتى وجنتيه.. صدره الذي ما زال يعلو ويهبط، نهضت بدون أن تتفوه بكلمة واحدة وتحركت نحو إناء كبير وسحبته ومعه كوب بلاستيكي، وضعت الماء في الكوب واقتربت منه وهي تمد يدها له بالماء، أخذ منها الكوب بدون تردد ودفعه في فمه جرعة واحدة، ونظر فوجد صحراء تعود من جديد لتجلس فوق مقعدها الخشبي وهي تقول له مستفسرة:

- يا ترى مين ليلى إللي انت حلمت بيها وقايم كده مفزوع من نومك.

نظر لها وهو فاتح فمه وقد هدأ قليلًا، مسح فمه بكم قميصه وهو ينهض من فوق الفراش متقدمًا للأمام ويعطي لها ظهره، أخرج لفافة تبغ مرر لسانه عليها فبللها قليلًا وتناولها، نفث دخانه وهو يقول:

- لا متشغليش بالك..

مالت بطرف فمها وأعلنت عن ابتسامة ساخرة وهي تنهض هي الأخرى من مجلسها وتذهب خلفه وتقول:

- ممم.. مشغلش بالي.. طيب كويس جدًّا أنا مش هشغل بالي خالص.. كنت مرمي وسايح في دمك وبتموت وبتقول على بيت بقاله سنين مهجور إنك سهرت جواه .. وعلى راجل ميت بقاله سنين بتقول عليه إنك قابلته.. ودلوقتي إسمك منور في كل الجرايد، متهم بجريمة قتل وأنا مخبياك عندي هنا، وفي الآخر بتقولي مشغلش بالي..

جحظت عيناه واستدار بجسده ينظر لها وقد تلعثم في الكلام وهو يقول:

- جرا.. جرايد؟! يعني إيه إسمي منور في الجرايد؟؟

تفرست في وجهه للحظات وتقدمت نحو المنضدة التي تتوسط الكوخ وأخذت الجريدة وألقتها في وجهه وهي تقول:

- لقوا جثة مرمية في صندوق زبالة ويا ترى الصندوق ده مكانه فين.. جنب بيت السكاكيني إللي أنت وديتني عنده.. والمتهم في القضية هو إنت يا أستاذ طه، والبنت اللي لاقوها مقتولة إسمها ليلى، نفس الاسم إللي أنت صاحي مفزوع بتقوله.. مصمم برضو إني مشغلش بالي.

ضربات قلبه أصبحت تتسارع مد يده وهو يأخذ الجريدة وفتحها، كانت صورته متربعة في مقدمة الصفحة الأولى..

بعنوان ببنط عريض أسفل صورته مكتوب: "البحث عن الكاتب طه البنا المتهم بمقتل فتاة عشيرنية وإلقائها في صندوق المهملات بالقرب من منزل كان يتردد عليه في الآونة الأخيرة، منزل مهجور في حارة اليهود، منزل السكاكيني".

لم يفهم طه البنا شيئًا، ظل فاتحًا فمه ببلاهة، لم يستطع أن يتفوه بكلمه وهو يخفض يده بالجريدة وينظر إلى صحراء التي لا تصدقه مهما قال لها...

***

توقفت سيارة فيرنا أمام منزل السكاكيني ليخرج منها المقدم (جمال منصور)، ومن خلفه طارق مساعده، نظر نحو المنزل قبل أن يخرج علبة سجائره من الجيب الداخلي لسترته الجلدية، كانت تحتوي على واحدة فقط، أخذها وتناولها وألقى بالعلبة بعيدًا، أخرج قداحة ومال برأسه يقتبس نارًا وهو يتفقد مداخل ومخارج المنزل بعينيه، يتفقد المنطقة بأكملها، هناك محلات مُغلقة منطقة شبة خالية، لا يوجد بها أناس يسيرون أو أطفال يلعبون.

أخرج دخانًا من فمه ثم تحرك للأمام ودفع البوابة الصدئة فصدر منها صوت صرير كئيب، صعد الدرج ومن خلفه طارق ما زال يسير خلفه بدون أن يتفوه بكلمة واحدة، بضع دقائق

مرت وما زال جمال يبحث بعينيه على كل جزء يراه في المنزل والحديقة الخارجية، ألقى السيجارة أسفل حذائه ومد يده نحو القابس وضغط، صوت الرنين يعلو، ظل واقفًا منتظر أن يُفتح الباب وهو عاقد يديه أمام فخديه، دقيقة مرت حتى فُتح الباب وظهرت من خلفه (جنة)، نظرت لهما عاقدة حاجبيها وقالت بدون مواربة مستفهمة:

- أفندم.

حك جمال أنفه وقال بصوت رخيم به بعض الثقة والخبرة:

- أسفين على الإزعاج يا فندم، أنا المقدم جمال منصور مباحث.

توترت جنة قليلًا وقالت بصوت مهزوز:

- خير يا فندم.

رمقها وهو يشير بيده قائلًا:

- ممكن نتكلم جوه شوية، مش هاخد من وقتك أكتر من عشر دقايق.

هزت رأسها متفهمة قوله ثم انحنت من أمام الباب فنظر جمال إلى مساعده طارق وتقدم داخل المنزل، ظل ينظر في كل اتجاه، كان المنزل من الداخل كئيبًا بعض الشيء، هناك

صالون مذهب قديم يبدو أنه من أيام الملك فاروق، وهناك برواز كبير بداخله رجل ارستقراطي جالس فوق مقعد وثير يرتدي بذلة أنيقة وطربوشًا فوق رأسه، أسفل الصورة يوجد جرامفون قديمًا كديكور للمنزل، وهناك على الجانب الآخر بيانو قديم نوعًا ما، فوقه مزهرية يبدو أنه لم يستخدم منذ فترة بعيدة.

ظل جمال يراقب كل شيء بحرص شديد حتى جلس فوق مقعد من مقاعد الصالون المذهب، وبجواره جلس طارق بهدوء أمامهما، جلست جنة وضعت قدمًا فوق الأخرى وهي ترحب بهما، أتت فتاة عشيرينة ترتدي عباءة منزلية مطرزة فنظرت جنة لهما وقالت:

- تحبوا تشربوا إيه؟

- ياريت لو اتنين شاي.

تحركت تلك الفتاة للداخل مرة أخرى حتى نظرت جنة إلى جمال وقالت:

- أتفضل يا سيادة المقدم.

تنحنح جمال وقال:

- في جريمة قتل حصلت من يومين قريبة من البيت هنا.

هزت رأسها بالإيجاب وقالت:

- أيوة وفي ناس من الشرطة جت واستجوبتنا ورفعت بصمات كمان.

هز جمال رأسه وهو يضع هو الآخر قدمًا فوق الأخرى وقال:

- أنا جي النهاردة بصفة ودية جدًا، ويا ريت نساعد بعض يا أستاذة....

- جنة، اسمي جنة، أتفضل وأنا تحت أمرك.

عقد جمال يده أمام صدره وقال:

- اللي سمعته إن البيت هنا كان محدش ساكنه لحد من أسبوعين، حقيقي الكلام ده؟

هزت رأسها بالإيجاب وهي تقول:

- ده بيت جدي عبده السكاكيني.. تقريبًا محدش كان ساكنه خالص الفترة اللي فاتت كلها، انا كنت متجوزة وعايشة برة مصر لحد ما جوزي أتوفى من سنة، ورجعت تاني عشت مع جدتي.

رمقها جمال وقال مستفهمًا:

- والوالد والوالدة فين؟

- بابا وماما ماتوا من خمس سنين في حادثة عربية، وانا مفضليش غير جدتي أم بابا عشت معاها في شقة صغيرة في الشيخ زايد، لحد ما الظروف أتلخبطت معانا فبعنا الشقة وجينا قعدنا هنا.

في تلك اللحظة أتت الفتاة ومعها صينية نحاسية فوقها أكواب الشاي ووضعتهم أمام جمال وطارق وانصرفت، لحظة من الانتظار حتى ذهبت تلك الفتاة ثم نظر جمال من جديد إلى جنة وقال:

- طيب قبل كده محاولتوش تبيعوا البيت ده أو حتى تأجروه.

هزت رأسها نافية وهي تقول بعدما رجعت خصلة من شعرها خلف أذنيها:

- لا محولناش نبيعه، بس حولنا نأجرة كذا مرة كان اللي بيجي يعيش فيه يومين تلاته ويسيبه بدون أدنى أسباب.

ضم جمال شفتيه وزم في حيرة ثم تابع قوله:

- ممكن أعرف لو في حاجة حصلت هنا غريبة زمان بتخلي محدش يقدر يعيش في البيت.

- حاجة زي إيه؟ قالتها جنة وهي عاقدة حاجبيها.

بلع جمال ريقه وهو يقول:

- معرفش أنا بسألك إيه اللي خلى جدتك وجدك يسيبوا البيت ده ويبقى مهجور وبباكي محاولش مثلًا ليه يقعد فيه حاجة غريبة شويتين !!

سكتت لبرهة جنة قبل أن تتفوه وتقول:

- جدي عبده السكاكيني اتقتل في البيت ده، ومن وقتها والبيت مقفول.

جحظت عين طارق المساعد وهو ينظر ببلاهة إلى جمال الذي لم يندهش مما قالته، قطع حديثهم فتاة صغيرة آتية من الطابق الثاني جمالها لم يوصف، تشبه كثيرًا جنة، بين يديها كراسة للرسم، قالت بصوت طفولي ناعم وهي تهرول إلى جنة وتقول:

- ماما.. يا ماما أنا ألواني خلصت.. قالتها ولم تلاحظ الشخصين الجالسين.

ابتسمت لها جنة وهي تقبلها وتهمس لها وتقول:

- هخلص مع عمو وهجبلك الألوان اللي إنتي عايزاها.

نظرت الطفلة نحو جمال وشهقت وهي تضع يدها فوق

فمها، فابتسم في وجهها جمال وأشار بيده له وقال:

- إزيك يا كتكوته.

لم ترق لها كلمة كتكوتة، وتوارت خلف أمها فضحكت جنة وقالت:

- جنة سلِّمي على عمو عيب كدة.

اندهش جمال ورفع حاجبيه وهو يقول:

- اسمها جنة على اسمك؟

هزت جنة رأسها مبتسمة في وجه وقالت:

- طلعت شبهي في كل حاجة، بباها الله يرحمه حب يسميها على اسمي، واخده كمان نفس الوحمة اللي في إيدي.

نظر جمال فوجد بالفعل وحمة تأخذ شكل قلب على يد جنة الطفلة وجنة الأم، فابتسم وقال:

- ما شاء الله ربنا يخليهالك.

- ميرسي لذوقك.

قال جملته ونهض فنهض طارق هو الآخر من خلفه فنظر جمال نحو جنة وقال:

- أتمنى منكونش ضيوف تقال.

- لا خالص تحت أمرك في أي وقت.

هز رأسه مبتسمًا وتحرك للأمام حتى وقف فجأة ونظر من جديد نحو جنة الأم وقال لها:

- تعرفي حد أسمه طه البنا؟؟

رمقته وعيناها زائغتان مفكرة وقالت:

- في واحد إمبارح جالي هنا ومعاه بنت كده، وتقريبًا سمعت البنت دي بتقوله أستاذ طه.

مال جمال بفمه وأعلن عن ابتسامة وهو يقول:

- تمام يا ريت لو جالك تاني تبلغينا. أنهى جملته ونظر نحو الطفلة جنة فوجدها تحملق فيه، فابتسم في وجهها وقال:

- باي باي يا جنة. بدون أن ترد عليه توارت خلف أمها وهناك نظرات خوف ظهرت في عينيها.. خرج جمال وطارق من المنزل، ظل طارق يلاحق جمال بخطوات سريعة ثم قال له لأول مرة:

- جمال باشا أنت مصدق الست اللي جوة دي ؟؟

وقف جمال فجأة واستدار وهو ينظر من جديد نحو المنزل وقال:

- الناس اللي جوة دول وراهم سر كبير وانا اللي هكشفه...

***

تحرك المقدم جمال منصور بمفرده هذه المرة إلى قسم شرطة الدرب الأحمر، وقف بسيارته أمام المبنى فاقترب منه أمين شرطة كان واقفًا منتصبًا، فرفع جمال أمام عينيه كارنيه بلاستيكيًا فقدم أمين الشرطة التحية العسكرية له وهو يقترب ويفتح البوابة الحديدية أمام سيارته.

دلف جمال من سيارته ودخل المبنى العتيق، فسأل أحد الموظفين عن مكتب المقدم (كمال الغمراوي) فأخبره الأخير أنه في الطابق الثاني، اتجه نحو المكتب طرق طرقتين على الباب فسمع صوتًا من الداخل يقول:

- إتفضل.

دخل جمال على العقيد الغمراوي فنهض مبتسمًا مرحبًا به وهو يقول:

- جمال منصور بنفسه، وحشتني جدًا يا سيادة المقدم.

فضحك جمال وهو يقترب من العقيد الغمراوي ويبادله التحية والمصافحة، جلس الغمراوي خلف مكتبه وجلس جمال على الكرسي المقابل له، فقال له وهو يشد أطراف

الحديث:

- خير إيه اللي فكرك بينا يا سيادة المقدم؟

مال جمال بطرف فمه فأعلن عن ابتسامة ودودة ظهرت على قسمات وجه وهو يقول:

- بصراحة أنا جيلك في شغل يا باشا.

عقد الغمراوي أصابعه ببعض ورمق جمال وهو يقول:

- خير يا جمال.

بدون مقدمات نظر جمال له وهو يقول:

- من كام يوم حصلت جريمة قتل، بنت لقوها مقتولة ومرمية في صندوق زباله جنب بيت اسمه بيت السكاكيني في حارة اليهود، وسمعنا كده إن إنتوا متحفظين على متهم قتل أصحابه، وكان قريب من البيت ده، وتقريبًا في نفس التوقيت وفاة البنت دي، فجيت أعرف وصلتوا لإيه معاه ولو ينفع أقابله.

زم الغمراوي شفتيه وظل يفكر وهو يقول:

- كده بقوا 3 ضحايا!! قال جملته وسكت للحظة ثم رمق جمال وتابع ما بدأه.. القضية دي يا جمال ماسكها العقيد عماد النجار، هتّصلك بيه وهخليه يحضر وتتكلموا مع بعض.

فور ما سمع جمال اسم عماد النجار تغيرت ملامح وجهه، لقد كانت علاقتهما غير ودودة، وهناك الكثير من المشاكل بينهما، بعد أقل من خمس دقائق دخل المقدم عماد النجار عليهما بعدما بلغه العقيد كمال إنه يريده في مكتبه، فور ما دخل عليه ووجد جمال منصور جالسًا في الغرفة اختفت الابتسامة من على وجه وهو يقول:

- جمال منصور بنفسه موجود هنا. قال جملته واقترب ليصافح جمال، فمد جمال يده هو الآخر ليصافحه بدون أن ينظر له، فجلس المقدم عماد أمام جمال ومن ثم نظر نحو العقيد كمال وقال:

- خير يا فندم.

شبك كمال يديه عاقدهما أمام صدره وهو يقول:

- المقدم جمال جالنا النهاردة بخصوص المتهم إللي كان قريب من بيت السكاكيني وقتل صحابه، عاوز يشوف وصلنا لأيه وعاوز يقعد مع المتهم.

نظر المقدم عماد نحو جمال ورمقه وهو يقول:

- إشمعنا.

نظر له جمال وتفرس في وجه ببغض وقال:

- في جريمة قتل لبنت وأنا شاكك إن الجريمتين دول مرتبطين ببعض.

- وأنت بقى الظابط الكفء اللي هتقدر تحل القضية دي؟ قالها عماد بسخرية مبالغ فيها وهو ينظر بتحد إلى جمال.

وضع جمال قدمًا فوق الأخرى وهو يقول:

- جرب وانت تشوف.

غضب المقدم عماد وقبل أن يتفوه بكلمة أوقفه العقيد كمال وهو يقول:

- مشاكلكم اللي كانت في الكلية حاجة ودلوقتي حاجة، إنتوا كبرتوا كفايا ولازم تساعدوا بعض. أنهى جملته وهو يرفع سماعة هاتفه ويقول بصورة آمرة:

- هاتلي يا بني المتهم (علي الدمرداش) من الحبس.

لحظة من الترقب والصمت كانت نظرات عماد إلى جمال تحمل الكثير من البغضاء والكره، حاول جمال أن يتجاهله بقدر المستطاع حتى دخل عليهم عسكري وبيده المتهم علي الدمرداش ما زال بملابسه الباليه، وجه شاحب عيون ذابلة، تركه العسكري واقفًا وذهب، نهض جمال واقترب منه وهو يقول:

- إزيك يا علي.

رفع علي رأسه ببطء ونظر إلى جمال ثم نظر نحو كمال وعماد وقال:

- إيه يا بيه خلاص إعدام.. قالها بصوت مبحوح.

ابتسم جمال وربت على كتفه وقال:

- تعالى أقعد يا علي وقولنا إيه اللي حصل معاك.

بلع علي ريقه بصعوبة وانساق خلف المقدم جمال وجلس على أريكة إسفنجية بجواره، فأخرج جمال سيجاره من علبته ومد يده بها نحو علي وقال:

- خد يا علي ولع.

نظر له علي ومد يده مترددًا وأخذها على استحياء، ثم نظر نحو المقدم عماد الجالس أمام عينيه بخوف فلاحظ ذلك جمال فقال له:

- متخفش يا علي من حاجة.

هز علي رأسه وهو يضع السيجارة في فمه بيد مرتعشة ولعها له جمال ثم بدأ يجذب أطراف الحديث قائلًا:

- قولي بقى يا سيدي كنت تعرف واحدة اسمها ليلى

الحناوي؟

بيد مرتعشة نفخ علي دخانه وهو يهز رأسه:

- لأ يا باشا.

فنظر جمال نحو العقيد كمال ثم نظر من جديد إلى علي وقال:

- قولي يا علي إيه اللي حصل معاك ليه قتلت أصحابك؟؟

نظر له علي والدموع تملأ عينيه ويقول:

- أنا مقتلتهمش يا باشا هما إللي أختفوا.

- أنت هتستعبط يا روح أمك. قالها عماد منفعلًا وهو ما زال جالسًا فوق مقعده.

نظر له جمال ونهره بنظرة صارمه، ومن ثم ربت بيده فوق كتف علي ونظر له بعدم فهم وهو يقول:

- اختفوا إزاي يا علي، ممكن تحكيلي الحكاية من أولها.

هز علي رأسه وهو ينظر نحو عماد ثم وجه نظراته نحو جمال وقال له بصوت مرتعش خائف:

- هتصدقني يا باشا؟

ابتسم جمال وهز رأسه فزفر علي وهو يقول:

- في باشا كبير معرفش أسمه إيه طلب مني إن يوم الجمعة أروح بيت السكاكيني بيت مهجور، قالي إن في أوضة في البيت ده فيها آثار نخرب فيها لحد ما نوصل للآثار دي ونرجع بيها، وطلب مني إن أخد اتنين معايا يكونوا ثقة، فأخدت معايا شوقي وعلاء، وقالي: المصلحة دي هناخد فيها 50 باكو، وفعلًا مكدبتش خبر، روحنا على البيت بس اللي حصل غير كده.

عقد جمال حاجبيه وهو يقول:

- كمل يا علي حصل إيه؟

رفع علي يده المرتعشة وأخذ نفسًا آخر من سيجارته وقال:

- إللي حصل يا باشا إننا أول ما دخلنا البيت كان فعلًا محدش ساكنه ومهجور، وأول ما رجلنا دخلت الأوضة لقينا الأنوار اشتغلت، وفي حفلة كبييييرة وناس يااااما في البيت بيرقصوا ويغنوا، وفجأة النور قطع وبعدها سمعت شوقي وعلاء بيصرخوا والدم بقى في كل مكان، وملقتهمش حواليا راحو فين الله أعلم.

نظر جمال نحو عماد الذي صدر منه ضحكة على عدم مصداقية المتهم، فزفر جمال ونظر من جديد إلى علي وقال:

- وبعدين يا علي حصل إيه.

خفض علي صوته قليلًا وهو يقول:

- البيت ده يا باشا اللهم احفظنا شكله كده مليان عفاريت، واحنا اقتحمنا عليهم بيتهم، وده اللي خلاهم ينتقموا من شوقي وعلاء.

- لو صدقنا إن كلامك صح يا علي وفي فعلًا عفاريت ليه سابوك ومنتقموش منك أنت كمان.

ابتسم ابتسامة باهته ونظر نحو جمال وقال:

- هو في أكتر من كده انتقام يا باشا، أنا أغمي عليا صحيت لقيت نفسي ماشي في الشوارع وفي إيدي سكينة مليانة دم، ومتهم بقتل أصحابي. أنهى جملته وقد بدأ في البكاء.

هز جمال رأسه وهو يقول:

- خلاص يا علي إحنا هنتحفظ عليك وهنحقق، ولو فعلاً أنت بريء هنثبت ده قريب. أنهى جمال جملته وأمر العسكري أن يعود بعلي مرة أخرى إلى الزنزانة، فور خروج المتهم من الغرفة ضحك عماد وهو يقول ساخرًا:

- إيه يا سيادة المقدم، أنت مصدق الهبل اللي سمعته ده، أهو عامل فيها مجنون ودخلنا في جن وعفاريت.

نظر له جمال حتى انتهى من سخريته ثم وجه نظراته إلى العقيد كمال وقال له:

- بعد إذنك يا فندم أنا محتاج تقرير الطب الشرعي، عاوز أعرف الدم اللي لقوه على السكينة ده، وأطابقه بدم المجني عليها ليلى الحناوي.

هز كمال رأسه بالموافقة، فابتسم عماد ساخرًا عما يفعله جمال فلم يعره جمال أي اهتمام، ثم جلس منتظرًا التقرير.

***

2

على منضدة صغيرة من الخشب بداخل شركة الأصدقاء جلس (أسامة شعراوي) وأمامه شطيرة من اللحوم يلتهما، صوت الأكل في فمه يعلن عن سمفونية من الموسيقى الكلاسيكية مستمتعًا بها هو فقط، يجلس على المكتب الخشبي (آدم الحسيني) خلف شاشة الحاسوب، وما زال يبحث عن شيء له صلة بجريمة قتل (ليلى الحناوي)، يجلس على الجهة الأخرى كل من (مروان الصياد) و(هيثم سليمان) يتبادلان النظرات نحو (آدم)، نهض هيثم من موضعه واقترب من آدم وهو يقول له:

- ممكن أعرف بقى ليه أجّلت موضوع القناة، الراجل فاروق السكري كان هيبوس إيدينا وانت حسسته إنك حمدي قنديل.

بدون أن ينظر له آدم قال وهو ما زال يبحث عبر مواقع التواصل الاجتماعي قائلًا:

- خلصت اللي عاوز تقوله.

اقترب مروان منهما وهو يقول هو الآخر:

- هيثم عنده حق يا آدم ليه عملت كده.

أغلق آدم هذه المرة الحاسوب ونظر إلى أصدقائه وزفر في ضيق وهو يقول:

- علشان مش مرتاح للراجل ده، مش شايفين نظراته لينا كانت عاملة إزاي.

- هو انت هتتجوزوا. قالها هيثم منفعلًا.

نهض آدم من مجلسه وهو يعطي ظهره لأصدقائه وينظر إلى شعراوي الذي انتهى من التهامه للشطيرة وهو يقول:

- شوفتوا وهو بيكلمنا عن جريمة القتل ليلى عارفين ده معناه إيه.

نظر هيثم نحو مروان ثم قال موجهًا حديثه إلى آدم قائلًا:

- صدفة يا آدم أكيد.

مسح شعراوي فمه بكم قميصه ونهض وهو يقول:

- أنا مع آدم في كل كلمة قالها، الراجل ده مش سهل.

نظر له مروان وهو يقول:

- وأنت عرفت إزاي يا أبو الغُريف.

أخذ شعراوي زجاجة مياه وبدأ يتجرع منها، ثم خفض يده وهو يقول له:

- الراجل ده كان واقف وشايفنا من أوضة جانبيه لما دخلنا الفيلا، لمحته بطرف عيني كده وهو واقف من بعيد وشايفنا وإحنا داخلين، أتأخر علينا شويتين حسيته عاوز يسيبنا لوحدنا شوية ويشوف رد فعلنا، من خبرتي أنا بقول إنه كان في كاميرات في الأوضة اللي إحنا فيها.

اقترب هيثم من آدم وهو يقول له:

- سيبك منه ده عايش في جو الجرايم اللي شغالين عليها.

ما زال ينظر آدم نحو شعراوي ثم التفت نحو هيثم وهو يقول له:

- شعراوي عنده حق الراجل ده مش عاوزنا علشان برنامج، الراجل ده عاوزنا علشان حاجة أكبر من كده، شوفتوه في الآخر لما قالي على جريمة ليلى، تفتكروا كان قصده إيه، أكيد عارف إننا لينا علاقة بليلى، وليلى اليوم ده كانت معانا قبل ما تتقتل، ومش بس كده، دي كانت بتقول إنها هتقابل شخصية مهمة في بيت في حارة اليهود، تفتكروا كل دي صدف حصلت.

اقترب مروان وهو ينظر إلى آدم ويقول له في حيرة:

- تقصد إيه يا آدم؟

ظل آدم يدور حول نفسه في الغرفة ونظرات أصدقائه، ولم يفهموا ما يدور برأسه، ثم نظر لهم وهو يقول:

- أتصل يا هيثم بيه وقوله إننا فكرنا وموافقين نشتغل معاه، وخد منه ميعاد قريب.

نظر له هيثم ببلاهة ولم يفهم ما يدور برأس صديقه فقال مروان:

- ناوي على إيه يا آدم؟

ابتسم آدم ابتسامة خالية من المشاعر ونظر نحو شعراوي وقال:

- ولا حاجة هنحقق في جريمة ليلى الحناوي وهنشوف هنوصل لأيه.

***

في اليوم التالي توقفت سيارة أجرة أمام فيلا (فاروق السكري) ليدلف منها كل من آدم الحسيني وأصدقاؤه الثلاثة، قد بلغه (هيثم) بالموافقة على عرضه، وهو لم يكذب خبرًا فأخبرهم أنه في انتظارهم اليوم، هذه المرة فُتحت البوابة الحديدية على مصراعيها أمامهم بدون أن يوقفهم أحد من رجال الأمن، تخطوا فوق العشب الجائع

الموجود أمام الفيلا، ثم صعدوا الدرج الرخامي، كان هيثم ومروان الصياد في المقدمة ويليهم شعراوي يدخن نوعًا رديئًا من السجائر، وفي النهاية يسير آدم، دق هيثم الجرس ثم انتظر لحظات من الترقب حتى فتح الباب تلك السيدة الأرستقراطية، فتحت لهم الباب وابتسمت ابتسامة ودودة، أظهرت من خلالها تجاعيد بسيطة لتخبرنا أنها تخطت الأربعين من عمرها.. أشارت بيديها للدخول وهي ترحب بهم، دخل هيثم ومروان والابتسامة لم تفارق وجهيهما، دهس شعراوي عقب السيجارة أسفل حذاءه قبل أن يدخل، ومال برأسه للوراء وهمس لآدم وهو يقول:

- الدهن في العتاقي، ست كبيرة بس حكاية.

نهره آدم بنغزة بيده في جانبه فانتفض شعراوي واستقام في وقفته، وهم بالدخول هو الآخر وتبعه آدم، ظلوا يسيرون في الرواق حتى أدخلتهم تلك المرأة نفس الغرفة التي جلسوا فيها من قبل، جلس كل واحد فوق نفس المقعد الذي كان جالسًا عليه، وتركتهم تلك المرأة بمفردهم.

لحظات من الصمت والترقب تبادلت نظراتهم إلى بعضهم البعض، ظل شعراوي جالسًا يهز بقدميه وهو يتلفت حوله ينظر إلى السقف وإلى جوانب الغرفة، ثم نظر إلى أصدقائه وهو يقول:

- تراهنوني إن في كاميرات هنا في الأوضة بتصورنا.

نظر آدم إلى الفراغ وهز رأسه ثم خفض هيثم صوته قليلًا لكيلا يسمعه أحد وقال لشعراوي:

- شعراوي بلاش هبل كفايا إللي إنت عملته المرة اللي فاتت.

نهض شعراوي من مجلسه فجحظت عينا هيثم ومروان، ثم قال وهو لم ينظر لهما ويبحث بعينيه في كل ركن في الغرفة المستطيلة قائلًا:

- يعني أنا عملت إيه يعني المرة اللي فاتت، إنتوا اللي متحسوكين. أنهى جملته وظل يسير في الغرفة يبحث بعينيه فقط دون أن يمد يده، حتى وجد بالفعل في المكتبة المكدسة بالكتب هناك كاميرة صغيرة موضوعة ما بين الكتب، لاحظها شعراوي بدون أن يلفت الانتباه، ابتسم ابتسامة ثقة ثم عاد إلى موضعه من جديد بجوار آدم فنهره مروان وهو يقول:

- أديك ملقتش حاجة أهو يا ريت تهدى بقى وتقعد، خلي الموضوع ده يكمل على خير.

عقد شعراوي يديه أمام صدره وأراح بجسده للوراء ووضع كف يده على فمه وهو يهمس إلى آدم بدون أن يسمعه

الباقية قائلًا:

- الكاميرة في المكتبة اللي قدامك دي مدسوسة في وسط الكتب.

سمع آدم تلك الكلمات فالتفت نحو شعراوي فهز الأخير رأسه له على أن يصدقه وهو مبتسم، فبادله آدم نفس الابتسامة وظلوا جالسين، في تلك اللحظة دخل عليهم (فاروق السكري) كان مرتديًا بلوفر كاكي وبنطالًا كلاسيكيًا أبيض اللون وحذاءً جلديًا نفس اللون، وبين أصابعه لفافة من التبغ، فنهض الجميع فابتسم لهم وهو يقول بطريقة ودودة بعض الشيء:

- أتفضلوا يا شباب أقعدوا.. قال جملته وجلس فوق مقعده، وهو يضع قدمًا فوق الأخرى، جلس الجميع وظل آدم يرمقه بكل حذر، نظر لهم فاروق وهو يقول:

- ها فكرتوا.

قال هيثم بلهفة مبالغ فيها:

- فكرنا يا دكتور ومستعدين نكتب العقود حالًا.

- وأنت يا آدم. قالها السكري وهو ينظر إلى آدم بخبث، فبادله آدم نفس النظرة وقال بطريقة صارمة:

- مدام جيتلك تاني يا دكتور يبقى القرار كلنا أخدناه وموافقين عليه.

هز السكري رأسه بفهم ما قاله، ثم نهض من مجلسه تقدم نحو المكتبة بجوارها يوجد مكتب خشبي وثير، ذهب حتى وقف خلفه، وفتح درجًا من أدراج المكتب، وسحب ملفًا به بعض الأوراق، ثم تقدم نحوهم مرة أخرى وهو يضع الملف أمامهم ويقول:

- دي العقود تقدروا تقرأوها كويس وفيها الأجر بتاعكم.

مد هيثم يده أولًا وأخذ الملف، ظل ينظر إلى العقد يمرر عينه ما بين السطور لا يهمه ما المكتوب في البنود، عينه كانت تبحث عن بند التعاقد المادي، حتى صدرت منه شهقة وفتح فمه وهو يقرأ المبلغ، أنزل يده بالملف وهو ينظر إلى أصدقائه ببلاهة ثم نظر إلى السكري قائلًا:

- أربعة مليون جنيه.

ابتسم له السكري وهو يقول:

- وليكوا نسبة كمان من الإعلانات.

اندهش آدم من الرقم الكبير المعروض عليهم، ونظر إلى أصدقائه وحك أنفه ونظر إلى شعراوي بقلق والذي بادله

نفس النظرة ثم قال آدم:

- إحنا محتاجين يا دكتور معدات معينة، عاوزين كاميرات ويستحسن تكون Alexa sxt، ومحتاجين كمان ميكروفونات، مش هنشترط نوع معين، بس المهم تكون كويسة نقدر نوصل للمشاهد بصوت واضح.. وكمان إحنا اللي بنخرج وبنحدد القضايا اللي هنشتغل عليها الكلام ده، حابب أقوله من الأول علشان نكون على نور.

ابتسم له السكري وهز رأسه وهو يقول:

- وأنا موافق يا آدم على كل كلامك.

- يبقى على بركة الله.

قال جملته وأمسكوا العقود وبدأوا في التوقيع، بعدما انتهوا من التوقيع قال لهم السكري وهو يتفرس في وجوههم:

- يا ترى أول قضية هتكون إيه؟؟

نظر آدم إلى أصدقائه ثم قال له:

- قضية ليلى الحناوي.. حضرتلك لو جهزت المعدات في أقرب وقت هندخل بيت السكاكيني.

عقد السكري حاجبيه وهو يقول:

- إشمعنى بيت السكاكيني.

ابتسم له آدم وهو يقول:

- قضية ليلى الحناوي مكنتش لوحدها ومتفرعة، ليلى الحناوي دخلت بيت السكاكيني في أول جمعة في الشهر علشان سمعت إن أول جمعة من كل شهر بيحصل حفلة وشيء غريب بيحصل بداخل بيت السكاكيني المهجور، حبيت تدخل البيت في اليوم ده، وبعدها بكام يوم عرفنا إنها أتقتلت ومرمية في صندوق زباله، ومش بس كده، لو حضرتك متابع القضية هنكتشف إن في نفس اليوم في 3 صنايعيه دخلوا البيت ده لغرض إيه الله أعلم، وبعد كام يوم برضو أكتشفنا إن إتنين منهم ماتوا، والتالت ماشي في الشوارع زي المجنون وماسك سكينة، القضية علشان نحلها لازم ننتظر لأول جمعة في الشهر الجديد، وساعتها هندخل بيت السكاكيني..

ظل آدم يتحدث وعيون أصدقائه عليه، كيف عرف كل هذه المعلومات؟ وكيف حضر له؟ هز السكري رأسه مقتنعًا وهو يقول:

- بداية مبشرة يا آدم، تمام يبقى هجهز المعدات لحد أول جمعة من الشهر الجديد.

ابتسم آدم في وجهه ومد يده وأخذ العقود ونهض من مجلسه وقال:

- ودلوقتي اسمحلنا نستأذن يا دكتور.

- أوي أوي أتفضلوا...

خرج الجميع من الغرفة متجهين للخارج، وقبل أن يخرج آدم أمسك السكري بكتفه وظل يسير بجواره وهو يقول:

- عجبني حماسك يا آدم وأنا متشوق أعرف هتوصلوا لأيه، ومن بكرة هبدأ في الإعلانات على القناة ببرنامجكوا.

هز آدم رأسه وقال بأدب:

- متشكر يا دكتور. أنهى جملته وعيناه تعلقت على الصورة الكبيرة المعلقة على الحائط، صور بداخل برواز مذهب ضخم موضوعة على الحائط لفاروق السكري وهو واقف يحمل فتاة صغيرة ويضحك ضحكة مبالغًا فيها، ولكن ما لفت نظرة تلك الساعة التي كان يرتديها، تذكر شيئًا، تذكر الساعة التي وجدها بين يدي عم إسحاق وهو يقوم بإصلاحها، إنها تشبهها تمامًا، تذكر مقولة عم إسحاق:

" الساعة دي كانت بتاعة الخديوي إسماعيل يا آدم" وقف عن شروده عندما قال له السكري:

- إيه رأيك عجباك صورتي؟

ابتسم آدم وحك أنفه وهو يقول:

- بصراحة عجباني ساعتك. قالها آدم ونظر إلى يد السكري فلم يجده يرتديها، فابتسم له السكري وهو يقول:

- دي ساعة وارثها من جدي بحبها جدًّا.

نظر له آدم بابتسامة باهتة على قسمات وجه، وهز رأسه له متفهمًا قوله، ثم جرجر قدميه للخارج ذاهبًا إلى أصدقائه...

***

3

ما زال طه البنا جالسًا بداخل الكوخ مشدوهًا وهو يمسك في يده الجريدة، الكلام وقف في حلقه، لم يعرف كيف يُتهم بجريمة لم يرتكبها، تقف أمامه صحراء عاقدة يديها أمام صدرها تنتظر منه ردًّا فلم يجب على شيء قط، نظر لها ولأول مرة وقال:

- أنا مقتلتش حد.

مالت بطرف فمها وابتسمت ابتسامة ساخرة وهي تقول:

- المرادي مش مصدقاك يا أستاذ طه.

نهض طه من مجلسه وهو يقول منفعلًا:

- ليلى دي أنا معرفهاش ومقتلتش حد، أنا مش قادر أفهم في إيه وإيه اللي بيحصلي ومين اللي حاول يقتلني ويرميني هنا.

وقفت صحراء تتأمل وجهه بدون أن يعيرها أي اهتمام بما يقوله، في تلك اللحظة سمعوا صوت فرملة سيارة في الخارج، نظرت صحراء من خلف الباب وجدت رجل على معرفة بها يدلف من سيارته القديمة فنظرت من جديد إلى طه وقالت:

- خليك هنا متتحركش مش عاوزة حد يحس بيك لحد ما أشوف مين إللي وصل بره.

هز لها رأسه وانتظر بالداخل، خرجت صحراء من الكوخ متجهة نحو ذلك الرجل الذي دلف من سيارته ووقف في انتظارها، كانت الإضاءة بسيطة إلا من انعكاس ضوء القمر على سيارته، بين إصبعيه لفافة من التبغ ينفث دخانه بشكل منتظم، ذهبت صحراء نحوه وتغيرت ملامح وجهها، اختلست نظرات نحو الكوخ أثناء سيرها حتى وصلت إلى ذلك الرجل وقالت بصوت شبه خافت وبحذر شديد:

- إيه اللي جابك هِنا دلوقتي يا باشا، مش قولنا الفترة دي هنختفي خالص.

ألقى الرجل السيجارة أسفل حذائه ونفخ آخر نفس في الهواء بدون رجعة وقال لها:

- هو لسه جوة؟

هزت صحراء رأسها إيجابًا وقالت:

- أيوة لسه جوة، وأنا خايفة يحس بيك أو يشوفك يا باشا.

- عاوزه فلوس؟

عقدت صحراء حاجبيها وهي تقول له بعدم فهم:

- فلوس؟! لأ الفلوس اللي معايا لسه مخلصتش.

زفر في ضيق وهو يقول:

- سألك على البيت تاني، أو قدر يكتشف حاجة من اللي حصل.

بلعت صحراء ريقها ونظرت نحو الكوخ وسحبت يد الرجل بعيدًا وقالت:

- طيب تعالى معايا يا باشا بعيد بدل ما يشوفنا مع بعض.. وهقولك كل التفاصيل

***

ظل طه البنا يسير في الغرفة يسرة ويمنة متخبطًا، فرك في جبينه كأنه يستخرج عفريتًا محاولًا أن يتذكر شيئًا فلم ينجح، اقترب من النافذة المتواجدة في الكوخ في محاولة لاستنشاق بعض الهواء، اقترب من النافذة وفتحها فوجد على بعد بصره صحراء وهي واقفة مع شخص لم يتبين ملامحه، لا توجد إضاءة توضح ذلك، ثم رأى أن صحراء تجذب ذلك الشخص من يده وتبتعد به، شعر طه بأن هناك شيئًا غير مفهوم فخرج من الكوخ واقترب من السيارة ببطء، ظل يسير وهو يحاول ألَّا يصدر منه صوت حتى لا تنتبه له صحرا، كانت قد اختفت مع ذلك الرجل وأصبح المكان

خاويًا، وصل طه نحو السيارة، ظل ينظر إليها من الخارج ويبحث عن شيء يفهِّمه ما يدور حوله فلم يجد، فقرر أن يعود من جديد إلى الكوخ قبل أن تراه صحرا، ولكن قبل رجوعه أوقفه شيء ملقًى على الأرض، جثى على ركبتيه ومد يده وهو يأخذ عقب السيجارة الذي كان يتناوله ذلك الضيف الذي أتى إلى صحراء، جحظت عيناه عندما وجد أن ذلك النوع من السجائر النادر هو نفس النوع الذي كان يتناوله ذلك المدعو عبده السكاكيني عندما جاء له في مزرعته من قبل.

***

ظل جمال منصور جالسًا في مكتبه، أخذ هاتفه وظل ينظر به للحظات، ثم قام بالاتصال بزوجته دقائق حتى ردت عليه، بدأت تلوم عليه للحظات أنه تاركها بمفردها طوال الوقت، اعتذر منها بعدما اطمأن عليها ووعدها بتعويض هذه الفترة، أغلق الهاتف بعدما دخل عليه طارق المساعد قائلًا:

- تمام يا جمال باشا، تقرير الطب الشرعي طلع.

نظر جمال له باهتمام وهو يقول متلهفًا:

- طيب طمني إيه الأخبار؟

أخرج طارق بعض الأوراق من ملف كان في حوزته ومد

يده به أمام جمال وهو يقول له:

- دم المجني عليها مطابق يا باشا من الدم اللي كان على السكينة اللي كانت مع علي الدمرداش عامل البنا.

ظهرت ابتسامة على وجه جمال منصور وهو ينظر إلى التقرير، ضرب بكف يده فوق مكتبه وهو يقول:

- الموضوع زي ما توقعت الجريمتين دول ليهم علاقة ببعض ليلى الحناوي وعمال البنا كانوا موجودين لسبب ما بداخل البيت ده يوم الجريمة، وحصلت حاجة خليت طه البنا يقتلهم.

رفع طارق رأسه وهو يقول:

- أنت خلاص اتأكدت إن طه البنا هو اللي قتلهم؟

- لحد دلوقتي مفيش متهم قدامي غيره.

- مش ممكن الجاني قتل ليلى الحناوي وقتل عمال البنا ولبسها لطه البنا.

نظر جمال إلى طه متفرسًا في وجه يدور كلامه في عقله قليلًا، في تلك اللحظة دخل عليهما اللواء (شريف الشربيني) نهضا في أدب وقال جمال بود:

- سيادة اللواء بنفسه.

اقترب اللواء منهما وهو يقول لهم مبتسمًا:

- أخبار القضية إيه يا شباب؟

- شغالين عليها معاليك.

هز اللواء شريف رأسه وهو يقول لهما:

- أنا جيلكوا بنفسي علشان أعزمكوا على عيد ميلاد حفيدي زي كل سنة هستناكوا.

قال طارق فرحًا:

- كل سنة ومعاليه طيب يا باشا، الواحد فعلًا نفسه يفك الضغط شوية.

نظر له اللواء شريف وما زالت ابتسامته على وجه ثم نظر نحو جمال وقال:

- وانت يا جمال؟

أخرج جمال زفيرًا ثم قال له بأدب:

- أعذرني يا فندم..

قاطعه اللواء شريف وهو يرفع سبابته أمام فمه ويقول:

- مفيش أعذار يا جمال، هستناك أنت والمدام، وفرصة

تخرجوا مع بعض شوية. أنهى جملته فهز جمال رأسه متفهمًا قوله، ابتسم لهما اللواء شريف وتابع من جديد كلامه موجهًا إلى جمال:

- بلغ سلامي للمدام وهستناكوا متتأخروش.

- تمام يا فندم. قالها جمال وطارق في آن واحد.

***

انتصفت الساعة التاسعة مساءً، ووصلت سيارة المقدم جمال منصور لمنزل اللواء شريف الشربيني، دلف جمال من السيارة وهو يهندم بذلته الكحلية، دلفت زوجته هي الأخرى من السيارة، كانت ترتدي فستانًا أنيقًا، أخذ جمال بيديها الناعمة وبدآ في السير.

داخل المنزل كانت الحفلة قد بدأت، هناك مجموعة من الأطفال يمرحون في الحديقة الخارجية للمنزل، وهناك بعض الظباط اللذين يخدمون مع اللواء شريف يقفون بجوار بعضهم البعض يتسامرون، وها هو المقدم عماد النجار يقف هو الآخر بعيدًا بيده كأس به عصير، وبين أصبعه لفافة تبغ، فور ما وجد جمال منصور يدخل عليهم الحفلة وبجواره زوجته احمر وجه واستشاط غضبًا، لاحظ ذلك جمال فحاول ألَّا يهتم به، كان اللواء شريف واقفًا بعيدًا يرحب بضيوفه

ويستقبل هدايهم لحفيده، حتى وجد جمال برفقة زوجته بالقرب منه، فابتسم في وجههما فبادر جمال وقال:

- كل سنة ومعاليه طيب يا باشا. قال جملته ومد يده بلفافة زرقاء متوسطة الحجم، ابتسم شريف وأخذ اللفافة وهو يقول:

- كنت هزعل أوي لو مكنتش جيت يا جمال. ثم نظر إلى زوجته ومد يده وقال:

- نورتي الحفلة يا مدام، أنا موصي جمال إنك لازم تيجي معاه تغيري جو.

ابتسمت ابتسامة هادئة ظهرت على قسمات وجهها وقالت برقة:

- متشكرة جدًّا، وكل سنة وحفيد حضرتك بخير.

تقدمت في تلك اللحظة زوجة اللواء شريف ورحبت بهما، ثم أخذت زوجة جمال تقف معها ومع باقي النساء، ترجل جمال حتى وجد عماد النجار يقترب منه وهو ينفخ دخان سيجارته وقال له:

- إزيك يا جمال، صدفة حلوة أووي إن أشوفك في نفس الأسبوع مرتين مرة واحدة.

- مظنش إنها صدفة حلوة يا عماد.

ابتسم عماد في وجه جمال وتابع ما بدأه:

- أنا قولت يا راجل بعدما فشلت في الكام قضية اللي فاتوا هتقدم استقالة وتشوف شغلانه تانيه، مش كان نفسك زمان تطلع مذيع.

حك جمال أنفه وحاول أن يهدأ ولو قليلًا، كان يعلم ما في نفس عماد من ناحيته فقال له ببرود:

- أظن إننا في عيد ميلاد يا عماد مش وقت للخناق. قال جملته ونظر خلف عماد فوجد طارق المساعد له يقف في وسط مجموعة من الظباط ويلوح بيده لجمال، فابتسم جمال بخبث في وجه عماد ومر من جانبه متجهًا نحو طارق.

وقف جمال بصحبة طارق وبعض من الظباط الذين كانوا معه في كلية الشرطة، ومن فيهم كان قد خدم معه من قبل، ظلوا يضحكون ويتسامرون قال أحدهم:

- فاكر يا جمال لما مسكوك فترة في الآداب.

ضحك الجميع حتى قال جمال وهو يضحك:

- يا راجل أفتكر حاجة حلوة، دول كانوا أسوأ ست شهور قضيتهم كانت بتشبهني كل يومين بننزل من شقة شكل.

نظر له صديق آخر وقال له:

- صحيح يا جمال، وصلت لأيه في القضية اللي إنت ماسكها اليومين دول.

أخرج جمال سيجارة من علبته وتناولها وهو يقول:

- والله يا باشا أدينا بنحاول دعواتك.

تابع صديقه وهو يقول:

- بس صدفة غريبة أوي إنك تمسك القضية دي، اللواء شريف شكله بيعزك أوي.

عقد جمال حاجبيه ونظر إلى طارق الذي بادله نفس النظر ومن ثم قال لصديقه:

- مش فاهم قصدك إيه؟

قال له صديقه بجديه:

- إيه يا جمال، أنت ناسي القضية اللي من سنتين البنت اللي لقوها مقتولة بردو وجوزها اتجنن ودخل مصحة نفسية، انت كنت ماسك القضية دي، وبعدها حصلتلك ظروف تقريبًا، والقضية مسكها ظابط تاني.

نظر له جمال وبدأت الخيوط تتشابك أمام عينه فتابع

صديقه وهو يقول:

- جوز المجني عليها يا عيني أتجنن ودخل مصحة نفسية، كان صحفي معروف أسمه تايه عن دماغي دلوقتي.

فقال جمال بلهفة قائلًا:

- اسمه طه البنا؟؟!

ضحك صديقه وهو يطلق طرقعة بأصابعه ويقول:

- طه البنا أيوه، هو طه البنا، صح، مراته لما أتقتلت بنفس الطريقة دخل مصحة نفسية.

تبادل طارق وجمال النظرات، فسحب جمال نفسه من هذا النقاش شاردًا فجاء من خلفه طارق وهو يقول:

- تفتكر يا باشا الجريمتين ليهم علاقة ببعض، يعني طه البنا ممكن يكون قتل البنت دي انتقامًا لمراته؟

نظر له جمال وما زال شاردًا ثم قال لطارق:

- لازم بكرة الصبح يا طارق تجبلي كل تفاصيل الجريمة القديمة وتكون على مكتبي، أكيد هنكتشف حاجة توصلنا للي بيحصل اليومين دول.

- تمام يا باشا.

***

الرغبة الحقيقية في المواجهة تأتي حينما نكون لها بشدة، جلس طه البنا بداخل الكوخ كالمعتاد، هناك أفكار تأتي في رأسه تنطلق كرصاصة من فوهة بندقية ألمانية، هذا اليوم التالي بعد زيارة ذلك الغريب لصحرا، ذلك الرجل الذي قالت له صحراء إنه تاجر يأتي إليها من وقت لآخر.

يخفي طه في سرواله عقب السيجارة الذي وجده، نفس نوع السيجارة الذي كان يتناولها عبده السكاكيني، بدأ القلق يتسلل إلى قلبه، وبدأ لا يطمئن بالمرة إلى صحرا.. هل كل ما تحدثت عنه كانت فيه كاذبة؟ هل هناك صدفة ما بين ذلك التاجر كما تدعي وعبده السكاكيني في نوع السيجارة؟ بدأت الأسئلة تدور في عقله بدون تفسير، لم يتذكر شيئًا من ذلك اليوم المشئوم.. فضوله هو من ساقه إلى تلك الحفلة في منزل السكاكيني، يتساءل كيف كبرت جنة؟؟ إنها هي نفس الملامح نفس العيون نفس الوحمة؟؟؟ كيف يكون متهمًا بمقتل ليلى الحناوي؟؟؟ لماذا يحلم بها كابوسًا يراوده؟؟؟

نهض من فوق الفراش يسير في أنحاء الكوخ، صحراء لم تكن موجودة، لقد ذهبت منذ ربع ساعة تقريبًا لشراء بعض السلع من السوق، كان هناك فكرة حبيسة خرجت إلى النور فجأة، حينما نظر من النافذة نحو غرفة صحراء وقرر قرارًا،

وهو دخول غرفة صحراء..

خرج من الكوخ ينظر إلى نهيق البهائم بجواره.. وقف مترددًا للحظات، بلع ريقه ببطء وهو ينظر من بعيد إلى غرفة صحراء، في مواجهته باباها الخشبي المغلق، أخرج زفيرًا هادئًا وبدأ في السير، ظل يخطو ببطء حتى وقف أمام الباب مد يده مترددًا ووضعها فوق المقبض، لحظات من التشتت والتخبط حتى فتح الباب فجأة، كانت الغرفة منظمة ومرتبة متوسطة الحجم، هناك سرير خشبي مرتب ومنظم موضوع في منتصف الغرفة، وهناك مرآة معلقة على إحدى الحوائط وخزانة للملابس، تقدم طه البنا حتى دخل، ظل ينظر بعينيه فقط إلى محتويات الغرفة، صدره يعلو ويهبط بطريقة غير منتظمة، فكر أن يعود من جديد إلى الكوخ وينهي ما بدأه، ولكن هناك شيء أوقفه، تقدَّم أكثر، فتح خزانة الملابس فوجد بها العديد من الملابس، وهناك صندوق خشبي، مد يده مترددًا نحوه، في الأخير جذبه وقام بفتحه، وفور ما فتحه جحظت عيناه فجأة، كان الصندوق يحتوي على فستان زهري فحسب، تذكر تلك المرأة التي رآها ملطخة وجهها بكثير من مستحضرات التجميل بداخل الحفلة في ذلك اليوم، مد طه يده وهو يخرج الفستان مذهولًا، ولكن ما جعل قلبه يقفز من صدره عندما وجد خاتمًا على شكل رأس توت عنخ أمون موجود بداخل الصندوق، شرد وهو يهمس

إلى نفسه، صحراء هي تلك المرأة التي كانت تريد أن ترقص معه يوم الحفلة؟؟؟

بدأت علامات استفهام كثيرة تدور أمام عينيه، وقبل أن يستفيق من تلك الصدمة وجد صورة، صورة موضوعة بداخل الصندوق، أخرجها ورفعها أمام عينيه، فوجد صحراء تجلس وبجوارها رجل عجوز بعض الشيء يرتدي قبعة فوق رأسه، ذلك الرجل يشبه كثيرًا ذلك المدعو عبده السكاكيني، بدأت دقات قلبه تصل إلى أقصاها، ولكن ما لفت نظره في تلك الصورة أنهما كانا يجلسان أسفل محل منقوش فوقه (الساعاتي إسحاق).



4

الجمعة الأولى من شهر فبراير

كانت التجهيزات واضحة بين الأصدقاء الأربعة وقناة فاروق السكري، الذي وفر لهم جميع المعدات المطلوبة، بدأ آدم يراجع كل شيء برفقة مروان، الساعة كانت تقترب من السادسة مساءً، كانوا منتظرين صديقهم هيثم يأتي إليهم بموافقة أهل منزل السكاكيني بدخولهم المنزل، وبالفعل جاء لهم هيثم بموافقة جنة وجدتها بدخولهم المنزل وتحضير كل شيء، جاء شعراوي غير مهندم عيونه ناعسة، نظر لهم وتثاءب وقال:

- أنا جاهز يا جماعة.

- مالك يا بني شكلك عامل كده ليه.

هرش في مؤخرة رأسه وهو يقول:

- متشغلش بالك، المهم أنا جاهز دلوقتي.. أنهى جملته وآدم ينظر إليه بعين بها الكثير من الأسئلة والريبة.

كانت سيارة تويوتا تنتظرهم أمام العقار، دخلها آدم ومن بعده باقي أصدقائه، بعدما حملوا جميع المعدات بدأت السيارة في السير، ساعة كانت كافية حتى وصلت السيارة

أمام المنزل، كانت المنطقة شبة خالية، السكون هو المسيطر على المنطقة بأكملها، بعض الدكاكين والمحلات المغلقة منذ مدة.. معظم المنازل لم يسكنها أحد، أو في الغالب لم يسكنها أحد اليوم، دب الرعب في وجدان آدم وهو يحاول ألا يظهر ذلك عليه، نظر شعراوي من نافذة السيارة إلى المنزل فاتح فمه ببلاهة قائلًا:

- يا لهوي البيت لوحده يخوف من قبل ما ندخله.

نهره هيثم وهو يدلف من السيارة ويأخذ حقيبة بها بعض المعدات ويقول:

- جمد قلبك يا شعراوي إحنا لسه بنقول يا هادي.

خرج الجميع من السيارة وهم يحملون المعدات، دفع هيثم البوابة الحديدية فصدر منها صرير بسيط، دخلوا من البوابة وهم ينظرون إلى كل مداخل ومخارج المنزل، بدأوا في وضع الكاميرات في كل ركن خارجي للمنزل تحت عيون آدم ومروان.

بداخل المنزل كانت التحضيرات أكثر تعمقًا، بدأوا في زرع كاميرات في جميع الغرف، وكذلك في ردهة المنزل، ظل شعراوي يسير في الردهة حتى وقف أمام حائط معلق عليه برواز به رجل أرستقراطي يقف بكل هيبة ووقار، أسفل

البرواز يوجد جرامفون به بعض الأتربة وكأنه لم يقرب منه أحد قط، وهناك غرفة مغلقة فشل الجميع في فتحها، اقترب آدم من شعراوي وهو يقول له بتوجس:

- مالك يا شعراوي فيك حاجة غلط.

تلفت شعراوي يمنة ويسرة فوجد الجميع مهتمًّا بوضع المعدات في أماكنها المحددة، فخفض صوته وهو يقول:

- طول الليل سهران على القضية واكتشفت كام حاجة كده.

خفض آدم هو الآخر صوته وقال له:

- واكتشفت إيه؟

- فاروق السكري.

- أشمعنا؟!

بدأ شعراوي يتلفت حوله مرة أخرى حتى قال من جديد:

- فاروق السكري ملطوط في القضية دي.

جحظت عين آدم وهو يستمع إلى شعراوي وشرد للحظات، استفاق من شروده عندما سمعا صوت مروان من خلفهما يقول:

- مش وقت حكايات جانبية يا آدم انت وشعراوي تعالوا

ساعدونا.

***

مرت ساعة حتى انتهى الجميع من وضع الكاميرات والميكروفونات في أماكنها، منتظرين أن يسمعوا شيئًا كما قال لهم آدم: إن أول جمعة من كل شهر تحدث حفلة غريبة بداخل المنزل، أطفأوا مصابيح المنزل وظلت الكشافات التي وضعوها هي من تصدر إضاءة.. جلس كل واحد في مكان منزويًا بداخل المنزل، الكل قريب من بعضه، ينتظرون أن يشاهدوا شيئًا غريبًا، بدأ شعراوي يريح رأسه إلى أحد الجدران ضامًّا ركبتيه إلى صدره وشرع يغفو قليلًا.. مروان أخرج سيجارة ووضعها في فمه وبدأ دخانها يغزو المكان.. آدم بدأ ينظر بكل تركيز إلى باب المنزل منتظرًا أن يحدث شيء، ينظر من كل وقت لآخر إلى ساعة يده التي اقتربت من العاشرة مساءً.. هيثم يجلس القرفصاء بعدما شعر ببعض من الإرهاق، اقترب مروان من آدم وهو يقول:

- تفتكر هيحصل حاجة؟

رفع آدم كتفيه وهو يقول:

- الله أعلم أدينا هنشوف.

مرت عشر دقائق وما زال الوضع كما هو، بدأت تظهر

رائحة كرائحة البخور، استفاق شعراوي قليلًا وهو يشتم تلك الرائحة ونهض هو الآخر واقترب من آدم وقال:

- الريحة دي جاية منين.

نظر له آدم وزم شفتيه وهو يقول:

- ريحة إيه يا شعراوي، أنا مش شامم حاجة.

- يعني أنت مش شامم ريحة البخور. قال جملته ونظر إلى مروان وهو يقول:

- وأنت يا مروان مش شامم ريحة بخور.

هز مروان رأسه بالنفي وهو بيقول:

- لا يا شعراوي مش شامم تلاقيك متهيألك.

هز شعراوي رأسه متفهمًا قوله وهو يقول بعدما فرك عينه:

- ممكن برضو.

ظل الصمت للحظات حتى بدأ شعراوي من جديد يقول:

- إلا النهاردة الجمعة والساعة أهي جت 10 ولا شوفنا حفلة ولا حاجة من الكلام اللي بيتقال، تعبنا معاك أنت يا عم آدم.

فور ما قال تلك الجملة شعراوي حتى سمع صوت تكة،

ومن بعدها المنزل بـأكمله أضاء بإضاءة حمراء قوية، فنظر الجميع إلى بعضهم البعض، وشعراوي بلع ريقه بصعوبة وهو يقول:

- هو ايه اللي بيحصل ده الموضوع طلع بجد.

انطفأت الأنوار فجأة حتى سمعوا صوتًا أجش بث الرعب في وجدانهم قائلًا:

- ضيوفي الأحياء.. متخافوش.

***

الفصل السادس

كان ياما كان

1

(قـــصر السـلطان)

لم ينم السلطان شهريار منذ أن جاءت له تلك الرسالة، استدعى الشيخ محسوب فأتى له على الفور، وقف الشيخ محسوب بين يدي السلطان صامتًا، قلبه يرتجف، لم يعلم مدلول رسالته على السلطان، كان شهريار جالسًا فوق مقعده وقال بعد فترة من الصمت دامت للحظات:

- أنت من أرسلت تلك الرسالة؟

رغم أن الشيخ محسوب كفيف، إلا أنه رفع رأسه ونظر إلى السلطان وقال بصوت عقلاني به من الحكمة والوقار الكثير وقال:

- هذا هو تفسير رؤياك يا مولاي.

عقد شهريار حاجبيه متفرسًا في وجه العجوز الواقف مُتصلبًا أمامه وقال:

- أي رؤيا تتحدث؟!

ظهر شبح ابتسامة على وجه الشيخ محسوب وهو يقول بهدوء:

- تلك الرؤيا التي فسرتها لك منذ عامين أو أكثر أن سوف يأتي يوم عليك ستكون أنت الضحية على يد امرأة بالغة هي من تتحكم في مجرى الأمور.

برم شهريار شاربه بسبابته وهو يتذكر تلك الرؤيا، واندهش أنه تذكرها ذلك العجوز الهرم، فقال له بفضول:

- قل ما عندك وذكرني بتفسيرك.

تنحنح الشيخ محسوب وهو واقف وقال بدون مواربة:

- منذ عامين أتيت بي إلى هنا وبلغتني أنك رأيت في المنام امرأة جميلة لم تقتلها شربتما الخمر معًا، ولكن الكأس الذي كان بيديك كان مليئًا بالدماء، وفجأة صحوت من النوم يا مولاي، وعندما جئت إلى هنا وبلغتني برؤياك كان تفسيري أن هناك امرأة لم تقتل، وسيكون نهايتك على يديها، وعندما أبلغتني ابنتي بأن الجارية شهرزاد لم تقتل بعدُ، تذكرت تلك الرؤيا، وكان واجبًا علي أن أبلغك يا مولاي.

هز شهريار رأسه متذكرًا الرؤيا، وظل يفكر كثيرًا وكثيرًا قبل أن ينظر إلى الشيخ محسوب ويقول مُستفهمًا:

- وما مقابل ذلك أيها العجوز؟ هل حبًا في أم لغرض ما؟

بدون أن يدخل في تفاصيل قال الشيخ محسوب مباشرةً:

- قطر الندى.

- من؟!

- قطر الندى ابنتي يا مولاي تعفو عنها عندما تبلغ، وبعد قتل شهرزاد توقف سيل الدم الذي غمر الجزيرة منذ عامين وأكثر.

شرد السلطان للحظات قبل أن ينظر من جديد إلى الشيخ محسوب ويقول:

- وماذا لو كانت شهرزاد بريئة من هذه التهمة؟

- علينا أن ننتظر وسوف نرى، ولكن يا مولاي توخّى الحذر من تلك الفتاة، إنها بالفعل كما سمعت ماكرة.

هز السلطان رأسه متفهمًا قول الشيخ محسوب وأمره بالانصراف.

***

وقفت شهرزاد أمام البحيرة التي تحيط القصر تنظر إلى انعكاس صورتها في المياه التي تجري أمامها بموجها الهادئ،

وهي تقوم بتصفيف شعرها الذهبي، وتدندن بأغنية هادئة وهي شاردة بمصيرها المرتبط بقصة من وحي خيالها، قصة هي من جعلتها تهرب من تنفيذ حكم الإعدام عليها، ومصيرها بمصير تلك القصة، ظهرت في انعكاس المياه من خلفها رئيسة الخدم (قهرمانة)، فتنبهت إليها شهرزاد فقالت قهرمانة بحزم:

- لم أعرف من قبل أن صوتكِ بهذا الجمال !!

استدارت شهرزاد حتى أصبحت في مواجهتها وهي تقول بأدب:

- شكرًا لكِ يا سيدتي.

عقدت قهرمانة يديها خلف ظهرها ومرت بجوار شهرزاد وهي تقول مستفسرة:

- ماذا وراءكِ أيتها الجارية؟

بدأت ضربات قلب شهرزاد تزداد، فحاولت أن تهدأ ولم يظهر عليها القلق والخوف، فقالت وما زالت تمسك بيديها خصلة من شعرها:

- ماذا تقصدين يا سيدتي؟

نظرت إليها قهرمانة شزرًا وهي تقول بدهاء:

- وجودك هنا في القصر لم يأت بالخير.. كيف أقنعتِ مولاي شهريار بعدم ذبحكِ مثل الأخريات !!

ظهر على قسمات وجه شهرزاد الغضب والجدية وهي تقول:

- ولماذا قتل الأخريات بدون ذنب!! ولماذا يمارس عليهم ذكوريته ويضاجعهن ثم يذبحهن؟! لماذا لم تلومي على ما يفعله؟ قالت جملتها الأخيرة بانفعال ثم سكتت للحظات واقتربت بخطوات بطيئة نحو قهرمانة ونظرت في عينيها وقالت:

- أنتِ لو كنتِ صبية كان لا يرحمك شهريار.

ظلت قهرمانة تنظر إلى عينيها الغاضبة بدون أن تتفوه بكلمة واحدة، ظلت هكذا حتى زفرت في ضيق وانصرفت من أمام شهرزاد عائدة إلى داخل القصر، ظل صدر شهرزاد يصعد ويهبط من التوتر حتى لفت انتباهها حصوة من الحجر الصغيرة تصطدم بها، فنظرت حولها فرأت فتاة صغيرة تقف من بين الأغصان بداخل القصر تلوح بيديها نحو شهرزاد، عقدت شهرزاد حاجبيها مندهشة واقتربت من تلك الفتاة الصغيرة وقالت لها:

- من أنتِ؟

تلفتت الفتاة يمنة ويسرة تتأكد أن لا أحد يلاحظها، ثم قالت بصوت مهزوز يدل على خوفها وقالت:

- إنني قطر الندى يا مولاتي.

- مولاتي.. رددتها شهرزاد باستغراب شديد ثم تابعت وهي تقول:

- ولماذا أتيتِ إلى هنا يا قطر الندى؟ هل تبحثين عن شيء؟؟

- وماذا أبحث في قصر سلطان الجزيرة شهريار، إنني أتيت من أجلكِ.

لم تفهم شهرزاد ما تقصده تلك الفتاة الصغيرة ولكن قالت:

- وماذا تريدين؟

تلفتت تلك الفتاة مرة أخرى حولها ومسكت بيد شهرزاد وهي تقول:

- يجب عليكِ أن تتوخي الحذر من مولاي شهريار، إنه جاءت له رسالة أن نهايته على يديكِ، ولم يمر هذه الرسالة مرور الكرام، ولذلك وجب علي تحذيرك.

جحظت عين شهرزاد وهي تقول مستفهمة من تلك الفتاة:

- وكيف عرفتِ بأمر تلك الرسالة؟

نظرت قطر الندى ببلاهة إلى شهرزاد فاتحة فمها ثم قالت:

- لا يهم كيف عرفت، ولكن أنت بيدك أن تنقذي جميع فتيات الجزيرة اللاتي لم يبلغن السن من بطش السلطان، فوجب عليكِ أن تنهي ما بدأتيه.

قالت الفتاة جملتها الأخيرة وتركت يد شهرزاد وهي تضع ملاءة فوق رأسها لتخفي جسدها وتهرول من بين الأغصان، ومن بعدها تعبر السور الصغير الذي يفصل القصر عن باقية الجزيرة.

***

مر الوقت سريعًا، وغادر الشيخ محسوب القصر منذ بضعة ساعات وترك السلطان بين الشك واليقين، لم يغادر حجرته طوال اليوم يفكر كثيرًا في حديث الشيخ معه.. كأن الشيخ يعرف ما بداخله، تحرك مطرقًا حتى فتح الشرفة الخلفية ودخلها، نظر إلى الظلام الذي تسلل فجأة، ظل شهريار ينظر إلى أشباح الأشجار المتهامسة في الليل، وبرغم أن الخريف كان يفر من أمام الشتاء، إلا أنه أستطاع أن يتحمل البرد منه على محاورة طوفان أفكاره، سمع باب الحجرة يفتح ويدخل عليه وزيره سُنقر الذي قلق على السلطان لتغيبه اليوم عن

الديوان والجلوس مع كبار الجزيرة من التجار والسادة، نظر سُنقر مندهشًا عندما وجد السلطان جالسًا بداخل الشرفة منفردًا شاردًا لم يعبأ بلسعة البرد المتواجدة فاقترب منه سُنقر بأدب وقال:

- مولاي هل أنت بخير؟

بدون أن يلتفت إليه السلطان ظل ناظرًا لضوء القمر الذي ظهر مُؤخرًا على استحياء وقال:

- هل أنا أستحق الموت يا سنقر؟

اندهش سنقر من السؤال وبدأ يرتب كلمات تكون منمقة، كان السلطان في الماضي حاسمًا قويًا واضحًا قاسيًا، فقال سنقر مباشرةً:

- الذي يستحق الموت من يكرهك يا مولاي.

مال شهريار ورُسمت ابتسامة باهتة فوق شفتيه وهو يقول من جديد:

- وماذا أفعل فيمن يحمل في قلبه بغضًا هل سأقتله؟

بلع سنقر ريقه ووقفت الكلمات في حلقه بدون أن يتفوه بكلمة نظر له شهريار وقال بخشونة:

- هل يوجد بالفعل عفاريت؟

قال سنقر مطرقًا بصوت مهزوز:

- لكل ميت عفريت يا مولاي.

هز شهريار رأسه متفهمًا قول وزيره، وقال بهدوء وهو ينهض من مجلسه ويعود من جديد إلى حجرته:

- إنني أفتقد لحكايات شهرزاد، أخبرها أنني مشتاق لحكايتها التي لم تنته بعد، ويجب عليها الحضور عند منتصف الليل في الحديقة.

ظل سنقر واقفًا ينظر إلى عيون السلطان بلا معنى، لم يفهم ما يدور في عقله، فانحنى نصف انحناءة وهو يقول:

- أوامرك يا مولاي.

***

أدركت شهرزاد أن السلطان سيبدأ بالشكوك نحوها، ومن الممكن أن يطيح بها ويقتلها، وتكون ضحية الجزيرة شهرزاد.. أخرجت سكينًا صغيرًا تضعه دائمًا في جوربها، أخرجته وهي تنظر إلى نصله، ظل هذا السكين الصغير في حوزتها طوال فترة وجودها بداخل السجن.

طُرق الباب طرقتان ودخل عليها فجأة أبوها سنقر، فأخفت بتوتر السكين خلف ظهرها، ولكن سنقر رأى ما تخفيه،

فجحظت عيناه وهو يقترب منها ببطء ويقول:

- ماذا تخفين يا شهرزاد؟

تحركت شهرزاد وأعطت أباها ظهرها وهي تقول:

- هذا ليس من شأنك.

- انا خائف عليكِ.

ابتسمت ابتسامة خبيثة ولم ترد عليه وقالت له لكي تنهي هذا اللقاء:

- لماذا أتيت إلى هنا؟

تنحنح محرجًا وقال لها:

- مولاي شهريار يخبرك بالقدوم إليه في منتصف الليل في الحديقة لكي تكملي حكاياتك التي ترويها له.

- الحديقة؟!! قالت جملتها مندهشة.

هز سنقر رأسه وهو يقول:

- شهرزاد ماذا تفكرين؟ هل تفكرين في الانتقام؟ ولكن ما الفائدة من الانتقام إذا كنتِ ما زلتِ على قيد الحياة يا ابنتي؟

نظرت إلى وجهه طويلًا وشعرت بالحنين نحو أبيها بعد

كلمة يا ابنتي، كانت تشتاق لحضنه كثيرًا، ولكن لملمت مشاعرها بداخلها وتحولت قسمات وجهها للجدية فتابع سنقر:

- لا تفعلي يا شهرزاد ما يدور برأسك.

- وما الذي يدور برأسي يا سيد سنقر؟

اقترب منها وجذب يديها بقوة فوقعت السكين الصغير على الأرض، ظلا ينظران إليها للحظات مطرقين رأسيهما حتى رفع سنقر رأسه وهو ينظر إلى ابنته ويقول:

- لا تفعلي شيئًا سوف تندمين عليه في النهاية، أنتِ لا تعرفين شهريار جيدًا، ووجب علي حمايتكِ.

- وأين كنت عندما كنت ذليلة بداخل سجن شهريار وعلى مشارف الموت، كنت واقفًا تنظر إلي بعيون باردة.

ظل واقفًا أمامها متصلبًا بدون أن يتفوه بكلمة، كلماتها كانت كالرصاص، ولكن أخرج زفيرًا هادئًا، ومن ثم تحرك خارج الغرفة وأغلق الباب خلفه بقوة، نظرت له شهرزاد حتى خرج من الحجرة، ونظرت إلى السكين الرابض على الأرض، وبدأت ضربات قلبها تصل إلى أقصاها.

***

الساعة اقتربت من منتصف الليل، كان شهريار جالسًا فوق شلتة وثيرة في منتصف حديقته، الهواء البارد يداعب وجهه العميق، أمامه صحن الفاكهة، تظهر عيناه على نور قنديل واحد، كان منفعلًا على غير العادة، أتت شهرزاد بخطوات بطيئة، تسحبها بيدها قهرمانة، حتى استقرت أمام شهريار وتركتهما قهرمانة وجرجرت قدميها للعودة إلى داخل القصر من جديد، فنظرت شهرزاد إلى السلطان وانحنت بجسدها وهي تقول:

- تحت الأمر والطاعة يا مولاي.

لم يتفوه بكلمة، ظل ينظر إليها كثيرًا نظرات بلا معني، أفكار مختلطة بدأت تدور في عقله، ثم قال وهو منفعل:

- هناك قصص يرويها العامة في الجزيرة، قصص تشبه قصصك أيتها الجارية.

رفعت رأسها وهي تنظر في عيون السلطان وهي تقول:

- القصص كثيرة يا مولاي، ولكن في اعتقادي لا يوجد قصص كمثل قصص شهرزاد.

- يبدو أنكِ لستِ ماكرة فحسب، بل مغرورة أيضًا.

ابتسمت ابتسامة هادئة تخلخل من خلالها وجدان شهريار

وقالت بهدوء:

- هذا ليس غرور يا مولاي؛ لأنني أعلم تمام العلم أن القصص كلها لا تشبه قصصي وحكاياتي وأبطالي.

زم السلطان شفتيه وهو يداعب لحيته الكثيفة ومن ثم قال:

- اليوم ستحكين لي ماذا تم مع أبطال قصتكِ.

اقتربت شهرزاد وجلست بجواره وهي تقول:

- اليوم سنفهم كل شيء من البداية، من يوم الحفلة، وسنعرف كيف قُتل عبده السكاكيني؟ وماذا حدث للمنزل بعد مقتله؟

استعد السلطان في جلسته ونظر إلى شهرزاد وهو يقول:

- عليكِ أن تبدئي لا أستطيع الانتظار أكثر من ذلك.

نظرت إلى عيونه لثوان ثم مالت بطرف فمها وأعلنت عن ابتسامة هادئة وبدأت في سرد حكايتها...

***

منزل عبده السكاكيني قديمًا

في هذا الوقت اشتعلت الموسيقى وبدأ الزوار يأخذون

أماكنهم، يمر النادل بزيه المعتاد، القميص الأبيض والبنطال الأسود والبيبيون الأسود الفاحم، وبيده صينية فخمة فوقها أكواب من الكونياك مرصوصة بشكل متساو، يمر على جميع الحضور هو وأصدقاؤه فيشرب الجميع وتبدأ الصيحات ونوبات الضحك في هذا الوقت، كانت تقف في الدور العلوي للمنزل فتاة صغيرة تجلس تختلس النظرات للحفلة، وبيدها ورقة وقلم، وقد قامت برسم الحفلة بشكل طفولي، وهي تضحك ضحكة ملائكية.

يقف عبده السكاكيني مع نائب الملك يتحدث معه على ظروف العمل وأحوال البلاد، حتى لفت نظره في الخارج شيء، وقفت كاريته ودلفت منها جليلة ومعها فرقتها التي سوف تحيي الحفلة، رآها تتجه نحو الباب الخلفي للمنزل، فنهض السكاكيني من مجلسه بعدما استأذن من نائب الملك فسمح له الأخير بإشارة من يده، ثم تحرك نحو الباب فوجد جليلة تصعد السلم وجسدها المتهدل يهتز ومعها أربع فتيات، وقف يتأملها حتى صعدت ووقفت في مواجهته فقال لها:

- كل ده تأخير يا جليلة الناس قربت تزهق.

- متأخذنيش يا سي عبده لحد ما جهزت أنا والبنات.

اعتدل السكاكيني في وقفته، ظل واقفًا منتصبًا ونظر

بعيونه نحو الفتيات، كانت سندس من بينهن تنظر له نظرة قوية بها الكثير من الحقد، فنتبه لذلك وبادلها نفس النظرة الطويلة بلا معنى، فقال لجليلة وهو ما زال ينظر في عيون سندس القوية:

- أنا شايف وجوه جديدة معاكي يا جليلة.

ضحكت جليلة ضحكة عالية لتلفت انتباه الحضور ونظرت حيث قال، فوجدته ينظر إلى سندس فقالت بدون مواربة:

- وحياتك دي لسه بالسوليفانه والله يا سي عبده، جيباها النهاردة مخصوص علشان خاطر عيونك وعيون البشاوات.

عاد السكاكيني ينظر إلى جليلة وهز رأسه متفهمًا قولها وقال:

- لما نشوف يلا اجهزوا علشان نبسط الباشا نائب الخديوي، أنهى جملته وعاد من جديد لاستقبال ضيوفه.

***

تحركت جليلة وفرقتها من الفتيات في غرفة منزوية ليرتدين ملابسهن ويستعدن للعرض أمام الحضور، وكانت عيون سندس شاردة، ولكنها عادت من شرودها عندما سمعت صوت جليلة الذي رج المكان وهي تقول بصوتٍ عالٍ:

- يلا يا بت منك ليها، عاوزين البشاوات اللي واقفين برة دول ينبسطوا، يحلفوا إنهم مشفوش في رقصنا حد، ثم نظرت إلى سندس ذات الوجه الشاحب وهي تتابع ما بدأته:

- مالك يا بت إنتي لا فوقي كده عاوزكي تثبتي نفسك، متخلنيش أندم إني جبتك معايا مفهوم يا حلوة.

هزت سندس رأسها وهي تعدل حمالات صدرها وتقول:

- مفهوم يا أبلة..

الموسيقى المشتعلة في ردهة المنزل كانت تحتل المشهد بالكامل، خرجت جليلة أولًا من الغرفة ومن خلفها باقي الفتيات، كانت سندس هي من خرجت أخيرًا، ظلت تبحث بعينيها على عبده السكاكيني، فوجدته واقفًا مُنتشيًا فرحًا بيده كأس من الخمر وأمامه نائب الملك يتسامران فيما بينهما وابتسامتهما لا تفارق وجهيهما، ولكن جحظت عيناها فجأة عندما وجدت أخويها يرتديان زي النادل ويسيران من بين الضيوف يقدمان لهم المشروبات، ولكن ليس هذا الذي أدهشها، الذي أدهشها عندما وجدت امرأة عجوز تقف من بين الحضور ليست منهم، ظهرت فجأة من العدم واقتربت من عبده السكاكيني وهمست في أذنه، ومن ثم اختفت فجأة كما ظهرت.

***

انساق عبده السكاكيني خلف تلك المرأة العجوز التي همست في أذنه منذ قليل بجملة اقشعر لها جسده، قالت ببحة مخيفة:

- عزيز القط مستنيك يا سكاكيني.

جحظت عينا عبده السكاكيني وتلفت حوله، فوجد المرأة تسير ببطء إلى ممر في المنزل يقودها إلى غرفة المكتب، صار يسير خلفها وهو ينظر إلى الضيوف، كان عليه أن يساير الأمور حتى يمر اليوم على خير، وقفت العجوز أمام باب خشبي ونظرت بعيون جامدة له بدون أن يتفوه بكلمة، وبدون أن ينظر لها عبده السكاكيني فتح الباب فدلفت العجوز للداخل دخل خلفها عبده السكاكيني، فقالت وهي تعطيه ظهرها:

- أقفل الباب وراك.

بلع عبده السكاكيني ريقه بصعوبة ومد يده وهو يغلق الباب خلفه، ونظر نحو المرأة فوجدها تجلس فوق مقعد خشبي وتنظر له، وما زال عبده السكاكيني لا يعلم من هذه المرأة العجوز، اقترب منها حتى تباينت ملامحها فشهق وهو يقول مذهولًا:

- رئيسة؟؟

مالت بشفتيها وضحكت فظهر فمها خاويًا من الأسنان سوى بعض الأسنان المتناثرة وقالت:

- كويس إنك لسه فاكرني يا سكاكيني.

توتر السكاكيني وهو يفرك في يده، بدأ وجود رئيسة مرتبطًا بالحلم الذي حلمه فقالت له:

- مالك مش على بعضك ليه يا سكاكيني خايف؟؟

بلع السكاكيني ريقه وهو يعطيها ظهره ويقول:

- أخاف من إيه؟؟

- لاخد روحك.

نظر لها نظرة قوية وبدأ يستجمع أعصابه التي فلتت منه منذ أن رآها أمامه وقال لها:

- إنتي ايه اللي جابك هنا يا رئيسة؟؟

- جايه أخد حقي وحق ولادي من الراجل اللي قتل أبوهم ويتمهم.

- أنتي عارفة كويس إني قتلت عزيز القط علشان كان عاوز يبلطج عليا وياخد بيتي بالعافية، عربجي وقفت جنبه وجي

هو يعض الإيد اللي اتمدتله.

خرجت منها ااه بعد ضحكة بسيطة وهي تقول:

- مهما تقول ومهما تتكلم خلاص.

- خلاص إيه؟؟

نظرت له وحاولت أن تقف من جديد في مواجهته وقالت:

- القط موحشكش؟؟

في تلك اللحظة فتح باب الغرفة ففزع السكاكيني ونظر خلفه نحو الباب، فوجد شابين يرتديان ملابس النادل في الحفل يدخلان عليهما، فقال السكاكيني في فزع:

- هو إيه اللي بيحصل بالظبط أنتوا مين؟؟

تحركت العجوز وهي متجهة نحو الباب ووقفت أمامه ووضعت يديها فوق المقبض ونظرت ببطء نحو السكاكيني وهي تقول:

- أبقى سلملي على القط لما تشوفه. أنتهت من جملتها وخرجت من الغرفة وتركت السكاكيني منفردًا برفقة الشابين أبناء عزيز القط.

***

بدأت فقرة جليلة في العزف انسابت الفتيات كالمياه الجارية، بدأت جليلة ترسم ضحكة على شفتيها وهي تتلفت حولها فلم تجد سندس، بدأت تسب وتلعن في سرها، في هذا الوقت وقفت سندس بالقرب من الممر فرأت أخويها يدخلان الغرفة، وبعد لحظات تخرج أمها رئيسة بفخر، وصلت دقات قلب سندس إلى أقصاها.

كان يتابعها أحد صبيان الست جليلة حتى وجدها تدخل بسرعة الحمام قبل أن تراها العجوز، وقفت سندس ترمق انعكاسها في مِرآة صغيرة، لم يستغرق الأمر أكثر من دقيقة، تفكر كيف ستهرب، كانت تريد أن تأخذ هي بثأر أبيها، هربت من منزلها ولم تتوقع أن ترى أمها وأخويها في تلك الحفلة، تظن أن رائحتها فاحت وقريبًا سينجذب الذباب في تلك اللحظة ارتعشت الإضاءة فجأة، رفعت رأسها وهي تنظر إلى مصباح الإنارة الذي يتراقص فوقها، وسمعت صوت صياح الحضور في الخارج، مسحت وجهها بيديها وفتحت الباب ونظرت للخارج فوجدت الممر مظلمًا، ولكن سمعت صوت أخيها يقول للآخر:

- البت الصغيرة شافتنا يلا خلينا نهرب.

ترددت كلمة أخيها بعدم فهم:

- البت الصغيرة؟؟!! من هي البنت الصغيرة التي رأتهم،

قالتها سندس لنفسها بدون إجابة، ارتعشت الإضاءة مجددًا، تابعها صياح الحضور من جديد، نظرت مرة ثانية من الباب فوجدت أخاها يسحب جسد عبده السكاكيني الثقيل ثم انطفأت الإضاءة، بعد لحظات سمعت صوت صياح الحضور، صوت الفزع، فرفعت سندس خصلة من شعرها خلف أذنيها وفتحت مرة جديدة فتحة صغيرة من الباب ونظرت فوجدت طفلة صغيرة تهرول إلى الطابق الثاني، وأخوها الذي يرتدي ملابس النادل ينظر حيث تهرب تلك الفتاة الصغيرة، ثم خرجت من الحمام ونظرت فوجدت جثة عبده السكاكيني ملقاة على الأرض، والجميع بدأ في الفرار، خرجت من الحمام وضربات قلبها وصلت إلى أقصاها، فاشتعلت الإضاءة وحدثت حالة من الفوضى العارمة، ذهبت من الباب الخلفي وكأنها تعرف تفاصيل المنزل هاربة مع نظرات ذلك الصبي الذي يعمل مع جليلة وهو يراها هاربة من الباب الخلفي..

***

هرولت تلك الطفلة التي لم يتعدَّ عمرها عشرة أعوام من بين الحضور وصعدت بأقدام مهترئة السلم الداخلي للمنزل، فقد رأت ابني القط يسحبان أباها مطعونًا بسكين، كانت خائفة، جسدها ينتفض رعبًا، صعدت الطابق الثاني للمنزل،

دخلت بسرعة إلى غرفتها ومن خلفها كانت تسمع صوت صياح الحضور، أغلقت الباب خلفها وأسندت ظهرها إلى الجدران وضمت ركبتيها إلى صدرها، حاولت أن تسيطر على الرعشة التي احتلت جسدها ولكن لم تستطع، وبدأت الدموع تنهمر على وجنتيها الحمراوين مع صوت أنين صدر منها خوفًا.

***

خرجت جليلة كباقي الضيوف تهرول في الشارع خائفة تتلفت حولها لتطمئن على فرقتها، فرأت البنات جميعهن بجوارها ما عدا سندس، تحركت نحو الحنطور فأوقفتها إحداهن وهي تقول:

- سندس يا أبله مش موجودة هنمشي من غيرها.

وقفت جليلة للحظات تنظر نحو المنزل بخوف وهي تقول:

- إتحركي يا بت منك ليها هي ونصيبها بقى.

ومن ثم صعدت الحنطور الواقف أمام المنزل ومن خلفها الفتيات

***

خمارة المتعة

بعد أن هربت سندس من طه البنا وأصدقائه بداخل الخمارة، وقف طه وأصدقاؤه في الغرفة ينظرون نحو النافذة وهي مفتوحة على مصراعيها، هرول طه وقفز منها فوجد نفسه في الشارع الرئيسي لشارع كلوت بيك، كانت أعمدة الإنارة منطفئة سوى عمود واحد يصدر ضوءًا أصفر باهتًا، امتد ظل طه على الأرض وهو يتلفت حوله، هرول وهو ينظر إلى الحواري الجانبية فلم يجد لسندس أثرًا، وقف في منتصف الشارع وهو يضع يديه على خاصره ويزفر في ضيق، كان يعلم أن تلك الفتاة الهاربة لها علاقة بمقتل عبده السكاكيني، في تلك اللحظة وقف وهو يتذكر عبده السكاكيني الذي كان مُستلقيًا بداخل منزله وما زال حيًّا، بدأ يشعر بالذنب تجاهه، إنه كان لديه الفرصة لإنقاذه، ولكن فات الأوان، لابد من وجود الشرطة حاليًا بداخل المنزل للتحقيق في الأمر، ظل واقفًا ما بين التردد والخوف، ولكن فضوله مَن ساقه للذهاب مرة أخرى نحو المنزل.

ظل يسير على أقدامه، سيجارته متدلية من فمه، دخانه الأزرق يموج أمام عينيه، ظل شاردًا وهو يسير نحو المنزل من جديد، نصف ساعة كانت كافية تمامًا لوصوله إلى هناك، وقف في الخارج ينظر بعيون قوية، ولكنه لم ير شيئًا، المكان مفعم بالهدوء المبالغ فيه، لا توجد شرطة لا يوجد شيء خارج عن المألوف، كان يتوقع أن المنطقة ستكون يقظة ولن

تهدأ، ولكن لم ير ذلك.. حك جبينه وزم شفتيه حيرة وظل يفكر، تشاجرت الأسئلة في رأسه بدون إجابة، نظر حوله فكان السكون هو من يسيطر على المشهد بالكامل، نظر في ساعة يده الذهبية فوجدها تقترب من الثانية عشر، تحرك نحو البوابة الحديدية للمنزل فوجدها مغلقة بإحكام، وكأن شيئًا لم يكن.

هل يعقل أن الشرطة أتت وذهبت بتلك السرعة، لماذا أختفى الجميع؟ قالها طه لنفسه وعلامات استفهام كثيرة أمام عينيه، تذكر كلبه ريكس عندما قفز من سيارته مفزوعًا وهرول بداخل المنزل، وكأنه يعلم أن هناك شيئًا يحدث، ألقى بسيجارته أسفل حذائه ونفخ دخانه أمامه بضيق وهو مندهش، ونظر مرة أخرى نحو المنزل فوجده طبيعيًا ساكنًا، أنواره مغلقة، وضع يده في جيب بنطاله واستدار وقرر أن يذهب من حيث أتى.

ولكن في تلك اللحظة شعر بشيء في الطابق الثاني للمنزل، عقد حاجبيه ورمق الغرفة المتواجدة هناك فوجد بداخله خيالًا لشخصين، جحظت عيناه وقرر أن يقتحم المنزل، لم يكن عنده الجرأة الكافية أن يقتحم المنزل بمفرده، ولكن اندفع الأدرنالين بداخله لأنه تذكر أن تلك الغرفة كان دومًا يرى بها فتاة صغيرة تقف تنظر إلى المارة في الشارع، بلع

ريقة بصعوبة وشعر أن هناك شيئًا غير مفهوم، قفز من البوابة الحديدية بدون أن يشعر به أحد أخذ نفسًا ملأ صدره بالهواء البارد، تحرك نحو الباب الخشبي فوجده مغلقًا، تحرك خلف المنزل فوجد هناك مواسير حديدية تقوده إلى السطح..

تسلق المواسير حتى وجد نفسه فوق سطح المنزل، ظل يفكر كثيرًا حتى نظر فوجد هناك مدخنة قد تقوده إلى المطبخ الرئيسي في الطابق الأول، تحرك بسرعة وبخفة نحو المدخنة وظل يزحف عبر الماسورة مترًا كان يشعر باختناق لم يعهده، الهواء جاف لا يستطيع استنشاقه فيصعب الأمر، ضيق الماسورة يجعله عاجزًا عن خلع ملابسه التي التصقت بجسده فزادت الأمر ألمًا، يفتح عينيه بصعوبة، لا يزال الطريق طويلًا، يشعر أنه محشور داخل المكان لا يتمكن من العودة، يحاول ألا تخور قواه، أصبح في نهاية الماسورة يخرج منها بصعوبة يتلوى ألمًا، جسده بالكامل محمر، وتكون عدد من الفقاقيع البيضاء، وجهه ملطخ بالسواد، يرتمي على أرضية المطبخ وهو يأخذ أنفاسه بصعوبة، مر القليل حتى استجاب الأكسجين في رئتيه، نهض بصعوبة وهو يفتح باب المطبخ، كان المنزل مظلمًا، تحرك نحو الردهة الأساسية للمنزل فلم يجد لجثة عبده السكاكيني أثرًا، كأنها اختفت تمامًا، وجّه نظراته نحو الطابق الثاني وبدأ يصعد بحرص

شديد، تحرك نحو الغرفة المقصودة ومال برأسه عند بابها ليسمع شيئًا، فسمع صوت بكاء بسيط يستغيث، حاول أن ينادي على أعصابه فلم تستجب، سمع من الداخل صوت لرجل يقول للأخر:

- البت دي شافتنا ولازم نخلص عليها.

وضع طه البنا يده فوق فمه مندهشًا، وظل يتلفت حوله يريد أن يجد حلًّا، في تلك اللحظة شعرا ابنا القط بشيء في خارج الغرفة.. حركة كان يقصدها طه البنا، فهز واحد منهما رأسه للآخر ليرى ماذا يحدث في الخارج.. تحرك نحو الباب وفتحه بقوه ونظر، كان الظلام يحيط المنزل فكانت الرؤية بالنسبة له شبه مستحيلة، وفور ما فتح الباب وتحرك خارج الغرفة سحبه طه بقوة ليرتطم جسده على الأرض ظل طه يلكمه بقوه فصدر منه الآهات..

فور ما سمع أخوه صراخه خرج من الغرفة مسرعًا فوجده مستلقيًا على الأرض يتأوه من الوجع، هرول بسرعة نحوه وبيده سلاح ناري يتلفت حوله بحرص، وفور ما خرج من الغرفة هو الأخر دخل بسرعة طه البنا إلى الحجرة وأغلق خلفه الباب، صدر صوت غلق الباب، فنظر الشابان ابنا القط نحو الباب بفزع.

بالداخل كانت تجلس الفتاة وهي تبكي، ضمت ركبتيها إلى

صدرها، تغلق عينيها خائفة، تحرك نحوها طه البنا وهو يقول لها بلطف:

- متخافيش يا حبيبتي أنا معاكي.

فتحت عينيها ببطء ورفعت رأسها أيضًا ببطء، ونظرت فوجدت طه البنا أمامها ينظر لها مبتسمًا ابتسامة تبث الطمأنينة في قلبها، وبدون مقدمات ارتمت في حضنه، وكأنها شعرت بالأمان، صوت محاولة ابني القط لفتح الباب كانت شديدة، لم يهتم طه بذلك ورفع رأس الفتاة مبتسمًا وهو يقول لها لكي يطمئنها:

- متخافيش خالص، أنا جنبك أنا عاوزك دلوقتي تستخبي تحت السرير، ثم خلع ساعة يده وتابع، خلي دي في إيدك وغمضي عينك، وأول ما الساعة دي ترن اخرجي من السرير اتفقنا.

هزت الفتاة رأسها وهي تقول بخوف:

- اتفقنا.

ابتسم لها ابتسامة هادئة وهو يساعدها أن تختبئ أسفل السرير، فلاحظ عدم قدرتها على الخطى على قدميها .. في تلك اللحظة كان الباب على مشارف أن يفتح من ابني القط، هرول طه مسرعًا وهم أن يغلق الأنوار واختبأ في زاوية

بجانب الخزانة الخشبية، تحسس بيده فوجد لوحًا خشبيًا فأمسكه وانتظر للحظات، في تلك اللحظة انفتح الباب عل مصراعيه، نظر ابنا القط فوجدا الظلام يحيط بالغرفة، مد واحد منهما يده نحو زر الكهرباء وضغط فاشتعلت الإضاءة، ظلا ينظران نحو أركان الغرفة حتى ظهر من خلفهما طه البنا فجأة وبيده لوح خشبي وضرب بقوة بيده فوق رأس الشبان فوقعا على الأرض ينزفان دمًا، ووقع من أحدهما السلاح الناري على الأرض، فأبعده طه البنا بقدمه بعيدًا، ثم انهال عليهما بالضرب واللكمات حتى اقترب من السرير ورفعه بقوة، وسحب تلك الفتاة الصغيرة من أسفله وقام بالهروب من الغرفة..

ظل يهرول وهو يحمل الفتاة، نزل من الطابق الثاني إلى الطابق الأول، ظل واقفًا للحظات يتلفت حوله على مصدر الباب، فأشارت له الفتاة نحو الباب، كان المنزل مظلمًا، هرول بخفة نحوه وجده مغلقًا، حاول أن يفتحه ففشل، تحرك من جديد نحو إحدى النوافذ المتواجدة في الردهة فوجدها مغلقة تمامًا، لم يستطع فتحها، فشل مرة أخرى في الهروب، في تلك اللحظة سمع صوت ابني القط من فوق يتحركان من جديد، هرول نحو الممر المظلم فوجد هناك نافذة أخرى صغيرة لا يستطيع الهروب من خلالها، تحرك نحوها وضربها بقوة بقدمه وهو يحمل الفتاة فانفتح جزء منها، نظر إلى

الفتاة وهي تبكي وتنادي على أمها، فنظر لها طه وهو يقول:

- إنتي عارفه مكان أمك؟

هزت الفتاة رأسها أيجابًا وهي تقول:

- أيوه في البيت التاني قريب من هنا.

- تعرفي تروحي لوحدك؟

نظرت له وهزت رأسها إيجابًا، فابتسم وأخرجها بصعوبة من النافذة وهو يقول لها:

- اهربي بسرعة.. قال جملته ونظر فوجدها تهرول بصعوبة بعض الشيء، ولكنها تستطيع أن تهرب تلك الفتاة بمفردها، ثم لاحظ أنه ترك لها ساعته الذهبية بين يديها.

عاد من جديد وهو يحاول أن يختفي مُنزويًا حتى يهرب من اللذين قاما بقتل عبده السكاكيني، ولكن المدهش في الأمر عدم وجود الشرطة حتى الآن في موقع الحادثة، في تلك اللحظة نزل ابنا القط يبحثان عن طه البنا والفتاة الهاربة، يريدان أن يتخلصا منهما، هما فقط من يعلمان بوجوههما وحقيقتهما، إنهما من قتلا عبده السكاكيني وأخفيا جميع الأدلة حتى استطاعا أيضًا إخفاء جثة عبده السكاكيني لتأتي الشرطة ولن تجد جثة ولن تجد أثرًا لأي

شيء، فتعود من جديد إلى مقرها وتغلق الملف.

صدر من طه صوت فنتبه إليه الشابان وتحركا نحو الصوت، كان طه جالسًا القرفصاء منزويًا في ركن من المنزل، فاهتزت المزهرية النحاسية الموضوعة بجواره، ظلا الشابان يتحركان حتى ظهر لهما طه من جديد وهو يلقي في وجههما المزهرية النحاسية وهو يحاول أن يهرب ولكن.. أتت رصاصة من فواهة السلاح الناري الذي كان يحمله أحدهما في منتصف ظهر طه جعلته يسقط أرضًا، يسقط بهدوء مقتولًا يصارع الموت...



2

إحدى الجهات الأمنية الجمعة الأولى من شهر فبراير عام 2010 الساعة العاشرة مساءً

كان (جمال منصور) جالسًا في مكتبه، كانت الغرفة معبأة بدخان السجائر.. أمامه العديد من الأوراق منذ أكثر من ثلاث ساعات وهو رابض أمام تلك الأوراق، بيده الرسمة الطفولية الموقع عليها طه البنا، دخان سيجارته الموضوعة من بين أصبعه يموج بالقرب من السقف، وأمامه فنجان قهوة فارغ كان قد انتهى من خمس فناجين من قبل، يحاول أن يجمع الخيوط ببعضها.. مر من الوقت الكثير حتى سمع صوت طرقتين متتاليتين على الباب لينظر ليجد طارق مساعده يدلف وبيده مجموعة من الأوراق عاقدًا حاجبيه وهو يشتم رائحة الغرفة المكتومة برائحة السجائر، تحرك حتى جلس أمامه واستطرد:

- مساء الخير يا طارق باشا. قال جملته وهو ينظر إلى المطفأة الموضوعة أمامه، فيجد الكثير من أعقاب السجائر مدفونة أمامه فلم يعقب، ونظر إلى جمال الذي قال له وهو ما زال ينظر إلى الورقة التي رافعها أمام عينيه:

- وصلت لحاجة؟

تنحنح طارق في جلسته وهو يقول:

- 2008 حصلت جريمة قتل.

أنزل جمال الورقة منتبهًا لحديث طارق الذي بلع ريقه وتابع ما بدأه وهو يقول:

- سنة 2008 جالنا خبر إن في صحفي دخل على مراته لاقها مقتولة واقعة على الأرض وغرقانة في دمها، طبعًا بلغ الشرطة فورًا، القضية دي كنت أنت اللي هتمسكها يا باشا، بس كانت في نفس اليوم اللي جالك فيها خبر وفاة ابن حضرتك أول ما أتولد ف القضية اتحولت لظابط تاني اللي مسكها عماد النجار، وفي الآخر اتحفظت، الطب الشرعي أثبت إن دي مكنتش جريمة قتل، تقرير قال: إن البنت دي وقعت على دماغها بدون قصد فماتت، ودي كانت شهادة بنتها الصغيرة اللي كانت عندها 6 سنين، اللي قالت إن مامتها كانت واقفة على سلم بتقوم بعملية تنضيف للبيت، فوقعت على دماغها فسببت نزيف، وطبعًا لما الزوج روَّح كانت فقدت كتير من دمها وماتت، المشكلة إن طه البنا الصحفي مستوعبش كده، وكان مصمم إن دي مش قضاء وقدر، وإن مراته اتقتلت، وإن ليه أعداء كتير بما إنه هو صحفي بيبحث عن القضايا وبيظهر الفساد اللي موجود في مصر ف ده خلق عداوة.

كان جمال يستمع لطارق بكل تركيز فأشار له وهو يقول:

- طيب وبعدين البنت بنته اختفت راحت فين؟

- البنت مختفتش ولا حاجة يا فندم، البنت جدها والد مامتها اللي اتوفيت خدها تعيش معاه لما أبوها طه البنا حالته بقيت صعبة وبدأ يتعالج نفسيًا، ولما خرج طه البنا من المستشفى مسألش على بنته لمدة سنة، ولما حاول يرجعها جدها طبعًا خاف يسلمها ليه علشان شاكك في قواه العقلية، وكمان كان مفصول من الجريدة اللي كان شغال فيها، دي يا فندم كل الحكاية بالتفصيل عن طه البنا وزوجته إللي اتوفيت.. معنى كده إن شكوك حضرتك إن جريمة ليلى الحناوي مرتبطة بموت زوجة طه البنا مش صحيح، أما بالنسبة بقى إيه اللي جاب توقيع طه البنا للرسمة اللي كانت في إيدين المجني عليها لسه مش لاقي ليها تفسير لحد دلوقتي.

أراح جمال رأسه للوراء وهو يغمض عينه ويقول بعدما أخذ نفسًا ملأ صدره بالهواء:

- تفسيرها في جنة.

عقد طارق حاجبيه وهو يقول مستفهمًا:

- جنة حفيدة عبده السكاكيني؟؟

اعتدل جمال في جلسته وهو ينظر في عيون طارق ويقول له:

- الطفلة جنة بنتها.

رمقه طارق بنظرات عدم فهم، فنهض جمال من مجلسه متقدمًا نحو النافذة وهو ينظر للخارج ليشتم الهواء ويعطي ظهره لطارق ويقول:

- اليوم اللي قعدنا مع جنة الأم حفيدة عبده السكاكيني بنتها ظهرت فجأة، وفي إيديها كراسة رسم نفس نوع الورقة اللي معانا، مش بس كده الرسمة اللي موجودة وموقع عليها طه البنا جنب توقيعه مكتوب اسم جنة جنب اسم طه، كلنا خدنا بالنا واهتمينا بتوقيع طه البنا، ومهتمناش بالاسم اللي جنبه، فلازم نرجع نروح بيت السكاكيني من تاني ونقعد مع الطفلة دي أكيد هتفيدنا في حاجات كتير.

زاغت عين طارق يمنة ويسرة مترددًا في الحديث حيث قال له فجأة؟

- بس هما دلوقتي مش في بيت السكاكيني يا باشا.

التفت إليه جمال عاقدًا حاجبيه والاندهاش مرسوم على قسمات وجهه وهو يقول:

- بمعنى.

نهض طارق وهو يقول بأدب:

- النهاردة الصبح سابوا البيت رجالتنا فضلوا متابعينهم لحد ما بلغونا إنهم في شقة في الشيخ زايد.

زم جمال شفتيه وظل يفكر قليلًا وهو يقول وكأنه يحدث نفسه:

- الشيخ زايد؟؟ معنى كده إن جنة كذبت عليا لما قالت إنهم باعوا شقة الشيخ زايد.

- بالظبط كده يا فندم.. الغريب إن من ساعتين كده في مجموعة شباب دخلوا البيت وكان معاهم تصاريح بالتصوير جواه، أعتقد إنه فيلم أو برنامج تليفزيوني.

تجهم وجه جمال وقال بحنق:

- تصوير؟؟؟؟ إزاي حاجة زي كده تحصل وإزاي تسيبوهم يدخلوا البيت وفي قضية شغالة.

تنحنح طارق وهو يقول بأدب:

- أعتقد يا باشا إن البيت مالهوش علاقة بالجريمة لحد دلوقتي.. مكنش في أي سبب قانوني يستدعي نمنع الشباب دي تدخل البيت، بس رجالتنا بيراقبوا البيت كويس

وبيبلغونا أول ب أول.

تحرك جمال من جديد نحو مكتبه وهو يجذب سلاحه ويضعه في خاصره ويسحب سترته الجلدية وينطق وهو يرتديها قائلًا:

- معنى كدة إن لازم دلوقتي نروح نقابل جنة في الشيخ زايد الدقيقة دلوقتي محسوبة.. انتهى من جملته وهو يأخذ مفاتيح سيارته الموضوعة على المكتب ويذهب ومن خلفه يسير طارق.

***

مرت ساعة، الطرق كانت ممتلئة وما زال يجلس جمال أمام عجلة القيادة وبجواره طارق الذي غفل لدقائق وهو يجلس صامتًا، الملل يحيط السيارة، وقفت السيارة فجأة أمام بناية من خمسة طوابق في الشيخ زايد، نظر جمال إلى البناية وهو بداخل السيارة وهز طارق بيده فانتفض الأخير من غفلته وهو ينظر حوله، قال له جمال وهو يشير لتلك البناية:

- هو البيت ده؟

نظر طارق حيث أشار جمال وهز رأسه له بالإيجاب، فخرج جمال من سيارته وتابعه طارق أمام البوابة الحديدية للمنزل

يوجد حارس للعقار أسواني يرتدي جلبابًا بنيًا، كان جالسًا واضعًا قدمًا أسفل فخذه، لفت نظره تلك السيارة والأشخاص الذين دلفوا منها فاقترب جمال منه وهو يقول:

- سلام عليكم.

رفع الحارس يديه وهو يقول:

- وعليكم السلام.. بتسأل على حد يا أخينا.

أخرج جمال سيجاره وقذفها في فمه وأشعلها وهو يقول:

- في واحدة ساكنة هنا أسمها جنة؟؟

رمقه حارس العقار من رأسه حتى قدمه وهو ما زال جالسًا أمام جمال المنتصب أمامه وقال بعدما أخذ وقتًا للتفكير:

- وأنت مين يا بيه علشان نبلغها.

زفر جمال دخانه في الهواء ونظر إلى طارق بنفاذ صبر ثم قال له بحنق:

- قوم يا بني قولنا هي في أنهي شقة.

- عدم المؤاخذة يا باشا لازم أعرف أنت مين تقربلها إيه؟ قال جملته الأخيرة بطريقته الأسوانية فرمقه جمال وهو يقول:

- مباحث.

أول ما نطقها جمال انتفض الحارس ووضع يده على جبينه وهو يقول:

- تمام يا باشا مش تقول من الأول.. الدور التاني يا بيه، الشقة اللي على السلم أنا هوصلك بنفسي.

أشار جمال له بيده أن يجلس وهو يقول بنفس طريقته:

- أقعد أقعد خليك مش محتاجينك. قال جملته الأخيرة وهو يسير من أمام الحارس ويدخل من بوابة البناية ومن خلفه يسير طارق كعادته، فسمعا صوت الحارس من خلفهما وهو يقول:

- الأسانسير على إيدك الشمال يا بيه.

***

وقف جمال أمام باب مصفح، ضغط على الجرس فصدر صوت رنين، بعد لحظات فُتح الباب، كانت جنة هي من فتحته، فاندهشت عندما رأت جمال واقفًا أمامها، فابتسم ابتسامة لزجة ظهرت على قسمات وجهه وهو يقول:

- مساء الخير يا مدام جنة.

بلعت ريقها وهي تقول بصوت مهزوز نتيجة توترها:

- مساء النور يا فندم.

فقال لها مستفهمًا:

- هنقف كتير على الباب.

نظرت له ثم انحنت من أمام الباب ليدخلا، دخل جمال ومن خلفه طارق، ظل جمال ينظر إلى أثاث المنزل، كانت الشقة كبيرة بها الكثير من الأثاث الأنتيكات القديمة، تشعر أنك دخلت متحفًا لبيع الأنتيكات، هناك رائحة نفاذة تغمر الشقة بأكملها، فسمع صوت جنة من خلفه وهي تشير بيديها وتقول:

- أتفضلوا.

قالت جملتها ثم تحركت فتحركا خلفها حتى جلسا، جلست جنة ووضعت قدمًا فوق الأخرى ورفعت خصله من شعرها خلف أذنيها بتوتر وهي تقول:

- في حاجة يا فندم.

ابتسم لها جمال ونظر إلى طارق الذي بادله نفس الابتسامة وهو يقول:

- ممكن أعرف إيه اللي بيحصل؟؟

حاولت ان تبعد نظراتها عنه وهي تقول:

- مش فاهمة حضرتك تقصد إيه.

وضع جمال قدمًا فوق الأخرى وأراح بظهره للوراء وهو يقول:

- ليه قولتي إنكم بعتوا شقة الشيخ زايد ليه كدبتوا.

- مظنش إنك هتستفيد حاجة من المعلومة دي.

حك أنفه وابتسم لها وحاول أن يطرح سؤالًا آخر وهو يقول:

- طيب ممكن أعرف ليه رجعتوا أسبوعين بيت السكاكيني وليه دلوقتي أختفيتوا وسايبين شوية شباب بيصوروا جوه البيت، لازم شرح لكل ده، ليه قولتي إنك متعرفيش طه البنا رغم إن في رسمة بنتك جنة رسماها وموقع عليها طه جنب اسم جنة.. عاوز أعرف كل حاجة وبالتفصيل وإلا.. قال كلمته الأخيرة وسكت وهو ينظر إليها بخبث، فارتعشت يديها بخوف وهي تقول:

- وإلا إيه يا فندم.

رمقها وسكت فقال طارق:

- جمال باشا قصده، وإلا هتكوني إنتي المتهمة الوحيدة

قدامه، وفي أدله كتير تدين حضرتك.

توترت وهي تفرك يديها بخوف حتى خرجت من الغرفة الخلفية لطارق امرأة فوق مقعد متحرك تبلغ من العمر خمسة وسبعين عامًا تقول بصوت عجوز هادئ:

- إزيك يا جمال يا بني نورت البيت أنت وزميلك.

التفت جمال فوجد امرأة آتية بمقعد متحرك، فاندهش وهو يرمقها بعيون زجاجية، فجاءت بمقعدها بجوار حفيدتها جنة وهي تقول:

- أنا هريحك وهعرفك كل حاجة، بس الأول يا بني تحب تشرب إيه؟

رمقها جمال بنظرة حانية وهو يقول:

- متشكر يا فندم مالهوش لزوم، أهم حاجة أعرف الحقيقة.

تنهدت المرأة وهي تقول:

- الحكاية عدى عليها عمر يا جمال.. عدى عليها أكتر من خمسة وستين سنة، عندك وقت تسمعها علشان ترتاح.

هز رأسه لها إيجابًا، فابتسمت ابتسامة هادئة في وجهه وقالت بعدما أخذت نفسًا ملأت صدرها بالهواء:

- أنا بنت عبده السكاكيني صاحب بيت السكاكيني اللي في حارة اليهود.

انتبه لها جمال جيدًا واعتدل في جلسته وأخرج طارق هاتفه المحمول وشغله على وضع المسجل، وبدأ يسجل كل كلمة تتفوها تلك العجوز، فتابعت وهي تقول:

- أبويا الله يرحمه اتقتل في البيت ده، بيت السكاكيني، وأنا شوفت اللي قتلوه بعيني دي، وكان عندي أقل من عشر سنين.

- اتقتل إزاي يا فندم، وإيه علاقة قتل والدك بالجريمة اللي بحقق فيها دلوقتي.

ابتسمت فظهرت تفاصيل تجاعيد وجهها المستدير وهي تقول:

- أنت جي تسأل على طه البنا وأنا هجاوبك وهريحك.

عقد جمال يديه أمام صدره مستمعًا، فتابعت العجوز حديثها وهي تقول:

- أبويا الله يرحمه كان ليه صاحب اسمه عزيز القط، كان راجل عربجي في الحي، وأبويا كان كبير المنطقة كلها، المهم جه في يوم عزيز القط الشيطان لعب في دماغه وحب

يتنطط على أبويا وبدأ يهدده إنه ياخد البيت الكبير إللي هو بيت السكاكيني، أبويا رفض، فحصلت ما بينهم عداوه استمرت أكتر من خمس سنين، لحد ما في يوم العربجي ده وقف لأبويا في وسط الحي وكان عاوز يقتله، بس أبويا عبده السكاكيني كان عفي مقدرش عليه القط، وعلشان عبده السكاكيني يدافع عن نفسه فقتل هو عزيز القط، ومن وقتها وهو شايل دم عزيز القط في رقبته برغم إنه كان بيدافع عن نفسه.

مسح جمال بيده على وجهه بملل لم يفهم ماذا تقصد تلك المرأة الخرقاء بتلك القصة، فقالت وهي تتابع ما تقوله:

- في الفترة دي أبوبا عمل علاقات كويسة في البلد، وكان كل جمعة من أول كل شهر كان بيعمل حفلة كبيرة في بيت السكاكيني وبيعزم فيها كبار المحروسة كلهم، وجه مع أول جمعة في شهر يناير سنة 1948 وعمل حفلة كبيرة، بس وقتها مكنش يعرف إن ولاد عزيز القط كانوا متربصين ليه، وبدأت الحفلة وولاد عزيز القط وأمهم أخدوا أبويا من وسط الناس ودخلوا بيه أوضة المكتب علشان يخلصوا عليه.

سكتت لبرهة وشردت وذرفت عيناها دمعة ساكنة منذ سنوات وكأنها تعيش الحدث من جديد، تنهدت وهي تتابع ما بدأته:

- في الوقت ده أنا شوفتهم بعيني، جريت وبصيت عليهم كان عندي عشر سنين، لقيتهم بيقتلوا أبويا، صرخت بس محدش قدر يسمعني، اللي كانوا في الحفلة بره مسمعونيش، بس اللي كانوا بيقتلوه سمعوني كويس، لما لاحظت إنهم خدو بالهم مني جريت بسرعة.. لكن من كتر خوفي حسيت إن مش قادرة أجري على رجلي، استحملت الوجع اللي فجأة بدأ ينتشر في رجلي كلها، وطلعت الأوضة بتاعتي في الدور التاني، وفجأة النور قطع، وسمعت صوت صياح الحضور في البيت وهما بيجروا وخايفين، البيت فضي علينا، والبوليس جه وبعدها سمعت إن جثة أبويا اختفت، البوليس لما جه ملقاش حاجة، وولاد عزيز القط اللي كانوا متخفيين في زي الجرسون وقفوا كأنهم معملوش حاجة، ولما البوليس جه وملقاش جثة ولا لقي أداة جريمة مشيوا، بس أنا كنت لسه موجودة في الأوضة بتاعتي مستخبية.. قالت جملتها وبدأ صوتها يحمل شجنًا وغضبًا من ذلك اليوم.

فنتبه إليها جمال هذه المرة، وبدأت القصة تشده يريد أن يعرف ماذا حصل بعد ذلك؟ فمسحت بيديها دموعها وقالت:

- كنت مرعوبة وأنا لوحدي في البيت والدنيا ضلمة حواليا، وكنت سامعة صوتهم بره الأوضة بيدوروا عليا علشان يموتوني أنا كمان.. دخلوا عليا الأوضة لقوني مستخبية على

جنب، فاكرة كل التفاصيل، فاكرة صوت ضحكهم لما شافوني وقرروا إنهم يقتلوني، أنا الوحيدة اللي أعرف إنهم اللي قتلوا أبويا، وما بين دموعي وخوفي إن اتقتل أنا كمان ظهر لي واحد من العدم، وكأن ربنا بعتهولي من السما علشان ينقذني.

فقال طارق باهتمام شديد:

- مين ده؟؟

ابتسمت ونظرت إلى عينيه وهي تقول:

- طه البنا.

نظر طارق إلى جمال وتبادلا النظرات بعدم فهم فقال جمال مستفهمًا:

- يعني إيه طه البنا؟! إنتي بتقولي الكلام ده عدى عليه أكتر من خمسة وستين سنة، وطه البنا مجبش حتى الأربعين سنه ف إزاي هو إللي أنقذك.

بلعت ريقها وهي تقول:

- زي ما بقولك يا بني طه البنا هو اللي أنقذني، لقيته ظهر لي وأنا في الأوضة، خرج ولاد عزيز القط بذكاء من الأوضة وقفل علينا وخباني تحت السرير، وأداني الساعة بتاعته اللي محتفظة بيها لحد دلوقتي.. دخلوا ولاد القط من تاني علينا

الأوضة، ضربهم طه البنا وسحبني من تحت السرير، ونزلنا نجري نهرب، لقينا كل الأبواب والشبابيك مقفولة معرفناش نهرب، لحد ما لقينا شباك صغير كسره طه البنا وهربني، بس هو معرفش يهرب معايا، أستخبى في البيت وبعدها ولاد القط قتلوه، جثته اختفت هي كمان من البيت، بس صورته كانت منتشرة في كل الجرايد إنه مختفي، وأنا الوحيدة اللي كنت عارفه هو حصله إيه ومقدرتش أتكلم.

- أنا مش فاهم حاجة. قالها طارق فنظرت إليه العجوز وهي تقول:

- أتجوزت وسافرت بره، ولما رجعت كان ابني كبر، خليته يهتم بالبيت وقولتله كل جمعة من أول كل شهر تروح هناك وتعمل حفلة زي ما جدك عبده السكاكيني كان بيعمل، تشغل أغاني كلاسيكي وتعزم ناس يلبسوا كلاسيك، كنت بحس إن برتاح لما ابني يصورلي اللي بيحصل في البيت، مع كل جمعة من كل أول شهر..

ومن سنتين سمعنا إن في واحد صحفي اسمه طه البنا مراته اتوفيت، وكانت صورته بتيجي كتير في التليفزيون، أستغربت أوي أول ما شوفته وكنت مندهشة.. نفس الشكل.. نفس الجسم.. نفس الأسم.. إزاي هو طه البنا اللي أنقذني إللي بسببه أنا لسه عايشة لحد دلوقتي لسه عايش إزاي لسه

شباب.

كنت بعيط من الفرحة، مش مصدقة، وكأن روحه رجعت من جديد، من كتر فرحتي ابني وحفيدتي بدأوا يستغربوا أنا بعيط ليه، حكتلهم القصة كامله وقولتلهم ده طه البنا اللي انقذني، طبعا فكروني زي ما أنتوا مفكرني دلوقتي ست عجوزة وبخرف، بس حسيت إن روحه أتنقلت واتولد من جديد بنفس الشكل وبنفس الأسم، كنت لازم أشوفه وقررت أعزمه وأحكيله، بس خوفت يفكرني مجنونة هو كمان وقتها، فكرت في فكرة حسيت إن لو عدت كل التفاصيل القديمة من جديد ممكن روحه تفتكر وتنطق، يصرخ ويقول أيوه أنا طه البنا اللي انقذتك..

خليت أبني يلبس بدله جده عبده السكاكيني علشان أبني يشبه جده أووي، وخليته يروح المزرعة اللي بيسكن فيها طه، وعرفه إن اسمه عبده السكاكيني، ويشوف واقع الاسم على طه هيكون إيه.. بس للأسف طه مفتكرش حاجة.. ودعاه للحفلة وقاله في حدث هيحصل هيقدر يكتب عنه في الجريدة ويرجع من جديد لشغله، ولعبنا على فضوله..

ف الوقت ده كنت انا وجنة حضرنا لكل حاجة، واستدعيت صديق ليا اسمه إسحاق فاتح محل ساعات صديق العائلة، وخليته هو وبنته صحراء يجيبوا ناس ولبسناهم، وحضرنا

الحفلة زي القديمة بالظبط، وجه طه وأنا شوفته، نفس اللي حصل زمان، شاف جنة الطفلة واقفة راح وقف معاها وكأن روحه بتحب الأطفال.. بس وقتها حصل حاجة غير متوقعة.

انتبه لها جمال وهو يرمقها لم يدري هل يصدق ذلك الخرف التي تتحدث عنه تلك المرأة أم لا؟ فقالت:

- النور قطع زي ما حصل قبل كده زمان، ودي حاجة مكناش محضرنها، وفضل صوت صياح الحضور زي زمان، وده مكناش برضو متفقين عليه خالص، وفجأة سمعنا صوت بيقول ضيوفي الأحياء متخافوش، وبعدها النور جه، والخوف على وشوش الناس اللي كنا جايبنهم يمثلوا خافوا، وكان من حقهم إنهم يهربوا، وفي وسط الفوضى اللي حصلت ببص على طه البنا لقيته مضروب على راسه ومرمي على الأرض، ساعتها إسحاق وبنته أخدوه وقاله إنهم هيسعفوه، وبعد يوم سمعنا بالجريمة اللي حصلت، البنت اللي لقوا جثتها جنب بيت السكاكيني، وطه البنا هو اللي متهم وقتها، حسيت بالذنب، وتأكدت إن طه البنا اللي أنقذني روحه متولدتش من جديد، وإن الصحفي طه البنا مجرد صدفة في الأسم والشكل، وشعرت إننا وقعناه في مصيبة ولازم نساعده علشان كنا متأكدين إنه بريء، ولو حضرتك مكنتش جيت النهاردة كنت انا اللي جيتلك وحكيتلك كل

حاجة.

نظر جمال إلى طارق بعدم فهم، فنظرت إليهما جنة وهي تقول:

- ممكن تقول على جدتي إنها مجنونة أو كلامها محدش يصدقه، بس هو ده فعلًا اللي حصل، وجدتي شرحت إللي تم، وشرحت كمان سبب وجود طه البنا عندنا في البيت، وأظن إن شهادة جدتي وشهادتي أنا كمان تبرأ طه البنا من التهمة دي.

نظر جمال لها حتى انتهت، ثم نظر إلى تلك العجوز وهو يقول:

- ممكن أعرف اسم ابن حضرتك اللي دعا طه البنا للحفلة.

ابتسمت له وهي تقول:

- فاروق السكري صاحب القنوات الفضائية.

جحظت عين طارق واندهش جمال بدون أن يظهر ذلك على قسمات وجهه، في تلك اللحظة شرع جرس هاتف طارق في الرنين، فاستأذن وقام بالرد، ظل يسمع المستمع للحظات مع ترقب من جمال منصور حتى أغلق طه فبادره جمال قائلًا:

- خير في إيه يا طارق؟

- الشباب اللي بيصوروا في البيت.

- مالهم؟؟

رجالتنا بيقولوا سامعين صوت صراخهم من جوه البيت وتقريبًا اتحبسوا جواه مش قادرين يخرجوا..

***

3

منزل السكاكيني الساعة العاشرة والنصف مساءً

كانت مفاجأة للأصدقاء الأربعة عندما اهتزت الإضاءة وهم يسمعون صوت بث الرعب في وجدانهم جميعًا، تحرك كل واحد منهم إلى زاوية، منهم من اختفى خلف البيانو القديم المتهالك، ومنهم من أغمض عينيه خلف مقعد من مقاعد الصالون المذهب، ومنهم من وضع نفسه متقوقعًا خائفًا أن يفتح عينيه، لحظة من الترقب حتى اشتعلت الإضاءة من جديد وكأنه لا يوجد شيء، الموسيقى اختفت فجأة كما جاءت، والهدوء عاد من جديد في جميع أنحاء المنزل، فتح شعراوي عينيه ببطء ونظر فوجد مروان وهيثم متقوقعين خلف البيانو، فهمس لهما من بعيد وهو يقول:

- الموضوع طلع بجد ولا إيه هو فين آدم؟؟

نظر كل من مروان وهيثم إلى شعراوي وقال هيثم له بنفس النبرة الهامسة:

- منعرفش آدم فين بس تلاقيه مستخبي ورا أي كرسي ولا في أي حته.

تحرك شعراوي قليلًا ومد رأسه من خلف الكرسي ونظر فوجد الردهة فارغة مشط بعينيه جميع الأركان فلم ير آدم،

حاول أن يتحلى بالشجاعة قليلًا وخرج من خلف الكرسي منحني الظهر يتسحب فوق أصابعه وقد فتح كشاف هاتفه المحمول، شجاعته جعلت مروان وهيثم يتقدمان هما أيضًا معه فوجدوا الردهة فارغة، كانت الغرفة المتواجدة في الجانب الأيسر من الغرفة بابها موارب، نظر شعراوي إلى مروان وهيثم وقال:

- الأوضة دي كانت مقفوله قبل ما يحصل اللي حصل، حتى معرفناش ندخل فيها كاميرات، إزاي اتفتحت.

هرش مروان في مؤخرة رأسه مفكرًا ومن ثم وجدوا آدم يخرج منها، فابتسم مروان وهو يقول:

- آدم أهو.

هرول أصدقاؤه نحوه، قال شعراوي متلهفًا:

- كنت فين يا آدم، وإزاي فتحت باب الأوضة دي.

كان آدم وجهه شاحب وأعصابه قد تلفت، يحاول أن يلملم ما تبقى من أعصابه، يحاول أن يهدأ ويطمئن أصدقاءه، فنظر لهم وهو يقول بصوت خرج ببطء وقال:

- لاحظت إن في حد معانا هنا في البيت، حسيت بخطواته، وفجأة لقيت الأوضة اللي مكناش عارفين نفتحها مفتوحة

قدامي، فضولي خلاني أدخلها، بس للأسف حسيت بيه حوليا ريحته حركته اتلفت حواليا لقيت الأوضة فاضية.

قال هيثم مستفهمًا:

- تقصد إن البيت ده مسكو...

قاطعه آدم وهو يهز رأسه ويقول:

- أنا مقصدش حاجة، بس اللي بيحصل في البيت ده مش طبيعي خالص، لازم نلم المعدات بتاعتنا ونهرب من هنا حالًا.

انتهى آدم من جملته وتحرك هو وأصدقاؤه كل واحد منهم إلى ركن يقومون بفك الكاميرات والميكروفونات والكشافات الموضوعة في كل ركن في المنزل قبل أن تتراقص الإضاءة من جديد فوقهم، ويسمعون الجرامفون يشتغل بدون أن يقترب منه أحد، ويسمعون صوت غناء متقطع يبث الرعب من جديد في وجدانهم، نظر مروان وقد نبتت قطرات عرق فوق جبينه وصدره بدأ يعلو ويهبط من الخوف وهو يسحب حقيبة بها الكاميرات ويضعها خلف ظهره ويقول:

- لازم نهرب حالًا من البيت الملعون ده.

حمل كل منهم حقيبة فوق ظهره بها بعض من المعدات، وتحركوا نحو الباب الرئيسي من المنزل فوجدوه مغلقًا من

الخارج، نظر آدم إلى أصدقائه وهو يقول:

- الباب مقفول من بره.

حاول بكل قوة هو وأصدقاؤه أن يقوموا بفتح الباب فباءت محاولتهم بالفشل، بدأ الجرامفون يهتز وصوت الغناء المتقطع الصادر منه يجعلهم يخافون أكثر فصرخ شعراوي وهو يقول:

- إحنا كده اتحبسنا هنا؟؟؟؟

وضع آدم يده في خاصرته محاولًا أن يفكر في شيء حتى نظر أمامه حيث الشبابيك المغلقة، ثم هرول نحو نافذة وهو يحاول أن يقوم بفتحها فلم يستطع أن يفعل ذلك بمفرده، فتحرك معه مروان وهيثم بعد عدة محاولات نجحوا في فتح النافذة التي كانت مغلقة بإحكام، نظروا من خلال حواجزها الحديدية في الخارج فلم يجدوا أمامهم سوى الظلام والهدوء المبالغ فيه، لم يوجد شخص يسير في هذا الوقت من أمام المنزل، فلم يجدوا أمامهم جميعًا سوى حل وحيد، وهو الصراخ.

***

أمام المنزل وقف الكثير من أمناء الشرطة الذين كانت مهمتهم مراقبة المنزل والشباب الذين دخلوا للتصوير، لم

يتحركوا من أماكنهم، سمعوا صراخ الشباب ولم يستطيعوا إنقاذهم، مرت نصف ساعة حتى أتت السيارة التي يقودها جمال منصور ومساعده طارق، اقتحموا البوابة الحديدية للمنزل، نظر جمال نحو النافذة حيث صراخ الشباب قال لهم لكي يهدئهم:

- متخافوش دقيقة وهتخرجوا، بس محتاجكم تهدوا شوية.

قال جملته وهز رأسه لطارق فنظر الأخير إلى أحد أمناء الشرطة وأمرهم قائلًا:

- استخدموا أي وسيلة لفتح الباب ده وبسرعة.

تحرك اثنان من أمناء الشرطة وقاموا بدفع الباب بأكتافهم ففشلوا، ثم اقترب آخر وأمر الاثنين بالابتعاد حيث أخرج سلاحه الميري وأطلق عيارًا فانفتح الباب على مصراعيه، فور ما فتح الباب أسرع الأصدقاء الأربعة نحو الباب وهم يهرولون للخارج استقروا في الخارج وعاد جمال برفقة طارق ونظر إلى الأصدقاء ونظر إليهم ووجه سؤاله لهم قائلًا:

- ممكن أعرف أنتوا مين وإيه اللي دخلكوا البيت ده؟؟

أخرج آدم ورقة من جيبه الداخلي وأردف:

- إحنا بنعمل برنامج بخصوص الأماكن الغامضة والقضايا المبهمة، فقررنا نبحث على جريمة قتل ليلى الحناوي، وخصوصًا لوجودها جنب البيت الغريب ده، وجبنا تصاريح من الداخلية، وكمان استأذنا أصحاب البيت إننا ندخله ونصور فيه، أما بخصوص اللي حصل جوه إحنا مش لاقين ليه معنى غير إن البيت ده ممكن يكون مسكون..

هز جمال رأسه ثم نظر إلى آدم طويلًا ومن ثم وجه نظراته إلى أصدقائه وهو يقول لهم:

- دلوقتي تقدروا تمشوا وترتاحوا بس أكيد هستدعيكوا تاني عندي في مكتبي ندردش شوية مع بعض. قال جملته ومر من أمامهم ذاهبًا مع نظرات آدم وأصدقائه له بدون معنى.

***

نفس اليوم الساعة 12 بعد منتصف الليل

عاد جمال منصور إلى مكتبه في قسم الأزبكية هو وطارق الذي كان مرهقًا قد شعر بالتعب، كان يومًا ممتلئًا بالأحداث، ترك طارق جمال واستأذن منه إنه سيقوم بشراء بعض الوجبات السريعة ليتناولاها معًا، بالفعل خرج طارق لشراء بعض الساندويتشات السريعة، وعند عودته أوقفه أمين

شرطة وهو يقول:

- طارق باشا في واحد جه من ساعة وساب لحضرتك دي.

قال الأمين كلمته ومد يده إلى طارق بفلاشة صغيرة، مد طارق يده وأخذها من الأمين وهو يرفعها أمام عينه ويتأملها ثم قال له:

- مين الشخص ده مسبش أسمه أو رقم تليفونه.

هز الأمين رأسه بالنفي وقال:

- لا يا باشا مسابش أي معلومات.

هز طارق رأسه ووضع الفلاشة في جيب بنطاله، وذهب نحو غرفة جمال بعدما سمع صوت تقلصات صادر من معدته بسبب شدة جوعه.

***

اليوم التالي

بداخل شركة الأصدقاء تلك الغرفة الصغيرة جلس شعراوي أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به بعد أن أوصله بالكاميرا التي وضعها في ردهة المنزل على وضع التسجيل أمس، وضع له كوبًا من الشاي المغلي وطلب مجموعة من الشطائر لسد جوعه بشكل مؤقت، مد يده وأخذ شطيرة وقطم نصفها

من أول مرة، تابعها برشفة من الشاي وانتظر أن يحمل جهاز الكمبيوتر، لحظة من الترقب لا يوجد صوت سوى صوت مضغ الأكل في فم شعراوي، فتح الجهاز، حاول في هذا الوقت شعراوي أن ينقل كل ما يستطيع نقله من الكاميرا لجهاز الكمبيوتر الموضوع أمامه، انتهى التحميل، قام شعراوي بالضغط ليرى ما تم تسجيله، كل شيء كان مسجلًا منذ أن بدأت الكاميرات بالتسجيل كل التفاصيل.. حتى أتت الساعة الذي بدأت رائحة البخور تغمر المنزل ثم ارتعشت الإضاءة، شعر شعراوي بالانقباض وتذكر ما حدث معهم ليلة أمس، ولكنه حاول أن يتجاهل ذلك وظل ينظر إلى التسجيل، رأى نفسه يغمض عينه ويهرول نحو كرسي الصالون المذهب، ومروان وهيثم يهرولان نحو البيانو، ولكن آدم منذ أن ارتعشت الإضاءة اختفى تمامًا.

أعاد شعراوي التسجيل من جديد من كل الكادرات بشكل أبطأ وهو يصب تركيزه على آدم ووقفته حتى ارتعشت الإضاءة، أوقف شعراوي التسجيل ونظر فوجد آدم يضع يده في جيب بنطاله، اندهش شعراوي وقام بالتكبير نحو جيب بنطال آدم، فوجد أن هناك شيئًا ما في جيب بنطال آدم يضغط عليه، مسك شعراوي كوب الشاي المغلي وارتشف رشفة أخرى متبعه بصوت من فمه وهو يهمس إلى نفسه:

- إيه اللي كان معاك يا آدم؟؟؟

ثم ضغط من جديد لاستكمال التسجيل حيث انطفأت الإضاءة، أوقف شعراوي من جديد التسجيل قبل أن تنطفئ الإضاءة بشكل كامل، فوجد آدم يتحرك مباشرةً نحو الغرفة المغلقة، شعر شعراوي أن هناك شيئًا يخفيه آدم عنهم، وضع يديه فوق ذقنه وهو يحاول أن يفك ماذا كان يفكر فيه آدم؟ ولكنه فشل ولكنه كان يعلم تمام العلم أن آدم كان له مخطط ما بالنسبة للبرنامج، وكان يريد أن يكتشفه، وخصوصًا بعدما بلغه شعراوي بتورط فاروق السكري بقضية ليلى الحناوي، أغلق شعراوي جهاز الكمبيوتر، وقرر أن يذهب إلى آدم ليفهم منه ما لا يستطيع فهمه.

***

مرت ساعة، كانت الساعة العاشرة صباحًا، وصل شعراوي نحو البناية القديمة التي يقطن بداخلها آدم الحسيني، صعد الدرج، كادت أنفاسه أن تنقطع، طرق الباب وهو يلهث بأنفاس متسارعة، فتح آدم الباب كان قد استيقظ منذ قليل، نظر إلى شعراوي وهو يقول:

- خير على الصبح معرفتش تنام من الخوف ولا إيه؟

قالها آدم وهو يترك الباب مفتوحًا عائدًا للداخل، دخل

شعراوي خلفه وما زال يأخذ أنفاسه، ثم قال بصوت يملأه التعب:

- بالعكس أنا أتقتلت نوم وصحيت بدري وفرغت كل التسجيلات اللي سجلتها الكاميرات.

نظر له آدم وهو يقول له مشجعًا إياه:

- برافو عليك حلو النشاط ده.

- في حاجات غريبة كنت عاوز أناقشك فيها يا آدم.

تحرك آدم نحو المطبخ وهو يقول:

- نعمل فنجانين قهوة الأول نفوق كده وبعدها نتناقش براحتنا. قالها آدم ذاهبًا نحو المطبخ، وقف شعراوي في الخارج وهو ينظر إلى ساعة يده ثم استند بيده نحو مكتب صغير فوقه العديد من الكتب والأوراق، فوجد درج المكتب مفتوحًا، فنظر بداخله بدون قصد فوجد صورة قد مزقت لقطع صغيرة صغيرة جدًّا، نظر نحو المطبخ فوجد آدم ما زال يقوم بتحضير القهوة، فأخذ جميع القطع الصغيرة من الصورة ووضعها في جيب بنطاله بدون أن يراه آدم.

***

4

أخذ طارق يتثاءب وهو جالس فوق مقعده ويريح ظهره للوراء حتى دخل عليه العسكري بزيه التقليدي وبيده صينية صغيره فوقها كوب من الشاي المغلي وكوب من الماء ووضعهما أمام طارق وهو يقول له:

- صباح الخير يا باشا، الشاي والمية اللي حضرتك طلبتهم.

نظر إليه طارق بنصف عينه الناعسة ومد يده نحو كوب الماء بعدما خرج العسكري ليعود بمفرده من جديد بداخل مكتبه، ثم وضع يده في جيب بنطاله لإخراج قرص من أقراص الصداع ليتناولها، ولكن تفاجأ في جيب بنطاله بفلاشة، تذكر تلك الفلاشة التي أخذها ليلة أمس من إحدى أمناء الشرطة، قذف القرص في فمه ودفعه بكوب من الماء، ثم نهض وتحرك حيث توجد حقيبته السوداء، أخذها وهو يخرج منها حاسوبه الخاص به وعاد من جديد ليجلس فوق المقعد خلف مكتبه، فتح الحاسوب فأصدر إضاءه زرقاء موجهة إلى وجهه المستدير، أخذ رشفة من كوب الشاي قبل أن يضع الفلاشة وينتظر للحظات، ثم فجأة ظهرت محتويات الفلاشة، كان لا يوجد بها سوى ملف واحد فقط، قام طارق بالضغط على الملف فوجد بداخله فيديو، فقام بتشغيله، كان الفيديو لمدة ثلاثة دقائق فقط، ظل يراها

طارق، بداية الفيديو كانت عبارة عن ظلام تام، يبدو إنه الشارع الذي يوجد به منزل السكاكيني، ثم ظهر شيء جعل طارق جاحظة عيناه وقلبه كاد أن يقفز من صدره، أعاد الفيديو أكثر من ثلاث مرات قبل أن يسحب الفلاشة بقوه وأخذ الحاسوب بيده ونهض مسرعًا ويهرول إلى مكتب المقدم جمال منصور.

***

ظل جمال جالسًا في مكتبه منذ يوم ونصف ولم يذهب إلى منزله، ظل عاكفًا فوق أوراق القضية، يشعر أنه اقترب من حل ذلك اللغز، أمامه الكثير من الأوراق والأسماء المبهمة، وعلى رأسهم اسم (طه البنا).

في ذلك الوقت دفع طارق الباب ليدخل عليه، اندهش جمال وهو ينظر إلى طارق مستفهمًا وهو يقول:

- مالك يا بني في إيه؟؟

- القاتل.

نهض جمال من مجلسه وهو يقول ببطء وعلامات الاستفهام أمام عينيه:

- وصلت لحاجة؟؟

هز طارق رأسه واقترب من المكتب وأشار بيده نحو جمال بالفلاشة، فنظر جمال إلى يد طارق وقال:

- إيه ده؟؟

- دي فلاشة عليها إزاي ليلى الحناوي أتقتلت.

بلع جمال ريقه وابتسم وأخذ الفلاشة والحاسوب من يد طارق ووضع الفلاشة وانتظر دقائق، ظل ينظر إلى شاشة الحاسوب بكل تركيز حيث ظهرت ليلى الحناوي برفقة شخص ما بالقرب من المنزل، ومن بعدها تبدأ المشدات فيما بينهما، ثم قام الشاب بقتلها، ظل جمال ينظر إلى الشاشة مع ترقب طارق إليه، فنظر جمال شاردًا وهو يقول:

- مش ده الشاب..

قاطعه طارق بهزة من رأسه وهو يقول:

- أيوه يا باشا هو آدم الحسيني اللي كان بيصور إمبارح هو وأصحابه جوه البيت.

***

ترك شعراوي آدم بعدما تناول معه القهوة، وقرر عدم إبلاغه بأي شيء، وظل يكرر أسباب عشوائية لم يفهمها آدم عندما سأله عن سبب مجيئه، ثم تركه واتفقا على أن يتقابلا مساء

في مقر الشركة.

عاد شعراوي إلى مقر الشركة وأغلق الباب جيدًا، وجلس خلف مكتب نحاسي صغير، أخرج القطع الصغيرة لتلك الصورة الممزقة التي أخذها من درج مكتب آدم، ظل شعراوي جالسًا يجمع القطع الممزقة وكأنه يقوم بتجميع لغز للأطفال، كان الأمر صعبًا بالنسبة له كثيرًا، لكنه على الأقل نجح في تجميع العينين والفم وجزءًا من الشعر، ليست هذه الصورة لآدم أو لأحد من أقاربه، وصلت دقات قلب شعراوي إلى أقصاها وهو يقوم بتجميع تلك الصورة الممزقة، بدأت قطرات من العرق تنبت فوق جبينه، جسده الممتلئ أصبح يهتز بتوتر مبالغ فيه، في النهاية نجح في تجميع تلك الصورة، وضع آخر جزء من الصورة بيده المرتعشة حتى استقرت أمامه تلك الصورة كاملة، لم تكن سوى صورة (ليلى الحناوي).

شرد شعراوي قليلًا وظل يتذكر أحداثًا.. وجود آدم بتلك الغرفة في المنزل.. رفضه لعرض فاروق السكري في البداية، وخصوصًا لما أبلغه بتلك القضية ثم موافقته فجأة.. حديثه عن المنزل وما كانت تنوي ليلى الحناوي فعله يوم مقتلها.. تلك الصورة الممزقة التي كانت موضوعة في درج مكتبه في منزله.. لحظات من التشتت والتخبط حتى امتلأت عينا

شعراوي بالدموع وهو يقول لنفسه هامسًا:

- آدم هو القاتل!!!!

***

في نفس اليوم الساعة 8 مساءً

خرج آدم من البناية التي يقطن بداخلها متجهًا إلى شركته لتفريغ الكاميرات من التسجيلات مع باقي الأصدقاء، ولكنه تفاجأ بوجود المقدم جمال منصور واقفًا مستندًا إلى سيارته وبيده لفافه من التبغ، وبجواره يقف طارق.. اندهش آدم وهو يعدل من وضع حقيبته فوق كتفه وتحرك متجهًا نحوهما وهو يقول:

- إيه المفاجأة دي!!

نفخ جمال دخانه في السماء ثم ألقى بعقب سيجارته بعيدًا وأردف:

- يا رب تكون مفاجأة حلوة يا آدم.

فسكت آدم بدون أن يتفوه بكلمه فقال له جمال من جديد:

- ممكن ندردش شوية في مكتبي؟

- بس انا..

قاطعه جمال وهو يشير بيده قائلًا:

- مش هاخد من وقتك أكتر من ربع ساعة ممكن؟

هز آدم رأسه وانساق خلفه حيث دلف لداخل السيارة، ربع ساعة كانت السيارة مستقرة أمام القسم، دخل جمال مكتبه ومن خلفه آدم وطارق، أغلق الأخير الباب من خلفهم، خلع جمال سترته الجلدية ووضعها خلف الكرسي ثم أخرج سلاحه الميري من الحزام المزين خاصره ووضعه أمامه فوق المكتب، ثم جلس وهو يشير بيده إلى آدم قائلًا:

- أتفضل أقعد يا آدم.

استجاب آدم وجرجر قدميه وجلس فوق المقعد في مقابلة جمال، رسم الأخير ابتسامة لزجه فوق قسمات وجهه وهو يقول إلى آدم:

- أسفين على الطريقة إللي جبناك بيها دي يا آدم.

نظر آدم إلى ساعة يده ثم رفع رأسه إلى جمال وقال:

- لا مفيش مشكلة، بس ممكن أعرف بسرعة أنا موجود هنا ليه؟

ابتسم في وجه جمال وهو ينظر إلى طارق، فبدأ طارق الحوار وهو يقول:

- طبعًا عارف يا آدم إننا ماسكين قضية ليلى الحناوي، وعرفنا إنك كنت تعرفها فحبينا نعرف منك شوية تفاصيل.

رفع آدم كتفيه وهو يقول:

- هو انا بس اللي كنت أعرفها، مهو كانت تعرف ناس كتير، وكمان كانت تعرف باقي أصحابي شعراوي وهيثم ومروان.

- بس باقي أصحابك مكنوش ما بينهم علاقة ارتباط يا آدم، علشان كده حبينا نتكلم معاك انت الأول.

توتر آدم وزاغت عينه بخوف، فقال جمال بوجه جامد خالي من المشاعر فاضطرب آدم وهو ينظر إلى جمال وبدأ الشك ينبعث بداخله:

- تعرف المجني عليها من أمتى؟؟

- هو ده تحقيق رسمي؟؟

- اعتبره تحقيق رسمي. قالها جمال بنفس الطريقة الجامدة، فبلع آدم ريقه بصعوبة وهو يقول:

- أعرفها من خمس سنين كانت زميلتي في الكلية.

شبك جمال أصابعه ببعض وهو يقول:

- وآخر مرة شوفت فيها المجني عليها كان أمتى؟

- قبل ما تتقتل بيوم.

زم جمال شفتيه ونهض من مجلسه ووقف خلف آدم وهو يقول:

- كان في مشاكل بينكم.

- مش فاهم.

- لأ أنت فاهم يا آدم.. أو ممكن يا آدم لو شوفت الفيديو إللي موجود معانا تتكلم على طول ومن غير ما نتعب بعض.

اضطرب آدم قليلًا وهو يقول:

- فيديو؟؟ فيديو إيه بالظبط.

نهض طارق من مجلسه ووضع الحاسوب أمام عين آدم وقام بتشغيل الفيديو، ظل آدم ينظر بعيون جامدة، الدم قد هرب من عروقه وهو يرى نفسه وهو يقتل ليلى الحناوي ويضعها بداخل صندوق المهملات، لم يفهم كيف قام أحد بتصويره؟! فقال له جمال وهو يضحك في وجهه قائلًا:

- الفيديو ده كافي إني أتحفظ عليك دلوقتي بتهمة قتل ليلى الحناوي، فياريت تقولي إيه اللي حصل وليه قتلتها.

ذرف آدم دمعة ساكنة في مقلتيه وبدأ يحكي.

***

يوم الحادثة الساعة الثامنة مساءً

ظل آدم جالسًا في إحدى الكافيهات منتظرًا أن تأتي إليه ليلى، حتى أتت بعد مدة انتظار وصلت إلى ساعة، جلست في مقابلته بوجه متجهم وهي تقول بانفعال ظهر على نبرة صوتها:

- أفندم يا آدم، أديني جيتلك أهو بعدما الكل مشي زي ما انت عاوز، ممكن أعرف عاوز مني إيه؟؟

نظر لها آدم وهو يقول:

- ممكن أعرف ليه رافضه نكون مع بعض؟؟

نظرت له وهي غاضبة وقالت:

- إيه اللي أنت بتقوله ده يا آدم، أنت عارف إني مخطوبة وقربت أتجوز كمان.

- طيب واللي بينا.

- إللي بينا ده في خيالك أنت وبس يا آدم، أنا عمري ما حسستك بحاجة.

حاول آدم أن يهدأ قليلًا ومن ثم قال لها:

- طيب أنا جايبلك خبر حلو، مش كنتي عاوزة تدخلي البيت المهجور بيت السكاكيني نعمل عنه حلقة.. أنا هدخله النهاردة.

نظرت له طويلًا وظلت تفكر قليلًا وقالت مستفسرة:

- هتدخله إزاي؟؟

- النهاردة أول جمعة من الشهر الجديد، وزي ما الناس ما بتقول أول جمعة دي البيت بيحصل فيه حاجات غريبة، أنا طلبت من 3 شباب صنايعية بناء يدخلوا البيت ده مقابل هديهم مبلغ من الفلوس، وعلشان أقنعهم قولتلهم البيت ده فيه آثار علشان يدخلوه، ولما هيدخلو هنعرف فيه حاجة غريبة هتحصل جوه ولا لا، وساعتها نقدر ندخله.

- ضحكت على 3 شباب علشان يدخلوا البيت، افرض حصلهم حاجة.

تنهد آدم وهو يقول:

- ومين قال إنه هيحصلهم حاجة، كل اللي عاوزين نعرفه فعلًا في حاجة غريبة بتحصل جوه ولا لا، المهم انا رايح دلوقتي هتيجي معايا.

ظلت تفكر ليلى قليلًا حتى هزت رأسها له بالموافقة،

فضحك في وجهها وهو يقول:

- معنى كده إننا لازم نتحرك دلوقتي لحد ما نوصل.

قال جملته ناهضًا من مجلسه بعدما أخرج بعض النقود ووضعها فوق الطاولة، فنهضت ليلى متجهة هي الأخرى نحو باب الخروج، ومن خلفها تحرك آدم، ركب آدم تاكسي ومعه ليلى متجهين إلى وسط المدينة، كانت شوارع القاهرة نشطة يوم الجمعة يوم الإجازة الرسمية.. بعد ساعة وصل التاكسي بالقرب من حارة اليهود، دلف آدم ومن خلفه ليلى، وظل يسيران حتى ظهر في الأفق منزل السكاكيني، كان هادئًا منطفئًا كعادته كئيبًا، الشارع كان هادئًا مظلمًا، نظر آدم إلى ليلى وهو يقول:

- إحنا وصلنا خلاص.

بدأت ضربات قلب ليلى تصل إلى أقصاها، تنظر إلى المنزل فاتحة فمها ببلاهة، يبدو عليه بالفعل كما سمعت أنه منزل مهجور لم يدخله أحد قط، موضوع لوحة نحاسية صدئة بجواره منقوش فوقها "منزل السكاكيني"، أخذا زاوية ووقفا يترقبان الحدث، نظر آدم إلى ساعة يده فوجدها تشير إلى العاشرة مساءً، وفور ما رنت الساعة بتمام العاشرة اشتعلت الإضاءة في المنزل بالكامل، فاندهشت ليلى خوفًا، وجحظت عين آدم في خوف، كانا يقفان خلف المنزل يسمعان صوت

الموسيقى المشتعلة صادرة من الداخل، ثم رفعت ليلى رأسها فوجدت ورقة تسبح في الهواء خرجت من نافذة لغرفة من غرف المنزل، لاحظت ليلى في ذلك الوقت يد لبنت صغيرة تعود من جديد لداخل الغرفة، ظلت تتابع تلك الورقة حتى وقعت فوق الأرض، فانحنت ليلى وأخذتها وهي تنظر فيها، وجدتها رسمة طفولية لحفلة بداخل المنزل، ثم نظرا فوجدا المنزل أنواره انطفأت من جديد، جاء آدم من خلف ليلى وهو يقول:

- أنا مش فاهم أي حاجة خالص.

قال جملته ونظر فوجد ليلى تنظر إلى الورقة التي بداخلها رسمة فقال آدم متسائلًا:

- إيه الورقة دي؟

نظرت له وقالت:

- مش عارفه رسمة لحفلة، وشكلها طفلة اللي رسماها، اقترب منها ونظر ومد يده ليتحسس يدها بخبث، فتغيرت ملامح وجه ليلى وجذبت يديها وقالت له بانفعال:

- أنت بتعمل إيه؟؟؟ انت إنسان مريض يا آدم وأنا غلطانة إن جيت معاك هنا أنا لازم أمشي دلوقتي.

قالت جملتها وتحركت للأمام ذاهبة، فتحرك خلفها آدم وبدون وعي أخرج سكينًا من حقيبته ومن ثم قام بطعنها، فقبضت ليلى بيديها على الورقة المرسومة تحاول أن تقاوم ثم.. ثم وقعت غارقة في دمائها.

لحظة من التخبط والتشتت لم يعرف آدم كيف فعل ذلك، ظلت ضربات قلبه تصل إلى أقصاها حتى بلع ريقه بصعوبة وقام بسحبها حتى وضعها في صندوق المهملات وفر هاربًا.

***

انتهى آدم من الحديث فزم جمال شفتيه وصدر منه:

- ممم.. طيب بالنسبة للصنايعية البنا اللي أجرتهم يدخلوا البيت اختفوا راحوا فين؟؟

نظر له آدم وعيناه ممتلئتان بالدموع وهو يقول:

- معرفش حاجة عنهم، أنا حكتلك اللي حصل بالظبط، حتى معرفش إزاي السكينة وصلت لإيد واحد منهم، كل اللي عملته إن لما فاروق السكري عرض علينا فكرة البرنامج كنت خايف في الأول، بس لما فكرت قولت لما أكون أنا اللي ببحث عن حل لغز قتل ليلى الحناوي، هيبعد عني الشبهات، بس مكنتش عارف إن في حد كان بيصورني وقت ما حصلت الجريمة.

هز جمال رأسه ونظر نحو طارق، فأمر طارق العسكري بأخذ المتهم آدم الحسيني ووضعه في الحبس لحين عرضه على النيابة.

***

عاد (طه البنا) إلى مزرعته بعدما كشفت أمامه جميع الحقائق، واعترفت إليه صحراء ووالدها إسحاق عن كل شيء تم تخطيطه، كان في البداية غير مقتنع كيف يجرؤون أن يمثلوا عليه تلك المسرحية بمجرد إنه يشبه شخصًا كان موجودًا في زمن قديم.. تلك التمثيلية كادت أن تطيح به إلى حبل المشنقة، ولكن الذي كان غريبًا أن طه البنا كان بالفعل يشعر إنه عاش تلك الأحداث من قبل، إنه سمع من قبل عن عبده السكاكيني، وعندما ذهب لذلك المنزل لأول مرة شعر إنه دخله بالفعل من قبل.. نفض تلك الأوهام من رأسه وذهب إلى المنزل الخشبي الصغير القابع بداخله كلبه (ريكس)، جثا على ركبتيه وهو يحتضنه باشتياق وهو يعتذر منه على تركه طوال الشهر الماضي، ومن ثم نهض متجهًا إلى غرفته.

كانت الغرفة كما تركها منذ شهر مرتبة ومنظمة، ولكنها تحمل بعض الأتربة، تحرك نحو الطاولة الصغيرة التي تتوسط الغرفة، فوجد فوقها ذلك الكتاب الذي كان يقرأه قبل شهر "ألف ليلة وليلة" فوقه بعض الغبار، ابتسم وهو يمسحه

بيده، ثم تحرك نحو المطبخ ليقوم بعمل فنجان من القهوة، مرت خمس دقائق كانت كافية حتى انتهى طه من تحضير القهوة، وعاد من جديد إلى منتصف الغرفة، لم يمر من الوقت الكثير حتى سمع طرقتين متتاليتين على الباب كعادة الغفير (عثمان)، تحرك طه ونظر من العين السحرية للباب فوجد الغفير يعود من جديد إلى مجلسه وقد وضع صُندوقًا صغيرًا ملفوفًا بورق هدايا أمام الغرفة، فتح طه الباب ببطء ومد يده يأخذ الصندوق وهو مندهش عائد للداخل مرة أخرى.

فتح الصندوق فوجد بداخل الصندوق ساعة ذهبية قديمة بعض الشيء، شعر بشيء بداخله وهو يرفع الساعة أمام عينيه ويحدق بها، هناك مشاهد متداخلة غير مترابطة أمام عينيه، الآن تذكر مشهدًا لم يعلم من أين أتت به ذاكرته، وكيف حدث؟ يسمع صوت همس في أذنه، أغمض عينيه وهو يضع يديه فوق رأسه متألمًا ويتذكر شيئًا

***

" - متخافيش خالص أنا جنبك أنا عاوزك دلوقتي تستخبي تحت السرير. ثم خلع ساعة يده وتابع:

خلي دي في إيدك وغمضي عينك، وأول ما الساعة دي ترن اخرجي من السرير اتفقنا؟

هزت الفتاة رأسها وهي تقول بخوف:

-اتفقنا"

***

فتح طه البنا عينه ببطء وقد امتلأت بالدموع والصداع اجتاح رأسه، فجأة لم يفهم من أين أتت تلك الذكرى في رأسه، ومن ثم أتت ذكرى أخرى تشكلت أمامه الآن، فأغمض عينيه مجددًا وهو يصرخ بصوتٍ عالٍ بسبب الألم الذي احتل رأسه وتذكر شيئًا...

"ظل يهرول وهو يحمل الفتاة، نزل من الطابق الثاني، ظل واقفًا للحظات يتلفت حوله على مصدر الباب، فأشارت له الفتاة نحو الباب، المنزل كان مظلمًا تحرك نحوه بسرعة، وجده مغلقًا، حاول أن يفتحه ففشل، تحرك من جديد نحو إحدى النوافذ المتواجدة في الردهة فوجدها مغلقة تمامًا فشل مرة أخرى، في تلك اللحظة سمع صوت ابني القط من فوق يتحركان من جديد، هرول نحو الممر المظلم فوجد هناك نافذة أخرى صغيرة لا يستطيع الهروب من خلالها، تحرك نحوها وضربها بقوة وهو يحمل الفتاة فانفتح جزء منها".

***

رفع طه رأسه وبلع ريقه ببطء، ونبتت قطرات عرق فوق جبينه برغم برودة الجو، مسح بيده تلك الدموع المنسالة على وجنتيه، ونظر إلى تلك الساعة التي أصبحت بين راحته الآن، ثم ارتسمت ابتسامة خفيفة على قسمات وجهه غير مصدق ما تذكره، ثم قام بارتدائها ومد يده ليأخذ فنجان القهوة، أخذ رشفة بيده المرتعشة مستمتعًا بمذاقها في حلقه، وحاول أن يستجمع ما تبقى من ذكرياته.

***

ظل سائق التاكسي يسير في شوارع القاهرة وحواريها لمدة ساعة تقريبًا وأكثر متأففًا من تلك العجوز الجالسة في الكنبة الخلفية للسيارة، ظل يسير بدون وجهة معينة، كانت الحواري والشوارع في ذلك الوقت مزدحمة بها الكثير من البشر، فقال السائق بنفاذ صبر:

- وبعدين يا ست هانم هنفضل كده كتير؟؟

كانت المرأة الجالسة خلفه ترتدي تييرًا أسود يليق بسنها، تضع الحجاب الأسود فوق شعرها الذي ظهر منه خصله بيضاء كالثلج، كان عمرها قد تخطى الثمانين، شاردة تنظر من النافذة إلى الشوارع، ثم قالت وهي تنظر من النافذة دون أن تنظر له وهواء فبراير يداعب وجهها الذي كان مليئًا

بالخطوط التي تدل على كبر سنها:

- خش يمين يا أوسطا.

زفر السائق بضيق ودخل يمين كما طلبت تلك العجوز، كان الشارع الذي دخله السائق هادئًا خاليًا من البشر مظلمًا إلا من بعض أعمدة الإنارة التي يصدر بعضها ضوءًا أصفر باهتًا كئيبًا فاندهش السائق وهو عاقد حاجبيه وينظر من النافذة وهو يسير ويقول:

- إيه الحته المقطوعة اللي دخلناها دي!!

قالت العجوز بصوت هادئ:

- أيوه.. أقف هنا يا أوسطا..

وقف السائق أمام منزل يبدو من الخارج أنه منزل مهجور لا يوجد بداخله بشر، نظر السائق من خلال المرآة إلى تلك المرأة الجالسة خلفه وقال:

- حمدالله على السلامة يا حاجه.

لم تعره اهتماما ولم ترد عليه، ظلت تنظر من خلال النافذة إلى ذلك المنزل المهجور مبتسمة ابتسامة بلهاء ظهرت على قسمات وجهها، ثم مدت يديها وأخرجت من حقيبة يديها الجلدية ورقة بفئة 200 جنيه ومدت يدها إلى السائق وهي

تقول:

- خد دي يا أوسطا تحت الحساب.

مد السائق يديه وأخذ الورقة المالية وقد تغيرت ملامح وجهه فجأة وتهللت أساريره وهو يقول:

- من يد ما نعدمها يا حاجه.

خيم الصمت على المشهد وظلت تنظر تلك العجوز إلى المنزل كما هي كانت تسبح في بحر من الذكريات، ثم أخذت نفسًا ملأت صدرها بالهواء واعتدلت في جلستها وهي تنظر إلى عيني السائق المنعكسة في تلك المرآة وقالت:

- تقدر يا أوسطا تتحرك.

تحرك السائق للأمام وهو يخرج من ذلك الشارع المظلم الغامض، فقال السائق وهو يبتسم وينظر من خلال المرآة لتلك المرأة وقال لها بلطف:

- عدم المؤاخذة يا حاجة، شكل كده البيت ده غالي عليكي أوي.

ابتسمت العجوز وهي تهز رأسها إيجابًا، فهز السائق رأسه وتابع ما بدأه:

- أنا قولت كده برضو، أصل أنا ألمحها وهي طايرة..

متشرفناش بالأسم يا ست الكل؟

ابتسمت العجوز وقالت ببطء:

- سندس.. سندس عزيز القط

***

5

(قصر السلطان)

صوت صياح الديك يعلو ليكون هو السائد في القصر، داعب السلطان شهريار ذقنه وهو ينظر إلى شهرزاد المطرقة رأسها بجواره وقال متسائلًا:

- لقد انتهت قصتكِ إلى هذا الحد أيتها الجارية؟

هزت شهرزاد رأسها إيجابًا، فنهض السلطان من فوق الشلتة الوثيرة فتابعته شهرزاد بعيونها وقد تحسست يداها تلك السكين الصغير الموضوع في جوربها، فأعطى السلطان ظهره لها فترددت أن تقوم وتخلص الجزيرة من بطشه، لحظة من الترقب والتردد حتى أردف السلطان بدون أن ينظر لها:

- إذًا عليكِ أن تجهزي نفسكِ جيدًا مساءً.

اندهشت شهرزاد وعقدت حاجبيها مستفهمة وهي تقول:

- لماذا؟

مال السلطان بطرف فمه وأعلن عن ابتسامة خبيثة، ثم التفت نحوها ونظر في عينيها ومن ثم اقترب منها أكثر حتى مال بجسده وهمس في أذنيها وقال:

- لستُ وحدكِ الماكرة أيتها الجارية، اليوم سيُقام حفل في القصر نخب انتهاء قصتكِ.

- وماذا بعد؟؟ قالتها شهرزاد له مستفهمة وقلبها كاد أن يقفز من صدرها، فضحك شهريار وهو يهندم ملابسه ويقول:

- مساء ستكون نهايتك، نهاية كل شيء. انتهى من جملته الأخيرة وتركها بمفردها في الحديقة ذاهبًا لداخل القصر.

***

انبهرت عينا قطر الندى السوداوان.. إنه حفل نخب انتهاء قصة شهرزاد، سيكون أحد أعاجيب الجزيرة، كيف قرر السلطان بقيام الحفل ودعوة كل أهل الجزيرة من كبيرها لصغيرها، كانت تتحدث وهي خائفة على شهرزاد، كانت تعلم تمام العلم أن شهريار لم يمر ما قاله له والدها الشيخ محسوب مرور الكرام.

بدأت الاستعدادات للحفل، خرجت قطر الندى من منزلها خائفة تساعد والدها الكفيف على الحركة، يسيران على خطا واحدة، الشمس قد غربت، وجميع أهل الجزيرة يريدون مشاهدة الحفل الذي سيُقام الليلة في قصر السلطان ومعه آخر امرأة بالغة لم تقتل بعد.

القصر يموج بأضواء الشموع والقناديل، يتلألأ بجواهر المدعوين والمدعوات، وكانت شهرزاد تتزين في حُجرتها، نظرت إلى المرآة بعين غير نافذة أو بالأحرى بعين تتلمس مواضع الرضا، فعكست المرآة وجهًا جميًلا ولكنه شاحب، كانت من قبل ناعمة مستكينة مهذبة غارقة في الطمأنينة، ملهمة لأحلام البيت السعيد، تنتشر كالشذى فتشكل بضعفها المنساب طاقة مسيطرة بعون الإغراء والرغبات الدفينة، قبل ما يأتي اليوم الذي أصبحت فيه حبيسة شهريار.

انتهت من التجهيزات ونظرت من النافذة فرأت الكثير من أهل الجزيرة متهللين بالأسفل، أخذت نفسًا ملأت صدرها بالهواء وتحركت نحو الباب قبل أن يفتح وتظهر من خلفه قهرمانة وقالت لها بجدية مبالغ فيها:

- الجميع في انتظاركِ في الأسفل أيتها الجارية.

كان السلطان جالسًا في مضجعه وحوله الحراس الذين استدعاهم ليظلوا بجواره دائمًا خوفًا من تحقيق رؤيته، يقف منتصبًا خلفه وزيره سُنقر يقف متأهبًا، لقد سمع من أحد الحراس أن نهاية شهرزاد اليوم، لقد انتهت قصتها.

ظهرت من بعيد شهرزاد جميلة كعادتها تسير بأقدام ثابتة لم تهتز، ترفع رأسها بكبرياء وعزة قبل أن تتقدم وتجلس بجوار السلطان، بدأت مراسم الحفل هناك من الغناء الكثير

والراقصات الآتية من بلاد الشمال، فور ما استدعاهم شهريار للحفل، كانت الأصوات والضحكات واللهو في جميع أنحاء القصر، يختلس السلطان النظرات ليرى رد فعل شهرزاد، ولكنها كانت جالسة بجواره مستمتعة بمراسم الحفل، وبرغم خوفها وضربات قلبها التي وصلت إلى أقصاها، إلا إنها كانت رزينة في جلستها، التقت عيناها بعين قطر الندى التي وقفت أمامها وعينها مليئة بالحزن والقهر على شهرزاد.

نظرت شهرزاد إلى أبيها الواقف أمامها، ولأول مرة ابتسمت في وجهه، فبادلها بابتسامة مماثلة بها الكثير من الاشتياق، فهزت له رأسها فتغيرت ملامح وجهه، وهز لها رأسه هو الآخر، بعد لحظات انطفأت المشاعل والقناديل فجأة، حتى أصبح الظلام يعم القصر بأكمله، فصاح الحضور، فنهض السلطان من مضجعه وهو يتحسس شهرزاد بجواره فلم يجدها، قام وصدره يجيش بانفعالات طاغية..

غاص في الحديقة فوق الممشى الملكي شبح ضئيل وسط أشباح عمالقة تحت نجوم لا حصر لها ولا عد.. زمجرة الغضب في أذنه الإناث العذارى اللاتي قتلهن من قبل، تجلى له زيف المجد الكاذب كقناع ورق مهترئ.. لعن الشيخ محسوب في سره، لم يسمع أحدًا بجواره، لم يسمع سوى صوت أنفاس الحضور الحارقة، حتى سمع همسًا في أذنه،

كانت شهرزاد همست كفحيح الثعبان في أذنه وهي تقول:

- " مولاي السلطان.. هل أنت خائف"؟

تمت

حسن محمد عوض الله